البر والإحسان لكسب أخيك الإنسان

د . هاشم بكري

رقم الايداع/٢٠١٨/٢٠٨٨٤

المقدمة

كثيرا ما يحب الإنسان أن يبدأ صفحة جديدة في حياته ولكنه يقرن هذه البداية المرغوبة بموعد مع الأقدار المجهولة كتحسن في حالته، أو تحول في مكانته، وقد يقرنها بموسم معين، أو مناسبة خاصة كعيد ميلاد، أو بداية عام، أو ترقية أو تخرج مثلا، وهو في هذا التسويف يشعر بأن رافدا من روافد القوة المرموقة قد يجئ مع هذا الموعد فينشطه بعد خمول ويمنيه بعد إياس، وهذا وهم فإن تجدد الحياة ينبع قبل كل شيء من داخل النفس والرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت ولا تصرفه وفق هواها إنه هو الذي يستفيد منها، ويحتفظ بخصائصه أمامها كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ ثم تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة لقد حولت الحمأ المسنون والماء الكدر إلى لون يهيج وعطر فواح كذلك الإنسان إذا ملك نفسه وملك وقته واحتفظ بحرية الحركة لما يواجه من شئون كريهة إنه يقدر على فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تساعده على ما يريد إنه بقواه الكامنة وملكاته المدفونة فيه، والفرص المحدودة، أو التافهة المتاحة له يستطيع أن يبنى حياته من جديد. لا مكان لتريث إن الزمن قد يفد بعون يشد به أعصاب السائرين في الطريق الحق أما أن يهب المقعد طاقة على الخطو، أو الجري فذاك مستحيل.

لا تعلق بناء حياتك على أمنية يلدها الغيب فإن هذا الإرجاء لن يعود إليك بخير إن كل تأخير لإنفاذ منهاج تجدد به حياتك وتصلح به أعمالك لا يعنى إلا إطالة الفترة الكابية التي تبغي الخلاص منها وبقاءك مهزوما أمام نوازع الهوى والتفريط بل قد يكون ذلك طريقا إلى انحدار أشد وهنا الطامة ما أجمل أن يعيد الإنسان ترتيب حياته، ونفسه بين الحين والحين، وأن يرسل نظرات ناقدة في جوانبها ليتعرف عيوبها وآفاتها وأن يرسم السياسات القصيرة المدى والطويلة المدى ليتخلص من هذه الهنات التي تزري به.

قال رجل دين قديم: عندما كنت صغيرا وحرا ولم يكن لخيالي حدود، حلمت بتغيير العالم وعندما تقدم بي العمر وأصبحت أكثر حكمة أدركت أن العالم لن يتغير فقررت أن أضع حدا لخيالي وان أغير فقط بلدي.

إلا أن هذا أيضا بدا غير قابل للتغير وبينما ادخل في سنوات خريف العمر وفي محاولة يأسه أخرى سعيت لتغيير أسرتي فقط أولئك الأقرب إلىّ ولكن للأسف لم يكونوا مستعدين لذلك والآن وأنا ارقد على فراش الموت وأدرك هنا(ربما للمرة الأولى) بأنني لو كنت فقط أغير من نفسي أولا فربما بالمثل كنت أثرت في أسرتي وبتشجيعهم ومساندتهم ربما كنت قد جعلت من بلدي مكانا أفضل ومن يدرى ربما كنت قد غيرت العالم.

المؤلف

الباب الأول

ألوان الإخوة

الباب الأول
ألوان الإخوة

مقدمة الفصل:

لقد خلق الله الكون وعمَّره بخلقه على مختلف الأجناس، والإشكال، والألوان، وجعل بينهم، وسيلة للتخاطب، والتواصل. وهى اللغات. وأرشدهم عن طريق الرسل إلي ما فيه سعادتهم في دنياهم، وأخراهم وبين لهم أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، بل وأحوجهم الله إلى بعضهم البعض حتى تزداد الصلة بينهم على جميع المستويات، والناس في الأصل مرجعهم لأب واحد، وأم واحده فهم جميعا إخوة، وإن تعددت الأصول والفروع. ومن هذا المنطلق ولما كانت الإخوة تحتاج إلى ماء يرويها وطعام يغذيها حتى تثمر وتينع وتؤتى أكلها بإذن ربها ويعيش الجميع في سعادة وراحة وألفه ومودة ومحبه وتواد وتراحم وتآخى، لقد رفع الإسلام شأن الإخوة وعممها ولم يقصرها على إخوة النسب، والدين فحسب بل عممها لتشمل غير المسلمين بل جعل الإسلام لهم حقوق من أهدرها عد مخالف لتعاليم الدين، ويستحق العقوبة والغضب من الله عز وجل.، فالإخاء في الإسلام شامل محيط يضم في رحابه بني الإسلام ويزداد تواثقا بإخوة الدم والنسب ويتيه فخرا وشرفا وتمكنا بإخوة الإيمان فالإخاء إذا له ثلاث أنحاء إخوة في الإنسانية وإخوة في النسب وإخوة في الدين وتجتمع كلها في الأخ المؤمن وتنفرد في الكافر غير القريب.

لقد جاء ذكر الإخاء في القرآن الكريم بأنماط مختلفة خمساً وتسعين مرة، يشتمل بعضها على نماذج من قصص الإخاء والأخوة وما لها من تأثير في العواطف والمشاعر ويشتمل البعض الآخر على أحكام الميراث.

الفصل الأول

الإخوة الإنسانية:

الناس جميعا من أصل واحد أبوهم آدم وأمهم حواء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١ ﴾ النساء: ١

وفي هذا المعنى قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في خطبه الوداع: "يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على ابيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى إلا هل بلغت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب".([1])

وروى أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– خطب الناس يوم فتح مكة فقال:"يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣([2])فالناس جميعا سواء في أصل النشأة، لا امتياز لواحد على آخر إلا بما يقدمه من عمل صالح مؤسس على إيمان وثيق بالله وملائكته ورسله ولكن هذا الامتياز وذلك الفضل لا يعنى التناكر، والتدابر مع غير المسلمين ما داموا قائمين على العهد محافظين على أداء ما عليهم فلهم بذلك حقوق تؤدى ولا يحق للمؤمن انتقاصهم، أو الاعتداء عليهم، أو ظلمهم، بل إن الدفاع عنهم حق واجب يفرضه ديننا الحنيف، ألا ما أحوج الإنسانية المعذبة إلى هذا الدين تداوى به جراحها وتلتقط في ظله الرحيب أنفاسها وتتذوق معه طعم الأمان والسلام:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ الممتحنة: ٨ . قال القرطبي رحمه الله في في قوله تعالى في هذه الآية فيه ثلاث مسائل:

الأولى: هذه الآية رُخصة من الله تعالى في صِلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم.

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة. واحتجوا: بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي– صلى الله عليه وسلم–: هل تَصل أمها حين قدِمت عليها مشركة؟ قال: «نعم»([3]). وقيل: إن

---

[1]) صحيح الترغيب برقم(٢٩٦٣)

[2]) صحح الجامع برقم(٣٢٧٠)

[3])البخاري ومسلم.

الآية فيها نزلت. وروى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه– رضي الله عنه–: أن أبا بكر الصديق طلّق امرأته قُتيلة في الجاهلية، وهي أم أسماء بنت أبي بكر، فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وبين كفار قريش، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق قرطاً وأشياء فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فذكرت ذلك له، فأنزل الله تعالى﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ([٤]).

الثانية: **{أَن تَبَرّوهُمْ}**أي لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم. وهم خُزاعة، صالحوا النبي– صلى الله عليه وسلم–على ألا يقاتلوه ولا يُعينوا عليه أحدا فأمر ببرهم والوفاء لهم إلى أجلهم حكاه الفراء. **{وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ}** أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة. وليس يريد به من العدل فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي.

الثالثة: قال القاضي أبو بكر في كتاب الأحكام له: استدل به بعض مَن تُعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر. وهذه وهلة عظيمة، إذ الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإباحة خاصة. دخل على إسماعيل بن إسحاق القاضي ذِمي فأكرمه، فأخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا هذه الآية عليهم.([٥])

روى الترمذي عند تفسير هذه الآية أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه– وأمه حمنة بنت أبي سفيان، وكان بارا بأمه. فقالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فتتعير بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي. فلما أيست منه أكلت وشربت. فأنزل الله هذه الآية آمرا بالبر بالوالدين والإحسان إليهما، وعدم طاعتهما في الشرك.

وهكذا انتصر الإيمان على فتنة القرابة والرحم؛ واستبقي الإحسان والبر.

إن هذا الاتجاه الإيماني يستظل بظله كل بني آدم على اختلاف مناهجهم وأديانهم وألوانهم وأوطانهم فكل من على ظهر الأرض أبوهم آدم وأمهم حواء إن الإسلام دين اجتماعي يجمع ولا يفرق يوحد ولا يشتت دين عاش في ظله أصحاب الأديان الأخرى أمنين على أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، وحياتهم.

---

[٤]) أبو داود والطّيَالسي في مسنده.

[٥]) تفسير القرطبي.

الفصل الثاني

إخوة النسب:

وهم من ينتسبون إلى الإنسان وينتسب إليهم من جهة الأب أو جهة الأم وهم أقارب الإنسان وعشيرته وأهله. ولكل واحد من هؤلاء حقوق بحسب قرابته حتى لقد جعل الإسلام حقهم مقدم على حق الفقراء والمحتاجين مهما بلغت حاجتهمقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الإسراء: ٢٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ البقرة: ٢١٥ .

الواضح من الآيات السابقة أن الله قدم حق الأقارب على حق اليتامى والمساكين وابن السبيل مما يدل على عظيم حقهم وقد جاءت السنة المطهرة مؤكده لهذا التوجيه القرآني عن أنس قال: كان أبو طلحه الأنصاري أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بير حاء(اسم بستان) وكانت مستقبله المسجد النبوي وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ آل عمران: ٩٢

جاء أبو طلحه- رضي الله عنه- إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إن الله تعالى انزل عليك: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾، وإن أحب مالي إلى بير حاء وإنها صدقه لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال: رسول الله:" بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال طلحه: أفعل يا رسول الله فقسمها طلحه في أقاربه وبني عمه".([٦])

وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها: أنها أعتقت وليدة أي أمه ولم تستأذن النبي-صلى الله عليه وسلم- فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتي ؟قال: أو فعلت؟ قالت: نعم قال:" أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك.([٧])

وذلك لأن الإسلام يعتبر البناء الاجتماعي وحده واحدة إن صلحت صلح البناء وإن فسدت وانهارت وسرى فيها الخلل انهار البناء وتلكم اللبنة هي الأسرة الصغيرة المؤلفة من الأبوين

---

[٦]) متفق عليه.

[٧]) متفق عليه.

والأبناء التي تتسع لتشمل الأقارب ثم تمتد لتجمع أهل الإسلام ثم تصل في النهاية إلى القمة وهى تحيط بالجنس البشرى فإن حمل كل قريب قريبه فواساه بماله، ونفسه، وولده، وجاهه، ووصله ببره، وعطفه، وحرصه عليه ووقف سدا منيعا يمنع عنه كل ضرر ويحميه من كل مكروه ساد الوئام وعم السلام، وانتشرت المحبة، وزالت الفرقة، واندثرت العداوة، والأنانية، والأحقاد.

عن سلمان بن عامر– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– :الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة.([٨]).

وقد يكون في بعض الأقارب جفوة وقد يقابلون الإحسان بالإساءة ولكن حق أخوة النسب وحق القرابة يمنعان المسلم من حق القطيعة. فعن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رجلا جاء النبي– صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون لي واحلم عنهم ويجهلون على فقال رسول الله: لئن كما قلت فكأنما تسفهم المل (الرماد الحار) ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك".([٩])

وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم ولا شيء على هذا المحسن ولكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه٠([١٠])

والصورة هنا لا تحتاج إلى تعليق وهى أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لم يطلب من الرجل مقاطعة أهله ولم ينصحه بأن يرد السيئة بمثلها وإنما أوصاه بما يديم المودة والمحبة والتعاطف أوصاه بأن يزداد في صلتهم وأن لا يهجرهم ولا يقابل السيئة بمثلها وبين له أن أعمالهم السيئة سيعود ضررها عليهم آلما هو فإن الله له ظهير ينصره عليهم ويسدده ويحفظه من مكرهم وشرهم.

---

[٨]) صحيح المشكاة برقم(١)

[٩]) مسلم.

[١٠]) رياض الصالحين للنووي ص(١٥٣)

الفصل الثالث

إخوة الإيمان:

الإخوة أبناء الرجل الواحد من يجمعهم أب واحد والإيمان في إخوة الإيمان هو الأب وهو الحسب والنسب وهو الأصل الجامع، والملتقى الذي يلتقي عنده أهل الإيمان وهو المورد العذب الذي ارتشف منه المؤمنون وارتوى منه الصالحون وهام فيه المحبون وانغمس فيه أهل الأدران فأصبحوا أزهى وأطهر وأنقى وازداد محبه إلى الرحمن. إنه المنهل العذب الذي يكون بعون الله شفاء للعليل وصله للمدبر ورفعه للوضيع ولن يجد الإنسان أعذب من هذا المورد ولا أكرم من هذا الأصل ولا أعظم من هذا الملتقى، فهو منحه إلهية لا خطه بشريه عطاء رباني لا تدبير إنساني وهو ناتج عن استقرار الأيمان في القلب مصداقا لقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾ الحجرات: ١٠ مَلِك

مع أن المؤمنين لهم كثير من الصفات العظيمة والسمات الرائعة إلا أن الإخوة هي أبرز معلم في حياتهم وهى العلم الخفاق المرفرف في حياتهم وبدونها يفقدون أهم طابع يميزهم عن يرهم وأهم مظهر للأيمان في دنياهم ولهذا جاء القرآن يطلب من المؤمنين أن يكونوا يدا واحده وأن يلتفوا حول رأيه واحده هي راية هذا الدين وهو حين يطلب منهم هذا يمن عليهم بنعمة التآلف والتآخي إذ قد جمعهم على الوحدة بعد التفرق وعلى الإيمان بعد الكفر وعلى الحق بعد الباطل وعلى الهدى بعد الضلال.

وقد سما المؤمنون بهذا التآخي إلى صور فاقت أحلام الفلاسفة وأصحاب المدن الفاضلة وضربوا أروع الأمثلة في صدق هذه الإخوة حتى لقد وجدنا في مجتمع المدينة لونا من هذا الإخاء كان أعظم من إخاء النسب والرحم به كان الأنصار والمهاجرون يتكافلون ويتعاونون، واستحق الأنصار شهادة الفخار التي ما زالت تتردد في سمع الزمن وهى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ الحشر: ٩

إن الأنصار أحبوا المهاجرين إليهم حبا جما جعلهم يقدمون كل غال ونفيس في سبيل إخوانهم من المهاجرين حتى قال المهاجرون كما ورد في حديث أنس- رضي الله عنه-: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا ألمؤنه وأشركونا المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله فقال رسول الله تطييبا لخاطرهم:" لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم ودعوتم لهم".([11])

---

[11]) صحيح المشكاة برقم(٣٠٢٦)

ومع كل ما قدمه الأنصار من نفس ومال كانوا لا يشعرون بأي ضيق أو حرج لأن ذلك كله نابع من محبة خالصة لله تعالى لقد آثر الأنصار إخوانهم المهاجرين بما عندهم رغم حاجتهم إليه إنه الإيثار ولو كان بالإنسان خصاصة لا لشيء إلا للحب في الله .

نعم هذه القلوب التي هيمن عليها الإيمان وجمعها رب العالمين على مائدته وأقامها على أتقى قلب رجل واحد إنما هي منحة إلهية، وتدبير رباني لا تستطيع الحصول عليه قوى الأرض مهما بذلت في سبيل ذلك من جهد ومن مال بل لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما استطاعت أن تحصل على هذا الذي يسره الله لرسوله وجعله من أسباب نصره دينه حتى لقد كان هؤلاء الأحبة مثلا حيا لحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم-حيث قال:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاظمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".([١٢])

[١٢]) متفق عليه.

الفصل الرابع

الإخوة في الله:

الإنسان يحيا على هذه الأرض وهو يميل بطبعه وفطرته التي فطره الله عليها إلى جنسه من بني الإنسان فهو مدني بطبعه وإذا كان الإنسان اجتماعيا بطبعه فإنه يميل إلى من وافقه في طباعه وكلما كان التوافق في الطباع كان الميل والحب وارتباط المشاعر والقلوب وقد يكون للإنسان أخ من أبيه وأمه ولكنه لا يستريح إليه لأنهما مختلفان في الطباع وقد يكون للإنسان أخ في الإيمان والإسلام ولكنه لا يرتبط به بوشائج قلبيه ولا تجمعه به علاقة نفسيه ولا يعنى هذا تقصيرا في حق هذا أو ذاك بل على كل إنسان أن يؤدى لشقيقه حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار ويؤدى لأخيه في الإسلام والإيمان كل الحقوق ولا يتوانى في خدمته والقيام بأمره ولكن يبقى هذا الذي تحن إليه إذا غاب ويسعد به إذا حضر ويأنس له إذا جلس إليه ويشعر بأنه قريب من القلب والعقل فيختاره من بين الناس له أخا ويتخذه خليلا يفضى إليه بمكنون سره ويناجيه في ود وحب، إنه أخ له في الله أحبه في الله ومن أجله ولا عجب أن يختار الإنسان أخوه في الله وأن يختصهم بهذا الحب العظيم.

عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال:" الناس معادن كمعادن الذهب، والفضة خيارهم الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".([١٣])

فقد خلق الله الأرواح كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة في مبدأ الكون، والخليقة فكل إلف يلوذ بإلفه. الخير يحب الخير، والأخيار، ويميل إليهم والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم.

عن عمره بنت عبد الرحمن قالت: قدمت امرأة مزاحه من أهالي مكة المدينة فنزلت على نظيره لها فقالت عائشة رضي الله عنهما: صدق حبي رسول الله– صلى الله عليه وسلم– سمعته يقول:" الأرواح جنود مجنده ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".([١٤])

وقال مالك بن دينار: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الأخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة وقد رأى يوما غرابا مع حمامه فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليس من شكل واحد؟ ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال: من هاهنا اتفقا.

---

[١٣]) مسلم.

[١٤]) البخاري.

إن الإخوان الصالحين عده عند الملمات وساعد الإنسان عند كل خطر وراحة للنفس في كل ضيق ولذلك قال على- رضي الله عنه-: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٠ – ١٠١.

وإذا كان الفضل في اصطحاب الإخوة والحب في الله فمن يختار الإنسان لصحبته ؟ لابد أن يكون ممن تذكرك بالله رؤيته ويزيد في عمل الأخ كلامه ومن يرغب في الآخرة عمله والبعد عن الأحمق لأن الأحمق داء وبلاء يضرك وهو يريد أن ينفعك.

الإخوة في الله كالشجرة تحتاج إلى عناية، ورعاية حتى تدوم خضرتها، ونضارتها، وتنبسق أغصانها، وتمتد فروعها، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

الباب الثاني

فن التعامل

مع الناس

الباب الثاني
فن التعامل مع الناس

موضوع فن التعامل مع الناس من أهم الموضوعات المتعلقة بحياة الناس على كل المستويات بل هو أهم موضوع، وهو الأساس في التعاملات البشرية لأن الناس مهما ابتعدوا ومهما افترقوا لابد وان تربطهم ببعضهم تعاملات حتى، وإن كانوا أصحاب ديانات مختلفة ولقد تعامل الرسول مع أهل الأديان الأخرى فكان–صلى الله عليه وسلم– من حسن المعاملة بمكان حتى أغرت معاملته أهل الأديان الأخرى على الدخول في الإسلام. ولما لهذا الموضوع من أهميه ومكانة فقد اعتنت به كل الشعوب في العالم ومن بينها الشعوب الإسلامية.

ولدى الغربيين معاهد خاصة يُدرَّس فيها ما يسمى بالمهارات الاجتماعية: كيف يتحدث الإنسان؟ كيف يكسب الثقة بنفسه؟ كيف يكون لبِقاً في الحديث مع الناس؟ كيف يتفادى الأمور التي ليس منها فائدة ولكنها تجلب عليه الضرر الكثير كيف يتفادى نفع قليل يعقبه ضرر كبير؟.

والإسلام فيه الكثير من كنوز الآداب بل كله درر تعين من يريد أن يتعامل بالحسنى مع النفس قبل الناس، ومنها آداب التعامل، وقد أُعطينا القدوة من الأنبياء، وخاتمهم رسول الله عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وأصحابه الكرام عليهم سحائب الرضوان، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ولكن المسلمين في بعض العصور، والأوقات بسبب بعض العوامل الخارجية تارة، وتركهم التعمق في أمور دينهم أخرى، وانتشار البدع، وغيرها من الأمور التي أهملوا بسببها أمور دينهم فلم يستطيعوا أن يستفيدوا منها ولم يتجاوزوا حتى الآن مرحلة التنظير(مرحلة الفكر)يقال: من آداب الصحبة كذا، ومن آداب العشرة كذا، ومن آداب الحديث كذا. وقليل من الناس من يتدرب ويُدرِّب قومه.

فليس هناك تدريب عملي إلا نادراً فالقالب هو التعليم وليس التربية، والتدريب العملي هو المطلوب.([١٥]).

وهناك عوامل كثيرة تساعد على نمو هذا الفن وازدهاره في ثوب إسلامي جميل حتى يتزين به الجميع في ظل ديننا العزب الفرات منها:

---

[١٥]) فن التعامل مع الناس ص: ٦.

الفصل الأول

اكتشاف الذات:

تعرف على نفسك، عندما أكتشف ذاتي ما الذي سيستجد؟؟

سؤال يطرحه بعض الناس وهم يتناسون أنهم يحملون في داخلهم كينونة إنسانية هي من التعقيد الشيء الكبير...

هذا العلم نبغ به الغرب لإحساسه حسبما أعتقد بفراغ نشأ داخليا في ذات كل إنسان هناك، قد يكون جزءا من الحل الذي ينشدونه ولكنه يبقى جزءا، فما بالنا نحن المسلمين المالكين لجوانب النشاط الروحي بين جوانبنا لا نعبأ بالواقعية التي تفوق الغرب بها علينا.....

المشكلة تكمن في أننا في جوانب تربيتنا نركز على بناء الإنسان المسلم المدعم بالنظريات ولا نبني في معظم الأحيان ذلك الإنسان المسلم الواقعي الذي يستمد من تلك النظريات التي يحملها واقعا مناسبا له يملك أبجديات التعامل معه وإنما نترك له التشتت هنا وهناك بين صراعات يمر بها كإنسان يعيش على ظهر هذه المعمورة وبين إنسان هو بكل فخر صاحب رسالة.

من خلال احتكاكي بكثير من الشباب وهم عماد الأمم وجدتهم أبعد ما يكونون عن معرفة أنفسهم فكيف بهم يدخلون بحر تغيير الأنفس والآفاق؟؟...

مرحلة اكتشاف الذات هي مرحلة خطيرة لأنها ترسم مسار الإنسان في رحلته على هذه الأرض... هذه المرحلة تتطلب من الإنسان أن يوقظ نفسه بمعنى أن يتوقف لفترة قد تطول أو تقصر عن مجاراة هذا العالم المضطرب... لحظات تطلب منه طرح أسئلة معينة على النفس:

من أنا ؟؟

ماذا أفعل في هذه الدنيا؟؟

ماذا أعرف عن نفسي؟؟

لماذا خلقت؟؟

كيف أريد أسلوب حياتي أهو بعيدا عن الناس أم وسط زحمة هذا العالم أم في عداد حاملي الرسالات؟؟

هذه الأسئلة وغيرها الكثير –الذي يتفاوت من شخص لآخر– يحمل لنا العديد من الإجابات المريحة التي تضع النقاط على الحروف في نفوسنا!!

إنسان في وسط هذا العالم الصاخب وجد نفسه في غربة لظروف كانت قاهرة وإن كان الإنسان في معظم الحالات هو المسئول عن ظرفه لأنها من صنعه، كان يحمل بين جوانبه

خلفيات(نظرية) بسيطة عن دينه وعن أصدقائه، وعن أهله، وعن كل شيء، ولكن لا وجود لشيء عن نفسه!!

وجد نفسه يضطرب باضطراب هذا العالم، وجد نفسه يقع في تحديات خطيرة لولا الله لتفتت شخصيته، ووجد نفسه يجاري هذا العالم في عبثه.. في وقت ما شاءت العناية الإلهية أن يتوقف، ويبتعد عن عجلة الزمان لبعض الوقت وكان هذا هو المفترق الخطير في حياته...

وتوقف، وطالت وقفته، ولكن بعد ذلك ولد من جديد أدرك من هو(؟) وأدرك ما دوره وأدرك الكثير –وليس كل شيء لأنه لا وجود للكمال هنا–عن نفسه وأقول أدرك ولا أقول عرف لأن المعرفة بالشيء لا تولد القيام به كما في حالة الإدراك والاستيعاب...ما الذي حصل هنا؟؟

ما حصل هو معرفة الأنا وفك لغز هذه الكينونة الداخلية بكل بساطة...

مصطلحات ضخمة أليس كذلك؟؟

ولكنها بسيطة إذا أردنا سبر أغوارها...

هي قصة شاب أعرفه حق المعرفة، ولكنه تحول إلى إنسان أجاد فن التعامل مع نفسه وبالتالي مع الآخر..... دعونا ندخل في صميم هذا الشاب.....

ولكي نعطي للموضوع بعدا آخر سنترك الشاب يروي لنا رحلة اكتشاف ذاته بنفسه!!

يقول الشاب: دخلت الجامعة ووجدت نفسي في عالم يدور وأنا لا أدرك دورانه لجهلي ولبساطة فطرتي... الخجل يلفني والرعب من المستقبل القادم يضرب طوقا حولي والمجتمع الذي حولي يفرض نفسه علي... لن أقول بأنني كنت كاللقمة السائغة لمن حولي ولكن كنت أنا تلك اللقمة بعينها... جهلي بالتعامل مع الواقع الذي أعيشه كان دائما يؤثر سلبا على نفسيتي... ضغطي يرتفع كلما تعرضت لأزمة ما... ثقتي بنفسي بدأت بالتلاشي بعد كل انهيار عصبي... كنت أعتبر نفسي حاملا لرسالة ما ولكن كان الواقع المؤلم يمنعني من أداء هذه الرسالة لأنه تفوق علي وأحكم سيطرته على الموقف وبدأ الاستسلام كرد فعل منطقي.....

في ذاك الوقت كان يتردد على مسامعي من الداخل صوت قوي يخرج من أعماق غائصة في نفسي وهي تسألني لماذا الاستسلام فقلت لها: وماذا تريدين مني أن أفعل تجاه هذا الواقع؟ فقالت: اكتشفني!!!

وقفت مدهوشا لهذه الكلمة التي وقعت على مسامعي وترددت في أصدائي للحظات عديدة، اكتشف ذاتي؟؟ ما هذا المصطلح؟؟

بعدها بأيام عزمت على البدء، كثير من تصرفات الفرد يكون منشؤها ردات الفعل وغالبا ما تكون هذه الردات سلبية في اتجاهها ومسيطرة في طرحها إلى حدود تمنع العقل من الرؤية

الشاملة للنقطة، وقمت بإصلاح الخلل والبعد عن الردات ولكن ينقصني التوازن الذي سيكون هو الميزان لوزن الأمور وتجنب الإفراط والتفريط.

هذه النقطة وهي التوازن حصلت عليها أثناء قراءتي لكتاب في تربية الطفل.

كان هذا الكتاب يعتمد على منهاج التوازن للدلالة على فلسفته، فلقد كان يعرض الموقف ويعطي الحل لهذا الموقف تارة في أقصى اليمين وتارة في أقصى اليسار وإذ بالحل المتوسط والمتوازن يظهر لوحده في المنتصف.

من هذه الفلسفة تعلمت هذا المبدأ وأدركته وبدأت تطبيقه عمليا في كل موقف يواجهني وبالتالي أًصبح خلقا لأن الخلق هو عادة الفعل...

كذلك كانت هناك العقد المتأصلة في النفس من تجارب الماضي وكان لي معها معارك شتى لمحوها، لا يخفي على القارئ ما لهذه العقد من عظيم تأثير على تفكير الإنسان ولذلك كان النسيان والتفكير لأننا نعيش هذه اللحظة وليس الماضي، فالماضي لا يجب أن يكون له ذلك التأثير السلبي على عقلية الفرد لأن الماضي وجد لكي يتخذ الإنسان منه العبر والمواعظ لا أن يؤثر في حياته فينحى بها منحى آخر...

هذه النقاط الثلاثة قادتني نحو التفكير الموضوعي وإدراك أساليبه وبالتالي الدخول إلى عالم النفس بكل صدق وواقعية، أي أن المزيج الذي ظهر من تلك المكونات الثلاثة **(طرد ردات الفعل، التوازن، محي العقد)** أكسبني قدرة على التعامل بموضوعية مع نفسي.

فصارت الحقيقة جلية أمام ناظري عندما أحكم على فعلي الذي قمت به... وهكذا مع قليل من الصداقة مع النفس وكثير من التقوى والصلة بالله والشفافية صرت أستطيع توجيه اللوم مباشرة إلى نفسي إن أخطأت دون التحرج من نفسي في ذلك وبالتالي توطدت العلاقة مع نفسي مما فتح الباب أمامي في الدخول إلى عالمها الرحب والبدء في اكتشافها.....

بداية حاولت التعرف على الأمور التي تجعلني متوترا ومكتئبا وكتبتها على الورقة، وبدأت بتفنيد كل منها على حدة ومع المصارحة والحوار الداخلي أمكنني القضاء على المحبطات لأنها من الأمور الصغيرة التي لا يجدر بنا الاهتمام بها لأنها صغائر، هذه النقطة بدأت ألمس تأثيرها على علاقاتي مع رفاقي، فلم أعد أهتم بتلك القضايا الصغيرة التي تنشأ بين أصحاب الجيل الواحد(لنقل الأنداد) مما انعكس إيجابا على علاقاتي الاجتماعية...

وهكذا سبرت أغوار نفسي وتعرفت عليها وتوطدت علاقتي مع ربي وفتحت لي آفاق أخرى في الاتصال مع بني البشر.....

هذه القصة أو السيرة الذاتية التي نقلها لنا صاحبها تبين لنا الكثير عن أهمية الاكتشاف الذاتي...

فكما رأينا كيف أدى الاكتشاف الذاتي إلى علاقة رائعة في شفافيتها مع رب العالمين ومع بني البشر ومع النفس نفسها في إصلاح أمورها...

النقطة التي تلي الاكتشاف الذاتي هي مجال العلاقات الاجتماعية وعلاقة العبد مع ربه وعلاقة الإنسان بواقعه ومجتمعه:

١. العلاقات الاجتماعية:

كما قال صاحبنا فإن التخلص من العقد المتأصلة في نفوسنا سيفتح أمامنا المجالات المتنوعة لعلاقات أرحب مع الآخر... فعندما مثلا تضع في ذهنك هذه المقولة(عند تعاملك مع الآخرين، تعامل معهم منطلقا من لحظتك التي تعيشها الآن! ولا تجلب الماضي البائس)، هذه المقولة لو طبقت من بعض بني البشر لكان الحال مختلفا!!

وعندما نتعامل مع الآخرين بإطار أننا نخدمهم لوجه الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الإنسان: ٩

لأن الأجر من عند الله فإن الفارق يظهر كالشمس في وسط النهار، ولكن! مع تطبيق التوازن نجد أننا عندما نتعامل بهذا التجريد سينشأ تعامل جاف في بعض جوانبه باعتبار أننا لا ننتظر الجزاء، لذلك كان لزاما علينا أن نفهم الصورة التالية:

عندما نعطي شخصا ما عطاء ما – بغض النظر عن ماهية هذا العطاء– ونذر أنفسنا أصحابا للعطاء فإننا بغير قصد نطبق أقصى درجات الأنانية لماذا؟؟

لأنك عندما تعطي وتعطي ولا تترك الفرصة للآخر لكي يعطي فإنك تحرمه من العطاء هو الآخر، لأنك عندما تعطي فهذا يدل على وجود مقدار معين من المحبة عندك تجاه الذي تعطيه... الآن انقل (الكاميرا) أو المنظور إلى الطرف الآخر وضع نفسك في مكانه، ستجد نفسك آخذا للعطاء ولكنك لا تستطيع أن تعبر للذي يعطيك ذلك الحب الذي يغلف علاقتك به؟؟

شلل نصفي أليس كذلك؟؟؟

تأخذ وتأخذ دون أن تستطيع التفكير ولو للحظة بالعطاء لكي تعبر لحبيبك عن حبك له، لجهل حبيبك بأبجديات العلاقة المشتركة بين الإنسان!!!

من هذا المثال الحي الذي يفسر الكثير من المشاكل التي تحدث في البيوت بين الزوجين، تستطيع أن تقدر ما لنظرية التوازن من أثر ساحر، كيف؟؟

تملي علينا نظرية التوازن في هذا الموقف أن نكون أصحاب عطاء وأيضا أصحاب أخذ وذلك لكي نترك الفرصة للإنسان الآخر لكي يعبر عن حبه الإنساني لنا وهي حاجة فطرية فينا نحن البشر لأننا بحاجة إلى التعبير عن حبنا للآخر وهذا الحب يتخذ أشكالا عديدة منها العطاء.....أكتفي بذكر المثالين السابقين لأنني أعتقد بأنهما وضحا الصورة جيدا.....

٢. علاقة العبد مع الرحمن الرحيم:

بسبب الاكتشاف الذاتي سوف تقوى علاقتك مع الله، كيف؟؟

عندما تطبق نظرية التوازن في سبر أغوار نفسك ستتعرف على الجوانب المادية في حياتك ونظيرتها الروحية، وهنا سوف تبحث عن مدى الاتزان الحاصل في نفسك، فلا يخفي عليك أخي القارئ كم سلبتنا روحانيتنا وشفافيتنا مع ربنا وأسرنا ومجتمعنا هذه المادية التي نعيشها، ولذلك كان التوازن لكي يعيد الأمور إلى نصابها ويحفظ حالة من الاتزان، لذلك كان حريا بكل واحد منا أن يزود كينونته النفسية بجهاز إنذار يعلمه بأي خلل في ذاك التوازن الذي نرتضيه لأنفسنا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣، من ناحية أخرى، عندما أحقق الاكتشاف الذاتي سأصل إلى الأجزاء الناقصة في علاقتي مع ربي وأبدأ بعملية البناء لكي أنهض ببناء أقوي، بمعنى أنني مثلا قد أجد عندي نقصا في حفظ القرآن الكريم مما يعني بسبب معرفتي بنفسي وعلاقتي الصادقة معها سيكون لزام علي أن أحسن هذا الجانب، أيضا عندما أشعر بنقص في عدد مرات الاستغفار اليومية سيكون لزاما علي أن أزيدها لأنني أعلم الداء وبيدي أصبح الدواء، وكذلك ينطبق الأمر على قيام الليل وقراءة القرآن....هذا من الناحية التعبدية،، أما من ناحية أخرى، فإنك مثلا بعد أن اكتشفت نفسك وجدت أنك تميل باتجاه العلم في المجال الهندسي مثلا، فلذلك سوف ينصب اهتمامك على الإبداع في هذا المجال لأنك صاحب رسالة وفي نيتك أنك تعبد رب الأرباب بسعيك إلى خدمة الإسلام في مجالك هذا، وهكذا في العديد في الأمور الحياتية.....

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: في كل بضعة أيام أنظر إلى أدراج مكتبي لأُذهب الفوضى التي حلت به من قصاصات متناثرة وسجلات مبعثره أدت الغرض منها. يجب أن أرتب كل شيء في وضعه الصحيح وأن يستقر في سلة المهملات ما لا معنى للاحتفاظ به في البيت إن غرفه، وصلاته تصبح مشعثة مرتبكة عقب أعمال يوم كامل فإذا الأيدي الدائبة تجول هنا وهناك لتنظف الأثاث المغبر وتطرد القمامة الزائدة وتعيد إلى كل شيء رُواءه ونظامه.

ألا تستحق حياة الإنسان مثل هذا الجهد؟

ألا تستحق نفسك أن تتعهد شؤونها بين الحين والحين لترى ما عراها من اضطراب فتزيله وما لحقها من إثم فتنفيه عنها مثلما تنفي القمامة عن الساحات الطَّهور؟

ألا تستحق نفسك بعد كل مرحلة تقطعها من الحياة أن تعيد النظر فيما أصابها من غنم أو غرم؟

وأن نرجع إليها توازنها واعتدالها كلما رجتها الأزمات وهزها العراك الدائب على ظهر الأرض في تلك الدنيا المائجة؟

إن الإنسان أحوج الخلائق إلى التنقيب في أرجاء نفسه، وتعهد حياته الخاصة، والعامة بما يصونها من العلل والتفكك. ذلك أن الكيان العاطفي والعقلي للإنسان قلما يبقى متماسكا اللبنات مع حدة الاحتكاك بصنوف الشهوات وضروب المغريات فإذا ترك لعوامل الهدم تنال منه فهي آتيه عليه لا محالة وعندئذ تنفرط المشاعر العاطفية والعقلية كما تنفرط حبات العقد إذا انقطع سلكه.([١٦])

٣. اكتشاف الذات خط دفاع ضد العديد من الأمراض.....

نهاية مأساوية لإنسان العصر الحديث ...لماذا؟؟

من أجل نقاش حاد أو من أجل مأزق معين أو من أجل صراع في الشركة بين الموظفين، أو من أجل.....الخ.

هذا بالطبع غير المشاكل الداخلية كالصداع وخفقان القلب السريع والإسهال وعسر الهضم والإمساك والأرق والتعب والتفشش بالأكل وضعف الذاكرة وجفاف الفم وعدم القدرة على التركيز والأيدي الباردة وغيرها الكثير، يا لطيف!!!!

لماذا كل هذا يا عبد الله؟؟؟

سيساعدك اكتشافك لذاتك على تطوير مقدرتك النفسية على مقاومة التوتر والقلق والاكتئاب...عندما تستوعب وتدرك بأنه يجب عليك أن تعيش في حدود يومك فقط! فهذا يعني عدم إشغال نفسك بأمور تريد أنت أن تستبق أحداثها، حاول إسعاد نفسك الآن لا تهتم بشأن البحث الذي سوف تلقيه غدا مثلا، كل ما يجب عليك هو أن تخصص له وقتا معينا وكفي...

لكن بتطبيق نظرية التوازن لا أقول بمنعك عن التفكير بالمستقبل لأنه من حقك التفكير بذلك المجهول ولكن لا تدع الأمر يتجاوز حده ووقته...حاول أن تبتسم الآن..

مثال آخر: لديك ظروف عجيبة تمنعك عن التأقلم معها، تقف وتركض بعيدا أم تشعر نفسك بقوة التحدي وتتحدى الظروف، وتصنع من الليمون شرابا حلوا(الغزالي)!!!

التخطيط وإدارة وقتك كل ذلك يساعدك على حياة صحية في هذا العالم المضطرب، قم بتحديد أولوياتك وأعطها سلما من الأفضلية ولا تنسى وجود الكثير من الأمور الغير مهمة، وضعها على الورقة فمع الورقة والقلم يحلو السمر...

---

[١٦]) جدد حياتك الشيخ محمد الغزالي(ص١٦-١٧)

عندما تصيبك مشكلة، لا تفكر في المشكلة فقط فكر في المقدمات التي تدركها عن المشكلة وعندما تحيط إحاطة جيدة بهذه المقدمات توكل على الله وابدأ في حل المشكلة انطلاقا من المقدمات التي تعرفها تمام المعرفة فأنت لها يا عنترة...

عندئذ ستصل إلى النتيجة بعد توفيق الله لك.....

هذه بعض الأمور التي تفيد في حياتنا اليومية كبشر نعيش على ظهر هذه المعمورة.....

وأنا أرى أن تتكامل هذه العلوم الإدارية النفسية مع مناهج التربية التي يضعها الأخصائيون لكي تعطينا إنسانا صالحا ومصلحا قادرا على التعامل مع واقعه بكل ليونة وديناميكية من منطلق خلفية ثقافية إسلامية أصيلة تكون هي عماد الحياة وأساسها،،،،،،،

الفصل الثاني

اختلاف الطباع وأساليب التعامل:

الناس منذ خلقهم الله وهم مختلفوا الطبائع والرغبات والميول مثل الأرض التي خلقوا منها منهم الصعب، ومنهم اللين، ومنهم القاسي، ومنهم الخب، ومنهم المخادع، ومنهم المداهن، ومنهم المخلص، ومنهم المنافق، ومنهم الانطوائي، ومنهم الاجتماعي ومنهم.....

عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه–أن الرسول–صلى الله عليه وسلم– قال:" إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب".([١٧])

وتمثل بعض الشعراء بهذا المعنى، فقال:

الناس كالأرض ومنها هُمُ *** فمن خَشنِ الطبع ومن ليِّنِ

فجندلٌ تدمى به أرجلٌ ******* وإثمدٌ يُوضع في الأعينِ

ويُعلم بداهةً أن معاملة هذه الاختلافات معاملةً واحدةً لا يستقيم. فما يلائم هذا لا يناسب ذاك، وما يحسُنُ مع هذا لا يجمل مع غيره. لذا قيل:(خاطبوا الناس على قدر عقولهم).

وكان شأنه –صلى الله عليه وسلم– في تربية أصحابه وتعليمهم أن يراعي أحوال من يتعامل معهم وينزل الناس منازلهم. ففي فتح مكة أمر الرسول– صلى الله عليه وسلم–المنادي أن يعلن في الناس أن من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن...، ألا ترى أن دار أبي سفيان لم يكن لها ما يميزها عن دُور أهل مكة، وأن دخول هذه الدار أو غيرها سيان؟.

ومنها توزيعه– صلى الله عليه وسلم– بعض أموال الغنائم والفيء على أناسٍ دون أناس.

وكذلك تقسيمه الأعمال والمهام على أصحابه كل بحسبه، فما أوكل إلى حسان غير ما أوكل إلى معاذ ويصح ذلك مع أبي بكر، وعمر، وصهيب، وخالد، وبقية الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

إن التعامل مع الناس فن من أهم الفنون نظراً لاختلاف طباعهم.. فليس من السهل أبداً أن نحوز على احترام وتقدير الآخرين.. وفي المقابل من السهل جداً أن نخسر كل ذلك.. فإن استطعت توفير بناء جيد من حسن التعامل فإن هذا سيسعدك أنت في المقام الأول لأنك ستشعر بحب الناس لك وحرصهم على مخالطتك، ويسعد من تخالط ويشعرهم بمتعة التعامل معك إنها المعرفة بنفسيات الناس وما يطيقون وما يحبون، ومعرفة الدخول إلى قلوبهم.

---

[١٧]) السلسلة الصحيحة برقم (١٦٣٠)

ولنعلم جيدا ونضع نصب أعيننا أن إرضاء الناس غاية لا تدرك وأن إرضاء الناس لابد وأن يكون من خلال إرضاء الله، ولا ننظر لنقد الناس لنا وكلامهم في حقنا على انه جريمة لا تغتفر وأن هذا ليس بالغريب في أمر الخلق لأنهم قد سبوا الخالق الرازق فماذا يتوقع الناس؟

إننا سنواجه في حياتنا حربا ضروسا لا هوادة فيها من كل ألوان الإيذاء والآلام بشتى أنواع الطرق، والوسائل من التحطيم الذي يصيب في مقتل والإهانات والتهم التي تكفي الواحدة منها لهدم الأسر فكيف بالشخص الواحد، ولنا في رسول الله– صلى الله عليه وسلم– خير أسوه فقد حيكت له المؤامرات والضغائن والتهم، فقد اتهم –صلى الله عليه وسلم– تهما تفتت الكبد، وتهدم البنيان، وتفتت عضد الجماعة.

لقد اتهم في عرض أهله في أحب نساءه إليه إنها السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، حمله مغرضة تزعمها رأس النفاق، وهذه التهمه تعتبر من العيار الثقيل، أو تعتبر أفظع تهمه يرمى بها عربي في هذا الزمان بل عبر كل الأزمان والتهمه إن كان الغربي يتعجب من ضآلة حجمها لأنهم فقدوا حمرة الخجل، والغيرة على أعراضهم إلا أنهما في حق العربي في أيامنا هذه تعتبر من أشنع التهم التي تلزم صاحبها العار والشنار، بل ويتوارثها أولاده من بعده فكيف يكون الحال إذا قيلت في وقت كانت الفضيلة شعاره حتى تتعجب إحدى الشريفات قائله:" أَوَ تزني الحرائر؟".

كيف والرسول– صلى الله عليه وسلم– ينهى عن الدياثة ومن يقبل هذه التهمه في أهله فقد قبل فيهم الدياثه.

فعن عمار بن ياسر– رضي الله عنه– عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال:" ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر. قالوا: يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قلنا فما الرجلة من النساء؟ قال: التي تشبه بالرجال".([١٨])

ورغم ذلك تثبت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في الأمر حتى تمت التبرئة من الله ولم يأخذ موقفا متهورا يعقبه الندم لقد طلب ابن زعيم النفاق من رسول الله أن يأذن له في قتل أبيه عبد الله بن سلول ولكنه أبي بل وصلى عليه عند موته وكفنه في قميصه لعل الله يغفر له، وسيظل الأمر كذلك مادام الإنسان ينتقل من نجاح إلى نجاح حتى يختفي من أمامهم أما وأنت بين أظهرهم فانتظر منهم ما يسوؤك، ويبكى عينيك، ويدمى مقلتيك ويذهب النوم عنك إن هناك حزب قطع نفسه على حرب الناجحين، ومعادتهم إن الجالس على الأرض لا يسقط، والساكت لا يخطئ، والفاشل لا يحاربه أحد لكنهم يغضبون من كل إنسان ناجح فاقهم صلاحا وعلما ومالا،

---

[١٨]) صحيح الترغيب برقم (٢٣٦٧)

فالناجح عندهم مذنب لا توبة له حتى يترك مواهبه، ونعم الله عليه وينخلع من كل صفات الكمال، وينسلخ من كل معاني النبل، ويبقى إنسان لا قيمة له وهذه غاية أمانيهم ولكن الصمود لكلام هؤلاء ونقدهم وتشويههم وتحقيرهم فعليك أن تكون مثل الصخرة الصامتة التي تتكسر عليها حبات البرد لتثبت قدرتها على البقاء إن الإنسان إذا أصغى لكلام هؤلاء وتفاعل معهم حقق أمنيتهم الغالية في تعكير صفو حياته وتكدير عمره ألا فاصفح الصفح الجميل ألا فاعرض عنهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن معاول هدمهم ما هي إلا شهادة إثبات على نجاح الناجح، وعلى قدر أهل العزائم تأتى العزائم، والبعوض لا يجتمع إلا على المصباح المضيء أما المصباح المظلم لا يجتمع عليه أحد والنمل لا يجتمع إلا على الطعام الحلو أما الطعام المر فلا تجتمع عليه الحشرات وكذلك الطعام الحامض والحار إن أبلغ رد على هؤلاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ ﴾ آل عمران: ١١٩ .

واستمر في العمل والنجاح وزيادة الفضائل وتربية المحاسن وتقويم الاعوجاج ونسيان النظر إلى الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

الفصل الثالث

التعامل مع الإنسان:

كل صاحب همة يتفنن في صيد ما يريد، عاشق المال يتفنن في جمعه وتنميته ويحرص على تعلم مهارات التجارة، والربح، ومروجوا البضائع كل يسعى إلى تزيين بضاعته بما يراه يجعلها رابحه أكثر من غيره من منافسيه سواء كانت حراما، أو حلالا كل في مجاله يحرص كل الحرص على أن تكون بضاعته رائجة، ومطلوبة، وكسب القلوب من أهم البضائع التي تحتاج إلى مهارات لا يقدر عليها عامة الناس، بل الكثير، والكثير لا يحاول حتى تعلم واحدا منها، ولنضرب الآن مثلا بسيطا، وربما أن نكون جميعا قد تعرضنا لمثله، أو صدر منا مثله الكثير والكثير هب أنك دخلت مجلسا فيه عدد من الرجال فمررت بالناس تصافحهم فالأول مددت إليه يدك تصافحه فناولك طرف يده، ورد السلام عليك ببرود، وعدم مبالاة.

والثاني كان مشغولا بحديث جانبي ففاجأته بالسلام فرد ببرود وصافحك دون النظر إليك. والثالث كان يتحدث بهاتفه فمد يده إليك دون أن يتلفظ إليك بكلمة ترحيب أو يبدى لك أي اهتمام أما الرابع فلما رآك مقبلا قام إليك مبتسما مستعدا بالسلام فلما التقت عينيك بعينيه ابتسم واظهر البشاشة بلقائك، وسلم عليك بحرارة كبيرة، وأنت لا تعرفه، ولا يعرفك ثم سلمت على بقية الجمع ثم أردت أن تجلس فإلى جوار من تجلس؟ إن قلبك، وقدمك، وبصرك يتجهون، وبدون تفكير إلى الشخص الأخير حتى إذا لم تجد إلى جواره مكانا لحاولت جاهدا أن تجلس إلى جواره. وأنت لا تعرفه ولا تعرف اسمه ولا تعرف عنه شيئا ولا كنه من الوهلة الأولى استطاع أن يخلب لبك لا بمال، ولا بمنصب، ولا جمال، ولا حسب، ولا نسب إن القلوب لا تكتسب بالقوة، ولا بالمال، ولا بالجمال، وإنما تكسب بأقل من هذا وأسهل، ومع ذلك فقليل من يفطن إلى ذلك إنك تجد الكثير من الناس ربما أتاك باثا إليك بثه، وحزنه وألمه، وترك اقرب الناس إليه، وهم أخواته، أو زوجه، أو أباه وأنت لا تربطك به أي صله إلا المحبة والاحترام.

إن الإنسان كما هو معلوم مكون من عدة قضايا، فهو ليس آلةً من الآلات، وإنما هو إنسان بروحه وجسمه وعقله ومشاعره وهو محتاج لتغذية هذه الأمور كلها.

وبعض الناس يخطئون عندما يتعاملون مع الإنسان في الجانب الدعوى مثلاً: إذ يتعاملون مع الفكر فقط أو الفعل فقط دون أن يهتموا بمشاعر الإنسان الذي يتعاملون معه. كأصحاب المصانع الذين يتعاملون مع الجسم: كم ينتج؟ كم ساعة يعمل؟، ويهملون جانب الفكر وجانب العقل وجانب المشاعر.

كثير من الناس يهملون جوانب وقضايا من قضايا التعامل مع الإنسان، ولكن لابد من التركيز عليها كاملةً حتى يكون التعامل مع الإنسان شاملاً ومؤثراً.

هذا التعامل الذي أكتب عنه يختلف الأثر الناتج عنه بحسب محتوى الكلام، أو طريقة الكلام، أو السلوك المصاحب للكلام، فقد يقول إنسانٌ كلاماً معيناً تحس منه أن هذا الإنسان يقوله من قلبه، وآخر يقول الكلام نفسه غير أنك تحس أنه يقوله من فمه. شخصٌ يقول: جزاك الله خيراً.

وثانٍ يقول: الله يجزيك الخير(تقديم لفظ الجلالة (الله) المد فيه يوحي بالصدق ويدل عليه بالضغط على الحرف المشدد وهو حرف اللام في لفظ الجلالة (الله).

وثالث يقول: جزاك الله خيراً فستشعر أن الثاني والثالث يقولان الكلمة من قلبيهما، وهذا يحتاج إلى تدريبٍ وإلى ممارسةٍ، فإنسان يكلمك وهو ينظر إليك فهو يحترمك ويقدرك، فهذا يختلف عن إنسانٍ يكلمك وهو ينظر إلى ورقة أمامه أو إلى مكان آخر، حتى إذا سكت عن الحوار قال لك: تفضل أكمل وهو ينظر إلى الأرض مثلاً.

إن هذا غير مهتمٍ بك. تلك أمثلة متعلقة بالسلوك المصاحب للكلام.([١٩])

وهناك أمثلة تتعلق بمحتوى الكلام أو طريقته أو كيفية التعامل العملي مع الناس تأتي . إن شاء الله . المهم أن يتم التدريب العملي على كيفية التعامل.

فإذا أردت أن تكون رأسا لا ذيل احرص على تتبع المهارات التي توصلك إلى ذلك أينما كانت ومع من كانت ودرب نفسك عليها كان شاب ممن بدأ الطريق إلى الله ودخل في الالتزام حديثا قصر ثوبه عاب على كل من لقيه دخل في مشاكل كثيرة مع كثير من الناس بسبب حرصه الزائد على أن يكون الناس كلهم مثله في طريق الهداية مر ذات يوم من بيته إلى المسجد ليؤدي صلاه العصر يقوده حرصه على الصلاة ويدفعه تعظيمه للدين مر وهو طريقه على ورشه ميكانيكي وهو يقوم بإصلاح بعض السيارات والرجل ماكث أسفل السيارة، ولا يرى وجهه فقال له الشاب المندفع، وهو يتعجب، ويفرك يداه ويقضم على أسنانه من هذا الرجل الذي يسمع النداء، ولا يلبي ويترك الصلاة وهى عماد الدين واصله ومن تركها يكفر وهى أخر وصايا الرسول وهو على فراش الموت وهى العهد الذي بين المسلمين وغير المسلمين فصاح الشاب به غاضبا عجل للصلاة يا حمار ألا تعلم أن من ترك الصلاة كافر وأنَّ الله لا يبارك لك في رزقك، ولا مالك، ولا أهلك، ولا ولدك، ولا في أي شيء تضع يدك فيه فغضب الرجل وهم أن ينهض من أسفل السيارة وبفتكك بالشاب وحاول أن يأخذ قضيبا مما يصلح به السيارة ليضرب به الشاب ولكن الشاب فر هاربا قبل أن يقوم الرجل ولم يرى وجهه وبعد عدة شهور مر هذا الشاب بعد أن تعمق في أمر الدين واطلع على منهج السلف والخلف في طريق الدعوة، والأساليب الذي يستطيع أن يستميل

---

[١٩]) فن التعامل ص: (٨)

بها القلوب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥

مر على نفس الرجل وهو يصلح سيارة أخرى، والأذان ينادى به لصلاه الظهر فاقترب من الرجل، وقال بتطلف: السلام عليك ورحمه الله وبركاته. كيف الحال؟

قال الشاب هذا ووجهه تعلوه ابتسامه عريضة.

قال الرجل: وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته الحال بخير، والحمد لله.

قال الشاب: وسع الله لك رزقك ورزق أولادك وبارك لك الله فيه ويكفيك الشر ويبعد عنك المرض أنا فلان أسكن في الحارة المجاورة لك وأنا الآن ذاهب لأداء صلاه الظهر ولكن يبدو أنك من شدة انشغالك لم تسمع المؤذن فإن أردت أن تستريح قليلا وتؤدى الصلاة وبعد الصلاة تكمل العمل وربنا يبارك لك في أهلك ومالك فسر الرجل كثيرا لهذا الأسلوب وهذه الطريقة المهذبة وهذه الدعوى بالحسنى والموعظة الحسنه.

فقال الرجل: إن شاء الله وانتظرني حتى أذهب معك يا بني حقا لا بارك الله في شيء يلهى عن الصلاة وبينما هما في الطريق إلى المسجد اشتكى الرجل إلى الشاب من سوء طريقة البعض في الدعوة إلى الله ومن قلة الأدب التي يتعامل بها بعض الشباب وقال له: مر على منذ عدة أسابيع شاب لم أره وأنا أعمل أسفل السيارة وتحدث بأسلوب مستفز دعاني إلى التأخر عن الصلاة من أجل طريقته وليته فعل معي مثل ما فعلت أنت يا بني فهدأ الشاب من روعه وشكر كل منهما الآخر على حسن الخلق وسارا أصدقاء ولا يخرج أحدهما إلى الصلاة حتى يسأل عن صاحبه ويسيرا معا ويعودا معا اللهم إلا إن كان هناك أمر خارج عن الإرادة.

ما أجمل أن يعيد الإنسان تنظيم نفسه بين الحين والحين وأن يرسل نظرات نافذة في جوانبها ليتعرف عيوبها وآفاتها وأن يرسم السياسات القصيرة المدى والطويلة المدى ليتخلص من هذه الهنات التي تزري به.

ولكن لابد للإنسان أن يجتهد في إصلاح نفسه، وتعهدها على الدوام وأن لا تكون لحظه خاطفه يرتد بعدها المرء إلى ما ألف من فوضى وإسفاف وليست محاولة فاشلة ينقصها صدق العزم وقوة التحمل وطول الجَلد كلا إن هذه العودة الظافرة التي يفرح الله بها هي انتصار الإنسان على أسباب الضعف والخمول وسحقه لجراثيم، والوضاعة، والمعصية، وانطلاقه من قيود الهوى، والجحود، ثم استقراره في مرحله أخرى من الإيمان والإحسان والنضج والاهتداء إنها حياه تحددت بعد بلى ونقله حاسمه غيرت معالم النفس كما تتغير الأرض الموات بعد مقادير هائلة من المياه والمخصبات إن تجديد الحياة لا يعن إدخال بعض الأعمال الصالح، أو النيات الحسنه وسط جمله ضخمه من العادات الذميمة، والأخلاق السيئة فهذا خلط لا ينشئ به المرء مستقبلا حميدا،

ولا مسلكا مجيدا. بل إنه لا يدل على كمال، أو قبول فإن القبول المتحجرة قد ترشح بالخير والأصابع الكزه قد تتحرك بالعطاء. هذه العودة تتطلب أن يجدد الإنسان نفسه، وان يعيد تنظيم حياته، وأن يستأنف مع ربه علاقة أفضل وعملا أكمل وعهدا يجرى فيه على فمه هذا الدعاء "من قال حين يصبح أو حين يمسي:" اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك وأبوئ بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".([٢٠])

[٢٠]) البخاري.

الفصل الرابع

الدوافع التي تُحرِّك المسلم إلى حُسنِ التعامل:

هناك عدة دوافع أو عوامل تحرك المسلم إلى حسن التعامل:

١)أن يكون من خير الناس أو خيرهم:

هذه سهام لصيد قلوب الناس، أعني تلك الفضائل التي تستعطف بها القلوب، وتستر بها العيوب وتقال بها بإذن الله العثرات.. فالمسلم يبحث عن رضي الله ومحبته، وأن تتحقق الخيرية في نفسه ويكون من خير الناس أو خيرهم.

يقول الرسول–صلى الله عليه وسلم–: "خير الناس أحسنهم خُلُقاً".([٢١])

فالمسلم لا يُحسِّنُ خلقه ليكسب مصلحة، إنما لكسب رضا الله عز وجل، وهنا تستمر الأخلاق سواء رضي الناس أم لم يرضوا، تحسنت العلاقة أم لم تتحسن، كسب الود أم لم يكسب، فالأجر ثابت على أيَّة حال، وهذا هو ضمان الاستمرارية مع العلم أن العلاقة بالناس ستتحسن بل وتكون على ما يرام رغم أنفهم لأن الله إذا أحب عبدا حببه لخلقه.

قال–صلى الله عليه وسلم–:" المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس".([٢٢])

إن من أقوى العوامل على كسب الآخر هي أن تتعامل مع كل واحد تعاملا رائعا يجعله يشعر أنه أحب الناس إليك فتتعامل مع أمك تعاملا مشبعا بالرحمة والحنان يجعلها تشعر أن أحدا من الناس لم يلقى من البر ما لقيت هي ومثل ذلك مع الأب أن يكون التعامل معه مشبعا بالاحترام والإجلال والرحمة والمودة، وكذلك بالنسبة للأولاد والزوجة والإخوة والزملاء، إشعار كل إنسان بأنه هو وفقط بأنه أقرب الناس إلى قلبك وحبك وودك.

وقد كان النبي–صلى الله عليه وسلم– قدوه في ذلك فكان–صلى الله عليه وسلم– يتعامل بمهارات أخلاقية عالية جعلت أصحابه يحبونه حبا يفوق الوصف بل ويفوق الخيال وهذه بعض الأدلة على ذلك كان عمرو بن العاص– رضي الله عنه– داهية من دهاة العرب حكمه وفطنه وذكاء، وكان من ألَد الناس خصومه للرسول والمسلمين اسلم – رضي الله عنه– وكان رأسا في قومه فكان إذا لقي النبي–صلى الله عليه وسلم– في طريق رأى البشاشة، والبشر والمؤانسة، وإذا دخل مجلسا فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– رأى الاحتفاء، والسعادة بمقدمه وإذا دعاه النبي ناداه بأحب الأسماء إليه. شعر – رضي الله عنه– بهذا التعامل الراقي، ودوام الاهتمام به أنه أحب الناس إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فأراد أن يقطع الشك باليقين فأقبل يوما إلى

---

[٢١]) السلسلة الصحيحة.

[٢٢]) صحيح الجامع برقم(٦٦٦٢)

رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وجلس إليه ثم قال: يا رسول الله أي الناس أحب أليك؟ فقال– صلى الله عليه وسلم–: عائشة.

قال عمرو: لا من الرجال يا رسول الله؟ لست أسألك عن أهلك.

فقال– صلى الله عليه وسلم–:" أبوها– رضي الله عنه–.

قال عمرو– رضي الله عنه–:" ثم من؟

قال: عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–

قال: ثم أي، فجعل النبي يعدد رجالا يقول: فلان، ثم فلان، ثم فلان بحسب سبقهم إلى الإسلام وتضحيتهم من أجله.

قال عمرو– رضي الله عنه–: فسكت مخافة أن يجعلني في أخرهم.

لقد ملك رسول الله– صلى الله عليه وسلم– شغاف قلب عمرو – رضي الله عنه– حتى قال عليه الرضوان عند وفاته: لقد رأيتني وما أحد على وجه الأرض أبغض إليّ من وجه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ولوددت أنى ظفرت به، ثم رأيتني، وما أحد على وجه الأرض أحب إلى من وجه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ولو طلب منى أن أصفه ما استطعت لأني لم أكن أستطيع أن أنظر إليه إجلالا له – صلى الله عليه وسلم–.

كان– صلى الله عليه وسلم– ينزل الناس منازلهم ويعرف إمكانيات كل واحد منهم ولا يكلف أحدا فوق طاقته أرسل رسول الله جيوشه لتنشر دين الله في أرباع المعمورة فأرسل– صلى الله عليه وسلم– جيشا إلى طئ وكان عدى بن حاتم الطائي– رضي الله عنه– ملكا عليها فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى ديار طئ فر هاربا إلى الشام واحتمى بالروم فلما وصل الجيش إلى ديار طئ كانت الهزيمة لطئ سهلة، ويسيرة، وأسر المسلمون بعض قوم عدى، وكان من بينهم أخت عدى مضوا بالأسرى إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حيث رسول الله واخبروا الرسول– صلى الله عليه وسلم– بفرار عدى– رضي الله عنه– إلى الشام فعجب من فراره. ولكن لم يكن إلى الوصول إلى عدى– رضي الله عنه– سبيل لم يطب المقام لعدى في ديار الروم فاضطر للرجوع إلى ديار العرب ثم لم يجد بدا من أن يذهب إلى المدينة للقاء النبي– صلى الله عليه وسلم– ومصالحته، أو التفاهم على شيء يرضيهما وقيل إن أخته هي التي ذهبت إليه وأحضرته، وهو الصحيح. يصف عدى الحال فيقول: ما رجل من العرب كان اشد كراهة لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– منى وكنت على دين النصرانية، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي فلما سمعت برسول الله كرهته كرها شديدا فخرجت حتى قدمت الروم على قيصر. قال: فكرهت مكاني ذلك. فقلت: والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبا لم يضرني وإن كان صادقا علمت، فقدمت فأتيته فلما دخلت المدينة جعل الناس يقولون: هذا عدى بن حاتم هذا عدى بن حاتم فمشيت حتى أتيت فدخلت على رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في المسجد

فقال لي: عدى بن حاتم؟ قلت: عدى بن حاتم .. فرح النبي بمقدمه، واحتفي به مع أن عديا محارب للمسلمين وفار من الحرب ومبغض للإسلام، ولرسوله ولاجئ إلى النصارى، ومع ذلك لقيه بالبشاشة، والبشر وأخذ بيده يسوقه معه إلى بيته وعدى، وهو يمشى مع الرسول إلى بيته يرى أن الرأسين متساويين فمحمد ملك على المدينة، وعدى ملك على جبال طئ وما حولها، ومحمد على دين سماوي الإسلام، وعدى على دين سماوي النصرانية، ومحمد عنده كتاب منزل القرآن، وعدى عنده كتاب منزل الإنجيل كان عدى يشعر أنه لا فرق بينهما إلا في القوه، والجيش.. وفي أثناء الطريق حدث ثلاثة مواقف:

الأول: بينما هما يمشيان إذا بامرأة قد وقفت في وسط الطريق فجعلت تصيح: يا رسول الله لي إليك حاجه فانتزع النبي يده من يد عدى ومضى إليها وجعل يستمع إليها، وعدى الذي قد عرف الملوك والوزراء جعل ينظر إلى هذا المشهد، ويقارن تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم– مع الناس بتعامل من رآهم منن من قبل من الملوك والوزراء والسادة فتأمل طويلا ثم قال: والله ما هذه بأخلاق الملوك هذه أخلاق الأنبياء. وانتهت المرأة من حاجتها فعاد النبي– صلى الله عليه وسلم– إلى عدى– رضي الله عنه– ومضيا يمشيان فبينما هما كذلك وإذا برجل يقبل على النبي فماذا قال الرجل قال: يا رسول الله اشكوا إليك الفقر. قال الرجل هذه الكلمات وعدى يسمع فأجابه النبي– صلى الله عليه وسلم–بكلمات ومضى.

فما أن سارا خطوات النبي– صلى الله عليه وسلم–وعدى إلى جواره حتى أقبل رجل آخر قال: يا رسول الله اشكوا إليك قطع الطريق. أجابه النبي– صلى الله عليه وسلم–بكلمات ومضى جعل عدى يقلب الأمر في نفسه ومضى وهو في عز وشرف في قومه وليس له أعداء يتربصون به وصلا إلى البيت النبوي فدخلا فإذا وساده واحده فدفعها النبي– صلى الله عليه وسلم– إلى عدى إكراما له وقال: خذ هذه فاجلس عليها "فدفعها عدى إليه قال: بل أجلس عليها أنت حتى استقرت عند عدى فجلس عليها.

عندها بدأ النبي– صلى الله عليه وسلم– يحطم الحواجز بين عدى والإسلام: يا عدى أسلم تسلم أسلم تسلم " قال عدى– رضي الله عنه–: إني على دين. فقال النبي– صلى الله عليه وسلم–:" أنا أعلم بدينك منك. قال: أنت اعلم بديني منى؟ قال: نعم ألست من الركوسية؟ " والركوسيه ([٢٣]).

فمن مهارة النبي– صلى الله عليه وسلم– في الإقناع لم يقل لعدى ألست نصرانيا وإنما تجاوز هذه المعلومة إلى معلومة أدق منها فأخبره بمذهبه في النصرانية تحديدا.

---

[٢٣]) ديانة نصرانية مشربه بشيء من المجوسية.

فقال عدى: بلى.. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: فإنك إذا غزوت مع قومك تأخذ فيهم المرباع.([٢٤]) قال: بلى. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: هذا لا يحل لك في دينك. فتضعضع لها عدى وقال: نعم.

فقال: أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام.أنك تقول: إنما تبعه ضعفه الناس ومن لا قوة لهم وقد رمتهم العرب. يا عدى أتعرف الحيرة ؟-مدينة بالعراق- قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال: فو الذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار احد. أي أن الله سيظهر هذا الدين حتى إن المرأة المسلمة تسافر من الحيرة إلى مكة ليس معها إلا محرمها ولا تحتاج إلى حماية من قطاع الطرق كما هو الحال في هذا الوقت وتمر على القبائل فلا يتعدى عليها احد أو يسلبها مالها لأن المسلمين صارت قوة وهيبة إلى درجه أن أحد لا يجرؤ على التعرض لمسلم خوفا من انتصار المسلمين له فلما سمع عدى ذلك جعل يتصور المنظر في ذهنه فتعجب عدى وقال في نفسه: فأين عنها ذُعار طئ الذين سعروا البلاد، ثم قال: وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز. قال: كنوز بن هرمز؟

قال: نعم كسرى بن هرمز ولتنفقن أمواله في سبيل الله.، ثم قال النبي- صلى الله عليه وسلم-لعدى: ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضه يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه. يعنى من كثرة المال يخرج الغنى يطوف بصدقته فلا يجد فقيرا يعطيه ثم بدأ النبي- صلى الله عليه وسلم- يعظ عديا ويذكره بالآخرة، فقال: وليلقين أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم. سكت عدى متفكرا. ففاجأه قائلا: يا عدى فما يفرك أن تقول لا إله إلا الله أو تعلم من اله أعظم من الله؟

قال عدى: فإني حنيف مسلم أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله فتهلل وجه النبي- صلى الله عليه وسلم- فرحا مستبشرا.

قال عدى بن حاتم: هذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد قالها".([٢٥])

اعملوا فكل مجزى بما عمل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ فصلت: ٤٦. من يزرع الخير لا يحصد إلا الخير، وإن طال العهد به.

---

[٢٤]) هو تقسيم الغيمة أربعه أقسام يأخذ هو ربعها وحده، وهذا حرام في دين النصرانية.

[٢٥]) مسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الكهف: ٨٢

ومن يزرع الشر لا يجنى ألا إبر الشوك، ولا يظلم ربك أحدا. ويلاحظ هذا الأمر بالذات فئة المعلمين أكثر من غيرهم. تجد شابا قد تخرج في الجامعة وأصبح ذا منصب مرموق. وإذا بهذا الشاب يمر عليه معلمه السابق والمدرس لا يعرفه لأن الشاب تغيرت ملامحه، وشكله فإذا به يقبل على معلمه السابق وربما أسرع وقبَّل يده، ونفس الشاب يمر عليه معلمه الآخر فربما لا يعيره أي اهتمام فضلا عن أنه ربما لا يقلى عليه السلام أصلا، هذا معلم، وذاك معلم، والطالب نفسه، ولكنه الخير الذي زرعه الأول عاد عليه خيرا وجنى ثماره مع ما يدخره الله له في الآخرة من ثواب رجال تستريح منهم مناصبهم ويخرجون غير مأسوف عليهم من مناصبهم التي بلغوا فيها الشأو العظيم، والمنزلة الرفيعة والكل كان يتشرف بأن يفتح لهم الباب أو يحمل لهم الحقيبة ويسارع بتنظيف المكتب ويبادر بعرض الخدمات قبل أن تأتيه الأوامر، وفجأة يخرج من هذا الزخم الزائف ليواجه مصيره المحتوم وهو الإحالة إلى التقاعد بعضهم يصاب بالجنون، والآخر لا يتحمل، ويصاب بالعلل والأسقام، وثالث يعيش سعيد مرتاح البال والكل يسأل عنه، ويطلبوا منه زيارتهم، وإذا ذهب إلى عمله السابق رحبوا به أيما ترحيب وكأنه لم يخرج من منصبه، والآخر لا يقلى استقبالا، أو ترحيبا ولا يريد أحد أن يراه. أذكر وأنا أعمل مدرسا بأحد المعاهد الأزهرية بمحافظة بني سويف أن أحد شيوخ المعهد الذي كنت فيه كان رجلا قاسيا منفر يسئ بالجميع الظن وإذا رأى اثنين يقفان معا ظن أن الحديث يدور عليه ويذهب إليهما، ويقترب منهما لعله يتسمع إلى ما يقولون، أو يفرق بينهما، وإذا لم يتمكن من هذا، أو ذاك سأل كلا منهما على حده: ماذا كان يقول لك فلان؟ كان يفرق في المعاملة بين الزملاء كان إذا أحس ضعفا من أحد اضطهده، والعكس أشعل نار الفرقة، والخلاف في المعهد حتى كاد بعض الناس أن يقتتلوا أصيب هذا الرجل بمرض ثم ترقى إلى وظيفة موجه وأتى بعده شيخ هو الوحيد الذي وافق على العمل بهذا المعهد الذي عرض على الكثير، والكل يرفض العمل به بسبب حاله الشحن، والخلاف التي به إلى أن أحضروا له شيخا فطننا لبيبا عارف بأمور الحياة استطاع أن يسير بسفينة المعهد إلى بر الأمان وأحبه الجميع والتفوا حوله، وتقرب من الكل، ووزع العمل كل حسب تخصصه، وسارت الأمور على ما يرام حتى إنه عندما حانت لحظة ترقيته بكى الكثير لفراقه.

اصنع الخير في أهله، وفي غير أهله فإن صادف أهله كان ذلك، ولا تنتظر الخير إلا من الله إن الخيرية والإحسان إلى الناس من أوسع الأبواب التي يدخل منها الناس من الناس واليهم بل قد قال الشاعر

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ** فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى:" يا بن آدم جعت ولم تطعمني. قال: كيف تجوع وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان جاع فما أطعمته أما إنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي يا ابن آدم ظمئت فلم تسقني. قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان ظمأ فلم تسقه أما إنك لو سقيته لو جدت ذلك عندي يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان مرض فمات عدته أما علمت إنك لو عدته وجدت عندي؟.

وقال حاتم :

وما أنا بالساعي بفضل لجامها *** لتشرب ماء الحوض قبل الركائب

وإذا كنت ربا للقلوص فلا تدع ****** رفيقك يمشى خلفها غير راكب

أنخها فأركبه فإن حملتكما ********* فذاك وإن كان العقاب فعاقب

وقال لزوجه:

أماوىً إن المال غاد ورائح ** ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوىً ما يغنى الثراء عن الفتى ** إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

والعجب أنك تجد من يفعل هذا مع البعيد ويتناسى جاره القريب ومن له خير في البعيد إذا لم يكن له خير في القريب؟ ومن يشهد له جاره القريب بأنه كان صالحا ربما يغفر الله له ذنبه لأ ن الجار أقرب الناس إلى الإنسان وهو اعلم الناس بحاله لذلك وصى النبي- صلى الله عليه وسلم- عليه كثيرا لأنه من فعل هذا مع جاره يعم خيره على الناس أجمعين وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

وكان لعبد الله بن عمر- رضي الله عنه- جار يهودي فكان كلما صنع له طعام يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي فقال له الغلام: لطالما تأمرني بهذا قال: لأني سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت...الحديث".

وكان لابن المبارك جار يهودي فكان يبدأ فيطعم اليهودي قبل أبنائه ويكسوه قبل أبنائه فقالوا لليهودي: بعنا دارك.

قال: دارى بألفي دينار ألف قيمتها وألف جوار ابن المبارك فسمع ابن المبارك بذلك فقال: اللهم أهده إلى الإسلام فأسلم بإذن الله. ومر ذات يوم حاجا بقافلة فرأى امرأة أخذت غرابا ميتا من مزبلة فأرسل في أثرها غلامه فسألها.

فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يلقى بها فدمعت عيناه وأمر بتوزيع القافلة في القرية، وعاد وترك حجته تلك السنة فرأى في منامه قائلا يقول حج مبرور، وسعى مشكور، وذنب مغفور.

وهذا شاعر يسوق أبيات يحث، ويصف حاله مع غيره، والنفع الذي يسوقه للغير فيقول:

إني وإن كنت إمرأً متباعدا ** عن صاحبي في أرضه وسمائه

لمفيدة نصري، وكاشف كربه** ومجيب دعوته وصوت ندائه

وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل** يا ليت أنَّ عليَّ فضل كسائه

من أراد أن يكسب الناس فليحسن إلى الناس وليس الإحسان بالمال فحسب بل كل حسب نوعه وكل حسب حاله منهم من يحتاج الإحسان بالمال وهذا النوع ربما يكون أكثر الأنواع ومنهم من يحتاج إلى المعاملة الحسنه ومنهم من يحتاج من يتعهده بقضاء بعض مصالحه، ومنهم من يحتاج لمجرد السؤال، ومنهم من يحتاج للمبادرة، والزيارة من حين لأخر، ومنهم من يحتاج إلى صله، ومنهم من يحتاج إلى من يحسسه بأهميته، وأنه مطلوب، ومنهم من يحتاج منك أن تستخدمه في بعض الأشياء ليحس أنه إنسان مهم وهكذا كل حسب حاله، وحسب شخصيته بشرط أن يكون كل هذا في قالب إسلامي خالصا لله تعالى حتى تدوم الألفة، والمحبة، والعشرة ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

وقد قال احد الشعراء في تأليف القلوب:.

نزلنا على قيسية يمنية ** لها نسب في الصالحين هجان

فقالت وأرخت جانب الستر بيننا ** لأية أرض أم من الرجلان

فقلت لها أما رفيقي فقومه *** تميم وأما أسرتي فيماني

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ** وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

٢)الأخلاق الحسنة مأمور بها:

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نلتزم الحكمة في التعامل مع الناس وهذا عينُ العقل.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥، والموعظة الحسنة هي محتوى الكلام الذي يدعو إلى شيء طيب.

وقد وصف الله تعالى رسوله- صلى الله عليه وسلم- بأنه لين الجانب، وهو إن لم يكن كذلك لخسر الناس ولا انفضوا من حوله وهم الصحابة رضي الله عنهم وهو الرسول- صلى الله عليه وسلم-، فلم: من أراد فليأت، ومن لم يرد فلا يهمنا أمره، إنما كان حريصاً عليهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ آل عمران: ١٥٩، من وسائل المعاملة الحسنة: أن تعفو عنهم، وتستغفر لهم. وتتجاوز عن الأخطاء وتغض الطرف عنها وتستغفر لهم. فتلك وسيلةٌ من وسائل تشجيعهم وتنمية السلوك الطيب فيهم. وتشاورهم في

الأمر أي: تحترم رأيهم وتقدرهم وتعطيهم شيئاً من القيمة عندما تتعامل معهم، فما أسهل الناس وأنت تشاورهم، وما أقربهم منك وأنت تقدرهم.

يقول ميمون بن مهران: "التودد إلى الناس نصف العقل" فالذي يتودد إلى الناس يعتبر مسلكه هذا نصف العقل ولكن بشرط أن يكون ودوداً وعاقلاً".

وقد قال أحد الشعراء:

لا تحسبن العلم ينفع وحده *** ما لم يتوج ربه بخلاق

فإذا رزقت خليقة محمودة *** فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

فالناس هذا حظه علم وذا**** مال وذاك مكارم الأخلاق

عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أيضا قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– :"إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق".([٢٦])

إن حسن الخلق هو بلسم الجراح، والمرهم الذي يلين أصعب الجروح، والمسكن الذي يزيل الألم إنه الدواء الناجع الذي لا يوصفه طبيب. إنه العلاج الناجع الذي يطيب جروح الفرقة، والشقاق. إنه دواء العافية بإذن الله من لكل ما في العلاقات الإنسانية. إنه طب القلوب. إنه عافية الأبدان.

إن حسن الخلق هو الوصفة التي لابد منها لكل مريض بالعبد الاجتماعي الذي ينفر منه القريب والبعيد والصديق، والحبيب لو كان هذا الدواء يباع في الصيدليات لكان كل جرام يباع بالآلف الجنيهات ولا أكتفت الصيدليات ببيعه وحده فقط لأنه الدواء الذي يعالج كل الأمراض حسن الخلق هو مفتاح مغاليق القلوب الصدئة التي علاها الصدأ، وكلت في فتحها كل المفاتيح إلا مفتاح حسن الخلق.

وقد جعله الرسول– صلى الله عليه وسلم–جامع لكل الخير كما ستقرأ في هذا الحديث عندما سئل عن البر فقال واليك نص الحديث. عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:"البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس".([٢٧])

لقد ملك رسول الله– صلى الله عليه وسلم–شغاف القلوب بحسن خلقه مع القريب، والبعيد، والعدو، والصديق حتى وضع قوانين سماويه عن طريق ربه تحدد التعامل مع العدو فكيف يكون حال الصادق الأمين مع الحبيب مع الأهل؟!! الإجابة حدث من الفضل ولا حرج.، ولنأخذ بعض الأمثلة: طلب منه– صلى الله عليه وسلم–أعرابي شيئا فأعطاه، ثم قال للأعرابي: أأحسنت إليك

---

[٢٦]) صحيح الترغيب برقم(٢٦٦١)

[٢٧]) صحيح الجامع برقم(٢٨٨٠)

يا أعرابي؟ قال الأعرابي:لا أحسنت، ولا أجملت فغضب الصحابة، وقاموا إليه فأشار إليهم الرسول أن يكفوا ثم دخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال– صلى الله عليه وسلم–: أأحسنت إليك يا أعرابي؟ قال: نعم، وجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال له الرسول– صلى الله عليه وسلم–: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك؟ قال: نعم. فلما كانت الغداة جاء فقال النبي– صلى الله عليه وسلم–: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك يا أعرابي؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل، وعشيرة خيرا. فتهلل وجه الرسول . صلى الله عليه وسلم وقال: إن مثلي ومثلكم ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة أن خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها واعلم فتوجه لها فأخذ من قمام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار.

عن أبي الدرداء – رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم–قال:" ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق".([٢٨])

كان الحسن جالسا عند باب داره في الكوفة إذ جاءه أعرابي فسبه، وسب أباه فنهض الإمام الحسن قائلا للأعرابي:أجوعان أنت حتى أطعمك أم ظمآن حتى أرويك أم ماذا بك فلم يلتفت الأعرابي إليه بل استمر في سبابه فأمر الحسن عبده أن يأتي بكيس من الفضة، ثم أعطاه للرجل قائلا: عفوا أيها الإعرابي فليس لدى غيره ولو كان لدى المزيد لأعطيتك، وعندما سمع منه الأعرابي هذا القول صاح قائلا: أشهد أنك ابن بنت رسول الله فقد جئت أختبر حلمك.

التدريب العملي لاكتساب الخلق:

مما لا شك فيه أن الأخلاق منها ما هو فطري، ومنها ما هو مكتسب، فما من إنسان عاقل إلا لديه قدرة على اكتساب مقدار ما من الفضائل، وفي حدود هذا المقدار الذي يستطيعه يكون تكليفه، وتكون مسؤوليته، ثم في حدود هذا المقدار تكون محاسبته ومجازاته.

وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة فاستثقل الرياضة، أن الأخلاق لا يتصور تغييرها، كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر.

والجواب: أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، وكيف ينكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشي يستأنس، والكلب يعلم ترك الأكل، والفرس تعلم حسن المشي وجودة الانقياد، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح، وبعضها مستصعبة.

---

[٢٨]) صحيح سنن أبي داود(٤٧٧٩)

وأما خيال من اعتقد أن ما في الجبلة لا يتغير، فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، وأما قمعها بالكلية فلا، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، أو شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية، لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه، وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ الفتح: ٢٩، ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، ولم يقل: الفاقدين الغيظ. وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والتقلل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأعراف: ٣١ ، وإذا تقرر أن بعض الأخلاق تكتسب فإننا نستعرض هنا بعض الوسائل المفيدة لاكتساب الأخلاق الفاضلة، والمعاني السامية.

إن مثال النفس في علاجها كالبدن في علاجه، فكما أن البدن لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل بالتربية والغذاء، كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم.وكما أن البدن إذا كان صحيحاً، فشأن الطبيب العمل على حفظ الصحة، وإن كان مريضاً، فشأنه جلب الصحة إليه، كذلك النفس إذا كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق، فينبغي أن يسعى بحفظها وجلب مزيد القوة إليها، وإن كانت عديمة الكمال، فينبغي أن يسعى بجلب ذلك إليها. وكما أن العلة الموجبة لمرض لا تعالج إلا بضدها، فكذلك الأخلاق الرذيلة التي هي من مرض القلب، علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالعلم، ومرض البخل بالسخاء، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى.

وكما أنه لابد من احتمال مرارة الدواء، وشدة الصبر عن المشتهيات لصلاح الأبدان المريضة، فكذلك لابد من احتمال المجاهدة، والصبر على رياضة النفس حتى يحصل لها الكمال المنشود.

فإذا أراد الإنسان أن يكتسب خلقًا ما فإن بإمكانه أن يدرب نفسه عليه، ولو اقتضى الأمر التكلف في البداية ثم بمرور الوقت يصبح هذا الخلق عادة للشخص.

إن لدى النفس البشرية استعدادًا لاكتساب الخلق عن طريق التعود والتدريب فعن أبي الدرداء- رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: " إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه.([٢٩])

---

[٢٩]) صحيح الجامع برقم(٢٣٢٨)

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه–:أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله– صلى الله عليه وسلم–فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيءٍ بيده: "ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر".([٣٠])

واعتماداً على هذا الاستعداد الفطري في النفوس لاكتساب الفضائل وردت الأوامر الشرعية بالتحلي بفضائل الأخلاق ومحاسنها، وورد النهي عن مساوئ الأخلاق ورذائلها.

ولنضرب مثالاً لاكتساب خلق عن طريق الرياضة والتدريب: إذا رأى الإنسان من نفسه أنه كثير الكلام وأراد أن يكتسب فضيلة الصمت فليتعمد ألا يتكلم، إلا إذا طُلب منه الكلام، فإذا لم يُطلب منه سكت، وإذا طُلب منه تكلم بكلام قليل، قد يكون الأمر شاقًا في البدايات لكنه بمرور الوقت يصبح شيئاً هيناً ويصير عادة لصاحبه.

وهكذا جميع الأخلاق التي يمكن اكتسابها بالتدريب العملي يضع الواحد لنفسه منهجاً يعتمد على الوقت بحيث يبدأ في وقت معين بالتدريب على اكتساب فضيلة معينة، فإن رأى أنه قد تعود عليها واكتسبها انتقل إلى غيرها. إننا نرى الرياضيين – مثلاً – يبدأون تدريباتهم بجرعات قليلة تتصاعد مع الوقت، وفي نهاية مدة معينة يكون قد وصل الواحد منهم إلى المستوى المطلوب من اللياقة البدنية، والمشي عند الطفل يكون في البداية صعبا ثم يتحول بعد ذلك إلى شيء تقليدي، والكتابة على الكمبيوتر تكون من أصعب ما يمكن ويبحث الكاتب في البداية عن موقع الحروف على اللوحة وبعد ذلك تتحول إلى عمل تلقائي وهكذا الجنود وغيرهم.

والأخلاق كذلك تكتسب وتنمو بالتدريب العملي، وبمرور الوقت، فأسرع الناس استجابة لانفعالات الغضب يستطيع عن طريق التدريب أن يكتسب مقدارا ما من خلق الحلم. والمفطور على نسبة كبيرة من الجبن يستطيع عن طريق التدريب والتمرين والإرادة والتصميم أن يكتسب مقدارا ما من الشجاعة.. وهكذا.

وإذا كان واقع الأمر كما أسلفنا فليضع كل منا لنفسه هدفاً وبرنامجاً أخلاقيا يصبو إلى تحقيقه والوصول إليه.

٣) قواعد ثابتة في التعامل:

هناك قواعد ثابتة ومشتركة بين كل شعوب العالم وهي تنطلق من الفطرة، يستوي التعامل فيها مع المسلم وغيره. لنتعلم هذه القواعد أو بعضها حتى نمارسها عملياً وقد تمتد تلك الممارسة إلى سنواتٍ حتى نتخلص من طبع سيءٍ يكرهه الناس، أو نكتسب طبعاً طيباً يحبه الناس فمن هذه القواعد المشتركة:

---

[٣٠]) البخاري ومسلم.

- تختلف طريقة التعامل تبعاً لاختلاف العلاقة:

الوالد مع ولده، الزوج مع زوجته، الرئيس مع مرؤوسه، والعكس.

- إن التعامل يتغير باختلاف الأفهام والعقول.

فالرجل الذكي الفاهم الواعي تختلف طريقة تعامله عن الشخص الآخر المحدود العقل المحدود الفهم المحدود العلم، فالحديث معه يكون مناسباً لطبيعته وقدرته على الفهم.

- يختلف أسلوب التعامل أيضا باختلاف الشخصية.

فطريقة التعامل من شخص شكاك وحساس تختلف عنها مع شخصٍ سويٍّ، فالطريقة تختلف باختلاف الشخصيات والصفات التي تكون بارزةً فيهم.

لفتة لابد منها: أذكر بأن حديثنا وموضوعنا عن التعامل مع الأسوياء من الناس، أما الشواذ فتكون لهم معالجة فردية. فالسوي من إذا أكرمته عرف المعروف، والشاذ من يتمرد إذا أنت أكرمته.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

الفصل الخامس

الطُعم المناسب هو الذي يصطاد السمك:

يقول دايل كارنيجي:" من هواياتي أن اصطاد السمك، وبمقدوري أن أجعل الطُعم الذي أثبته في السنارة أفخر أنواع الأطعمة، لكني أفضل استعمالي طعوم الديدان على الدوام، ذلك أنني لا أخضع في انتقاء الطعوم إلى رغبتي الخاصة، فالسمك هو الذي سيلتهم الطُعم... وهو يفضل الديدان فإذا أردت اصطياده قدَّمت له ما يرغب فيه. والآن. لماذا لا نجرب الطُعُومَ مع الناس؟ لقد سئل لويد جورج السياسي البريطاني الداهية، عما أبقاه في دفة الحكم مع أن معاصريه من رجال الدول الأوربية الأخرى لم يستطيعوا الصمود مثله، فقال: إنني أُلائم بين ما أضعه في السنارة وبين نوع السمك.

والواقع أن "الطُعم" هذا مهمٌ للغاية... ذلك أن علاقتك مع الآخرين تُهمهم أيضا بقدر ما تهمك أنت، فحين تتحدث إليهم حاول أن تنظر بعيونهم، وتعبر عما في نفسك من زاويتهم وبمعنى آخر أبدِ لهم اهتمامك بهم، أكثر من اهتمامك بمصلحتك الشخصية، اجعلهم يتحمسون لما تريد منهم أن يفعلوه عن طريق اتخاذ الموقف من جانبهم.([٣١])

وهذا يقودنا إلى سؤال غاية في الأهمية بل هو من الأهمية بمكان، وهو كيف تغير الناس دون أن تؤذي مشاعرهم أو تثير استياءهم؟ وللإجابة على هذا السؤال أقدم إليك هذه العناصر لعل يكون فيها الجواب الكافي على هذا السؤال:.

١- إذا أردت أن تنتقد..... فإليك ما تبدأ به:

المدح قبل النقد: هل سمعت عن طبيب يجرى عملية جراحية دون أن يخدر المريض أولا حتى لا يحس بالألم؟ بالطبع لا، فالمخدر هو الذي يساعد الطبيب على إجراء الجراحة دون تحرك من المريض ويساعد المريض على إتمام الجراحة دون الشعور بالألم. كذلك عندما تريد أن تنتقد شخصا ما عليك أن تسبق انتقادك بقليل من المخدر فما هي المخدر؟

المدح..... فالمدح قبل النقد يشبه المخدر الموضعي الذي يضعه طبيب الأسنان قبل خلع ضرس المريض.

لكي تملك زمام الناس دون أن تسئ إليهم أو تستبد عنادهم ابدأ بالثناء أولا، فقد نقل عن الرئيس "كالفن كولدج" أنه عبر لإحدى سكرتيراته ذات مرة عن إعجابه بثوبها وأنها تبدو جميلة فيه، ولعل هذا أجمل مديح قاله الرئيس الصامت كما كانوا يلقبونه، حتى إن الفتاة ارتبكت ثم

---

[٣١]) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ديل كارنيجى(ص: ١٩)

أردف كولدج: "لا تقفي جامدة هكذا، فقد قلت ما قلت لأروح عنك، ورجائي أن تهتمي من الآن فصاعدا بالمحافظة على مواعيد العمل. فكي تكون ناقدا جيدا" ابدأ بالمدح والتقدير الصادق"

٢-كيف تنتقد دون أن تكون مكروها؟.

حاول بقدر الإمكان أن تنتقد بأسلوب غير مباشر.

وعلي ذلك يجب أن تنبه الآخرين إلي أخطائهم بشكل غير مباشر. الناس كلهم يتفقون في أشياء كلهم يحبونها ويفرحون بها ويتفقون في أشياء أخرى كلهم يكرهونها ويختلفون في أشياء منهم من يفرح بها، ومنهم من يستثقلها فكل الناس يحبون التبسم في وجوههم، ويكرهون العبوس، والكآبة، ومنهم يحب المزاح، ومنهم من يستثقله ومنهم من يحب التزاور والتلاقي والاجتماع ومنهم يكرهه ومنهم يحب كثرة الكلام ومنهم من يكرهه ومنهم من يحب فاكه أو طعام معين وآخر لا يطيق مجرد النظر إليه بل الإنسان نفسه أحيانا يبغض أمرا من الأمور يكون هو نفسه ممن كان يحبه كثيرا جدا فيما مضى والعكس صحيح إن الإنسان إذا عرف طبيعة من أمامه وعرف ما يحب وما يكره استطاع أن يأسر قلبه ومن تأمل تعامل النبي–صلى الله عليه وسلم–مع الناس وجد أنه كان يعامل كل شخص بما يتناسب مع طبيعته ففي تعامله مع زوجاته كان يعامل كل واحدة بالأسلوب الذي يصلح للتعامل معها فعائشة رضي الله عنها كانت تحب المزاح فكان يمزح معها ويلاطفها ذهبت معه مره في سفر فلما قفلوا راجعين واقتربوا من المدينة قال للناس: تقدموا عنا فتقدم الناس عنه حتى بقى مع عائشة، وكانت جاريه حديث السن نشيطة البدن فالتفت إليها وقال: تعال حتى أسابقك فسبقته وركضت حتى سبقته وبعدها بزمان خرجت معه في سفر بعدما كبرت وسمنت وحملت اللحم وبدنت، فقال للناس: تقدموا فتقدموا ثم قال لعائشة: تعالى حتى أسابقك. فسابقته فسبقها فلما رأى ذلك جعل يمازحها ويضرب بين كتفيها ويقول:" هذه بتلك هذه بتلك".([٣٢])

بينما كان يعامل خديجة تعاملا أخر فكانت – رضي الله عنه– تكبره بسنين بخمسة عشرة عاما، وكان كذلك مع أصحابه عليهم سحائب الرضوان فلم يعامل أبا بكر– رضي الله عنه– كما كان يعامل عمر– رضي الله عنه– ولا على كما كان يعامل طلحه والزبير– رضي الله عنه– ولا أبا هبيرة– رضي الله عنه– كما يعامل أبا هريرة– رضي الله عنه– عندما خرج مع أصحابه إلى بدر فلما سمع بخروج قريش عرف أن رجالا من قريش سيحضرون إلى ساحة المعركة كرها ولن يقع منهم قتلا على المسلمين فقام – صلى الله عليه وسلم– في أصحابه وقال: إني قد عرفت رجالا من بني هاشم وغيره قد أخرجوا كرها، ولا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني

[٣٢]) صحيح سنن أبي داود برقم(٢٥٧٨)

هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه- عم رسول الله فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرها.

وقيل إن العباس - رضي الله عنه-كان مسلما يكتم إسلامه وينقل أخبار قريش إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فلم يحب النبي-صلى الله عليه وسلم-أن يظهر أمر إسلامه، وكان عتبة بن ربيعة من كفار قريش ومن قادة الحرب وكان ابنه أبو حذيفة بن عتبة- رضي الله عنه- مع المسلمين فلم يصبر بل قال: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف فبلغت كلمته رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فالتفت النبي-صلى الله عليه وسلم-فإذا حوله أكثر من ثلاثمائة بطل فوجه نظره إلى عمر- رضي الله عنه- وقال: يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بالسيف؟

قال عمر- رضي الله عنه-: والله إنه لأول يوم يكنيني فيه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بأبي حفص، وعمر - رضي الله عنه-في موقف لا يحتمل التهاون، ولا التساهل مع من يخالف أمر القائد فقال عمر - رضي الله عنه-: دعنى فلأضرب عنقه بالسيف فمنعه النبي- صلى الله عليه وسلم- ورأى أن هذا التهديد كاف في تهدئه الوضع وكان أبو حذيفة رجل صالح وصحابي جليل ولكنها كلمة سبق بها لسانه فكان بعدها يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا.

إن عمر - رضي الله عنه- كان يعلم بالمهمة التي ألقاها على عاتقه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهنا اختار الرسول الرجل المناسب في المكان.

وفي موقف آخر يقبل على خيبر ويقاتل أهلها قتالا يسيرا ثم يصالحهم ويخلها واشترط عليهم أن لا يكتموا شيئا من الأموال، ولا يغيبوا شيئا، ولا يخبئوا ذهبا، ولا فضة، بل يظهرون ذلك كله، ويحكم فيه وتوعدهم إن كتموا شيئا أن لا ذمة لهم ولا عهد.

وكان حيى بن أخطب من رؤوسهم، وكان جاء من المدينة بجلد تيس مدبوغ، ومخيط، ومملوء ذهبا، وحليا، وقد مات، وترك المال فخبئوه عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

فقال لعم حيى بن أخطب: ما فعل مسك حيى الذي جاء به من النضير؟ أي "الجلد المملوء ذهبا. فقال: أذهبته النفقات، والحرب فتفكر في الجواب فإذا موت حيى قريب، والمال كثير، ولم تقع حروب قريبه تضطرهم إلى إنفاقه فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-:"العهد قريب، والمال أكثر من ذلك. فقال اليهودي: المال، والحلي قد ذهب كله. فعلم النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه يكذب فنظر بين أصحابه فإذا هم كثير بين يديه، وكلهم رهن إشارته فالتفت إلى الزبير، وقال: يا زبير مسه بعذاب فأقبل الزبير متوقدا. فانتفض اليهودي وعلم أن الأمر جد فقال: قد رأيت حييا يطوف في خربة هاهنا وأشار إلى بيت قديم خراب فذهبوا فطافوا فوجدوا المال مخبئا في الخربة. هذا في حاله مع الزبير يعطى القوس باريها. وتعلم الصحابة الكرام من النبي-صلى الله عليه

وسلم–هذه الطريقة لما مرض رسول الله–صلى الله عليه وسلم– مرض الموت واشتد عليه الوجع، ولم يستطع القيام ليصلى بالناس فقال وهو على فراشه:" مروا أبا بكر فليصلى بالناس وكان أبو بكر رجلا رقيقا، وهو اخلص الناس، وأحب الناس إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، وفي الإسلام فلما أمر النبي–صلى الله عليه وسلم–أن يبلغوا أبا بكر ليصلى بالناس قال بعض الحاضرين عند النبي–صلى الله عليه وسلم–:إن أبا بكر رجلا أسيف "أي رقيق" إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس يعنى من شدة البكاء.

ولكن رسول الله لم يقتنع باعتراض المعترض لعلمه من هو أبو بكر– رضي الله عنه– أكثر من غير فأعاد مروا أبا بكر فليصل بالناس حتى صلى أبو بكر– رضي الله عنه– ومع رقة أبي بكر – رضي الله عنه–إلا أنه كان ذا هيبة وله حدة غضب أحيانا تكسوه، وقارا، وجلالا، وكان حلمه مع شدة عمر– رضي الله عنه– عاملان من عوامل نجاح الأمة بعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم–.

قال ابن مسعود– رضي الله عنه–: لقد قمنا بعد رسول الله مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن من الله علينا بابي بكر– رضي الله عنه–.

الرجال مواقف إنك لترى الرجل فيعجبك شكله ولكن عند المواقف تراه خار وليس له أي وزن وربما تري الرجل فتزدريه ولكن عند المواقف تجده أسدا جسور

ترى الرجل النحيل فتزدريه**وفي أعطافه أسد هصور

٣-تحدث عن أخطائك:

ليس من الصعب أن تستمع إلي سرد لأخطائك إذا بدأ من ينتقدك بالاعتراف لك بأنه هو الآخر يقع في نفس الأخطاء. فاجعل هذا مبدأك الثالث تحدث عن أخطائك قبل أن تنتقد الشخص الآخر. سيدنا عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– ذات يوم والناس مجتمعون فقال لهم: لقد رأيتني وأنا أرعى الغنم على هذا الجبل وأنا اليوم أمير المؤمنين فغضب ابنه عبد الله– رضي الله عنه– من هذا الكلام وكلم أباه فيه فقال له: يا بني إن أباك حدثته نفسه فأردت أن أردها. يعلق العقاد رحمه الله على هذه القصة تعليقا بارعا من كلام سيدنا عمر– رضي الله عنه– فيقول: قال عمر– رضي الله عنه– إن أباك ليلزم نفسه الصغار ولم يقل أمير المؤمنين.

وقال له عبد الرحمن بن عوف– رضي الله عنه–: يرحمك الله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قمئت نفسك أي احتقرت نفسك.

الناظر إلى ما فعله أمير المؤمنين عمر– رضي الله عنه–يجد فيه من العبر والزجر ما يجعل الداعي ومن هم في منصب القيادة يحاسب نفسه أولا بأول بل ويبدأ بإصلاح نفسه حتى يكن قدوه لغيره أي الدعوة بالفعل لا بالقول وهذا ما فعله أمير.

كما هو مسلم به أن ما من إنسان إلا وهو خطاء وما من احد على ظهر البسيطة إلا وله العديد من الأخطاء والسقطات والهفوات وإني لأتعجب من بعض رؤساء العمل الذين ينظرون إلى أخطاء مرؤوسيهم على أنها جريمة لا تغتفر، ويتحدث وكأنه ما عرف شيئا عن اقتراف الخطايا. ومن الداعية الذي يذكر الناس وكأنه معصوم، ومن المدرس الذي يقابل خطأ الطلاب وكأنه قد قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض، على الرغم من أن الجميع على علم ودراية بقول النبي–صلى الله عليه وسلم–:"كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون". ([٣٣])

إذا أراد من هو في محل الريادة أن يوجه لابد له من أن يضرب بعض الأمثلة عن الأخطاء التي وقع فيها، وتداركها مع الأخذ في الاعتبار أن يبثها بطريقه لائقة حتى لا تشجع الغير على ارتكابها وأن لا تكن أخطاء فادحه حتى لا تؤدى إلى الضد.

خرج رسول الله إلى مكة معتمراً في ألف وأربعمائة من أصحابه.. فمنعتهم قريش من دخول مكة.. ووقعت أحداث قصة الحديبية المشهورة..

في آخر الأمر وبعد مشاورات طويلة بين النبي–صلى الله عليه وسلم–وقريش.. اتفقوا على صلح..كان الذي تولى الاتفاق على بنود الصلح من جانب قريش هو سهيل بن عمرو..

اتفق النبي–صلى الله عليه وسلم–مع سهيل على شروط.. منها:

• أن يعود المسلمون أدراجهم إلى المدينة من غير عمرة..

• وأن من دخل في الإسلام من أهل مكة وأراد أن يهاجر إلى المدينة فإن المسلمين في المدينة لا يقبلونه..

• أما من ارتد عن إسلامه وأراد الذهاب إلى المشركين في مكة فإنه يقبل..!!

إلى غير ذلك من الشروط التي في ظاهرها أنها هزيمة للمسلمين وإذلال لهم..

كانت قريش في الواقع خائفة من هذا العدد الكبير من المسلمين.. وتعلم أن المسلمين لو شاءوا لفتحوا مكة.. ولهذا كانت قريش تضطر إلى التلطف، والمصانعة.. وكأني بهم.. ما كانوا يحلمون أن يظفروا ولا بربع هذه الشروط.. كان أكثر الصحابة متضايقاً من شروط العقد.. لكن أنى لهم أن يعترضوا.. والذي يكتب العقد ويمضيه رجل لا ينطق عن الهوى.. كان عمر متحفزاً.. ينظر يميناً وشمالاً.. يتمنى لو يستطيع عمل شيء.. فلم يصبر.. وثب عمر فأتى أبا بكر.. وأراد أن يناقشه.. فمن حكمته.. لم يبدأ بالاعتراض.. وإنما بدأ بالأشياء التي هما متفقان عليها.. وجعل يسأل أبا بكر أسئلة جوابها.. بلى.. نعم.. صحيح..

فقال: يا أبا بكر.. أليس برسول الله–صلى الله عليه وسلم–؟

قال: بلى.

---

[٣٣]) صحيح سنن أبي داود برقم(٢٥٧٨)

قال: أو لسنا بالمسلمين؟!

قال: بلى.

قال: أو ليسوا بالمشركين ؟!

قال: بلى.

قال: أو لسنا على الحق ؟

قال: بلى.

قال: أو ليسوا على الباطل؟

قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟!

فقال أبو بكر: يا عمر.. أليس هو رسول الله–صلى الله عليه وسلم–؟

قال: بلى.. قال: فالزم غِرزه.. فإني أشهد أنه رسول الله . صلى الله عليه وسلم..أي كن وراءه تابعاً لا تخالفه أبداً.. كما أن غرزات الخيط في الثوب تكون متتابعة.. قال عمر– رضي الله عنه–: وأنا أشهد أنه رسول الله.. مضى عمر– رضي الله عنه–.. حاول أن يصبر.. فلم يستطع.. فذهب إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم..فقال: يا رسول الله.. ألست برسول الله؟!

قال : بلى .. قال: أو لسنا بالمسلمين..؟ قال: بلى.. قال: أو ليسوا بالمشركين.. ؟!قال: بلى.. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟!فقال–صلى الله عليه وسلم–: أنا عبد الله ورسوله.. لن أخالف أمره.. ولن يضيعني.. سكت عمر.. ومضى الكتاب.. ورجع المسلمون إلى المدينة.. ومضت الأيام.. ونقضت قريش العهد.. وأقبل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فاتحاً مكة.. مطهراً البيت الحرام من الأصنام.. وأدرك عمر أنه كان في اعتراضه حينذاك على غير السبيل.. فكان يقول: ما زلت أصوم.. وأتصدق .. وأصلي.. وأعتق.. من الذي صنعت يومئذ.. مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ.. حتى رجوت أن يكون خيراً.. فلله در عمر.. ودر رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قبله.. كيف نستفيد أكثر من هذه المهارة؟ لو كان ولدك لا يعتني بحفظ القرآن.. وتريده أن يزداد حرصاً.. ابدأ بالأشياء التي أنتما متفقان عليها.. ألا تريد أن يحبك الله.. ألا تريد أن ترتقي في درجات الجنة.. سيجيبك حتماً: بلى.. عندها قدم النصيحة على شكل اقتراح.. : إذن فلو أنك شاركت في حلقة تحفيظ القرآن.. وكذلك أنتِ: لو رأيتِ امرأة لا تعتني بحجابها.. ابدئي معها بالأشياء التي أنتما متفقتان عليها.. أنا أعلم أنك مسلمة.. وحريصة على الخير..

ستقول: صحيح.. الحمد لله.. وامرأة عفيفة.. وتحبين الله.. ستقول: إي والله .. الحمد لله..

عندها قدمي النصيحة على شكل اقتراح: فلو أنك اعتنيت بحجابك أكثر.. وحرصت على الستر..هكذا يمكننا أن نحصل على ما نريد من الناس من غير أن يشعروا.. بارقة.. تستطيع أن تأكل العسل دون تحطيم الخلية..

الفصل السادس

أساليب التعامل مع الناس:

يقول جيمس آلن مؤلف كتاب مثلما يفكر الإنسان: سيكتشف الإنسان أنه كلما غير أفكاره إزاء الأشياء والأشخاص الآخرين ستتغير الأشياء، والأشخاص الآخرون بدورهم دع شخصا ما يغير أفكاره وسندهش للسرعة التي ستتغير بها ظروف حياته المادية فالشيء المقدس الذي شكل أهدافنا هو نفسنا.. وكل ما يحققه الإنسان هو نتيجة مباشره لأفكاره الخاصة، والإنسان يستطيع النهوض فقط، والانتصار وتحقيق أهدافه من خلال أفكاره ويبقى ضعيفا وتعيسا إذا ما رفض ذلك.

أحيانا يتحاور اثنان في مجلس فينتهي الحوار بخصومه وشجار وأحيانا تقاطع، وتدابر بينما يتحاور آخرون وينتهي الحوار بعناق حار ومحبه ومودة ورضا الأول يذكرني بما يحدث في مؤتمرات القمة العربية من تناحر وتفاخر واستعلاء وكبرياء.

والثاني ما يحدث بين الدول الأوربية من تواصل وتحاور على أسس إسلامية وهم لا يعلمون عن الإسلام إلا اسمه بل يريدون أن يطمسوا معالمه، ولكنها فطرة الله التي فطر الناس عليها الحوار الأول يحمل من الإسلام اسمه دون تعاليمه.

وعلى هذا الدرب تجد اثنان يخطبون الخطبة نفسها بألفاظها وربما كانا يقرأن من نفس المصدر فترى الحاضرين عند الأول ما بين متثائب ونائم وعابث بالسجادة، وسارح، وكاح، ومتنحنح، وغير ذلك من مظاهر الضجر بينما الحاضرون عند الثاني منشدون متفاعلون لا تكاد ترمش لهم عين أو يغفل لهم طرف بل ويحزنون عند انتهاء الخطبة.

وما يحدث بين مدرس وآخر والكل يدرس مادة واحدة، والبون شاسع بينهما احدهما يترك الطلاب الحصص الأخرى ليحضروا له والأخر يحمل الطلاب هم حصته من قبلها بيوم إنها مهارات الإلقاء، والإبداع في اجتذاب الآخر، ولفت نظره إلى انه هو المقصود بكل كلمه تخرج من الفم دون تلميح، أو تصريح بشخصه حتى لا يعلم أحد من الحاضرين أنه هو المقصود..

يختلف الناس بقدراتهم ومهاراتهم في التعامل مع الآخرين وبالتالي يختلف الآخرون في طريقة الاحتفاء بهم أو معاملتهم والتأثير في الناس وكسب محبتهم أسهل مما يتصوره الناس بل إن أكثر الناس يمكن جذبهم بطرق ومهارات سهله بشرط أن نصدق فيها ونتدرب عليها حتى نتقنها ويكون عندنا الرغبة في ذلك والناس يتأثرون بطريقة تعاملنا معهم وإن لم نشعر والبر شيء هين وجه طلق وكلام لين.

في هذا العنصر أتطرق إلى بعض القضايا التي يحبها الناس وبعض القضايا التي يكرهونها، وتؤثر فيهم سلباً وإيجاباً وهذه الأساليب تجارب ناجحة، لأن قدوتنا فيها هو نبينا . صلى الله عليه وسلم.

وهذه الأساليب لها شواهد من السنة ومن الواقع المُجرَّب أذكر منها ما يناسب، فمنها:

١) اقصد وجه الله والنصح للمسلمين(الإخلاص الإخلاص):

وبهذا يتبين أن التجرد في القول والعمل وسلامة المقصد أصل مهم في تقويم الرجال وأعمالهم، حتى لو كان رأي الإنسان صحيحًا، لكنه لم يقصد به وجه الله تعالى ثم النصح للمسلمين؛ فإن عمله مردود غير مقبول، وهو مأزور غير مأجور إذا لم يتجاوز عنه ربه؛ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ البينة: ٥

قال ابن تيمية: "وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم، إن لم يقصد منه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم لم يكن عمله صالحًا، وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد كما في نصوص الوعيد وغيرها. وقد يهجر الرجل عقوبةً وتعزيزًا والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله للرحمة والإحسان لا للتشفي والانتقام، كما هجر النبي–صلى الله عليه وسلم–أصحابه الثلاثة الذين خلّفوا في غزوة تبوك".

فعلى الإنسان المسلم أن يفتش في قلبه ويطهره من جميع آثار الهوى قبل أن يبدأ في تقويم شخص من الأشخاص أو كتاب من الكتب؛ لكي يكون متين الرأي منصفًا، بعيدًا عن الجور والظلم المذموم شرعًا، وذلك أن صاحب هذا القلب الطاهر السليم مطمئن البال، هادئ النفس، يحب الخير للناس، ويبذل النصح لهم، وهذه هي صفات أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–الذين مدحهم الله عز وجل ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ الفتح: ٢٩

ومثل هذا يُلقى له القبول بين الناس حتى وهو يرد على الأخطاء والانحرافات؛ فإنه يصاحبه في ذلك شعور بالشفقة –صلى الله عليه وسلم– وحب الهداية للغير لا مجرد الرد والخصومة والجدال كما هو الحال في كثير ممن يتصدى للمخالفين له أو لشيخه؛ حيث إن الأمر يصل به إلى الاعتداء في كلامه لمن يخالفه في الفروع التي يسعها الخلاف، فضلاً عن الأصول، لا لشيء إلا لأنه خالفه أو خالف شيخه وكفي.

٢) سلامة الصدر والتجرد من الهوى:

إن محاولة تقويم أي رجل من الرجال أو مؤلف من المؤلفات بمقررات سابقة وخلفيات مبيتة تجعل الإنسان يميل عن الحق ميلاً واضحًا، فهو لا ينظر إلى المرء بمجموع أعماله، بل

يتغاضى عن المحاسن، ولا يقع بين عينيه إلا الهفوات، بل قد يعطيها أكثر مما تستحق من النقد والتجريح.

لذا كان التجرد في التقويم من الأسباب المهمة التي تجعل الحكم صوابًا أو قريبًا من الصواب. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥، وكما يجب التجرد من هوى العداوة والبغضاء في النقد فإنه يجب التجرد من هوى الحب في المدح، وكما لا يجوز التحامل فإنه لا تجوز المحاباة.

قال شعبة: "لو حابيت أحدًا لحابيت هشام بن حسان، كان ختني ولم يكن يحفظ".

وسئل علي بن ألمديني عن أبيه فقال: "سلوا غيري".

فأعادوا فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: "هو الدين". وكان أبو داود السجستاني يكذب ابنه.

وقال عبيد الله بن عمرو: قال لي زيد بن أبي أُنيسة: "لا تكتب عن أخي؛ فإنه كذاب".

وتدبروا أيها الإخوة وصية الله لنبيه داود عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦

فلا ينبغي أن تكون المحبة لشخص أو البغضاء له دافعًا إلى إهمال العدل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

والقلب إن لم يسلم من التأثر بهذه العواطف القلبية فلابد من الخطأ في التقويم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن المعلوم أن مجرد نفور النافرين، أو محبة الموافقين، لا يدل على صحة قول ولا فساده، إلا إذا كان ذلك بهدى من الله، بل الاستدلال بذلك استدلال بإتباع الهوى بغير هدى من الله؛ فإن إتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، وردّ القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله".

وقال أيضًا رحمه الله: "وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضي لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضي إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذي يرضي له ويغضب له أنه السنة، وأنه الحق، وهو الدين".

٣) لا تشغل قلبك بما ينالك من الأذى:

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين أحد عشر مشهدًا فيما يصيب المسلم من أذى الخلق وجنايتهم عليه، نكتفي بمشهد واحد؛ حيث يقول رحمه الله: المشهد السادس: مشهد السلامة وبرد القلب، وهذا مشهد شريف جدًا لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشغل قلبه وسِره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه، بل يفرّغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوّه منه أنفع له وألذ وأطيب، وأعون على مصالحه؛ فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه، فيكون بذلك مغبونًا، والرشيد لا يرضي بذلك ويرى أنه من تصرفات السفيه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغلّ والوساوس وإعمال الفكر في إدراك الانتقام.

ولابن تيمية رحمه الله رسالة كتبها إلى تلامذته بدمشق تبرز فيها هذه الصفة– سلامة القلب – بجلاء، نذكر مقاطع منها:

يقول رحمه الله في رسالته لتلامذته: "وتعلمون من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ آل عمران: ١٠٥ وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة".

إلى أن قال في الرسالة نفسها: "وأول ما أبدأ به من هذا الأصل ما يتعلق بي، فتعلمون . رضي الله عنكم . أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين . فضلاً عن أصحابنا . بشيء أصلاً، لا باطنًا ولا ظاهرًا، ولا عندي عتب على أحد منهم ولا لوم أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان كل يحسبه، ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهدًا مصيبًا أو مخطئًا أو مذنبًا، فالأول مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين، فنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل كقول القائل: فلان قصّر، فلان ما عمل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فلان كان سبب هذه القضية، فإني لا أسامح من آذاهم من هذا الباب ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل مثل هذا يعود على قائله بالملام إلا أن يكون له من حسنة، وممن يغفر الله له إن شاء الله، وقد عفا الله عما سلف" .إلى أن قال رحمه الله في الرسالة نفسها: "فلا أحب أن يُنتصر من أحد بسبب كَذِبِه عليّ، أو ظُلمِه وعدوانه؛ فإني أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي،

والذين كذبوا وظلموا في حل من جهتي". انتهى كلامه رحمه الله، وهو كلام عظيم يستشعر قارئه فيه الصدق وقمة التجرد من الهوى، وقل من يكون كذلك.. وقد قال الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي: "هيهات هيهات! إن في مجال الكلام في الرجال عقبات، مرتقيها على خطر، ومرتقيها هوىً لا منجى له من الإثم ولا وزر، فلو حاسب نفسَه الرامي أخاه ما السبب الذي أهاج ذلك؟ لتحقق أنه الهوى الذي صاحبه هالك.

٤) كلام الأقران بعضهم في بعض يطوى ولا يروى:

نظرًا لأهمية هذه القاعدة –سلامة القلب والتجرد من الهوى– في تقويم الأشخاص والكتب كان من منهج أئمة الحديث في تقويم الرجال أن كلام الأقران بعضهم في بعض يطوى ولا يروى، والأقران هم النظراء في المكانة والعلم أو المتنافسون في مجال ما، فهؤلاء الأقران كثيرًا ما يقع بينهم شيء من الاختلاف لأي سبب من الأسباب؛ فيؤدي ذلك إلى وقوع بعضهم ببعض دون عدل أو تأنٍّ، حتى إن الواحد منهم قد يصف صاحبه بأوصاف يعلم يقينًا أنه بريء منها، ولكن حب الذات والانتصار للنفس يزكي فيه روح الغيرة والاعتداء. ومن أجل هذا كان النقاد الجهابذة من المحدثين يهملون هذا الجرح لأنه في الغالب لا يسلم من التجرد من الهوى ولا يصدر عن سلامة في القلب.

قال الإمام الذهبي: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد... وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس".

فإذا كان هذا كلام الذهبي في زمانه السالف وما قبله فكيف بحالنا اليوم؟!

وقال السبكي: "الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه مِن تعصب مذهبي أو غيره، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة، ولو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة؛ إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

فتأمل أخي كيف كان منهج سلفنا في تقويم الأشخاص، وكيف أصبحنا اليوم نقع في الأشخاص وننقدهم النقد اللاذع، ليس لأننا رأينا أخطاءهم بالعمل، ولكن اعتمادًا على كلام أقرانهم وقدح منافسيهم فيهم، مع أن ذلك لا يصلح الاعتماد عليه في النقد والتقويم، بل يطوى ولا يروى كما قال الأئمة.

ومن المهم أن ندرك أن صورة ذلك الاختلاف بين الأقران لا تقف عند المحدثين فحسب، بل تتعداه في عصرنا إلى العلماء والدعاة وشتى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية. ولذا كان المنهج القسط أن ينظر إلى الخلفيات التي تكمن وراء الجرح والنقد، ومن ثم يوزن الجرح أو النقد

بما يقتضيه الحال مع التحري والإنصاف، حتى لا يُتَّهم أحد بما ليس فيه، فليس كل جرح مؤثرًا، وليس كل اتهام مقبولاً.

قال الإمام أحمد بن حنبل: "كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه".

فلنتأمل كيف ابتعد الناس اليوم عن معنى هذا الكلام المستقيم؛ حيث أصبحوا يفقدون الثقة بعضهم ببعض اعتمادًا على شائعة، أو اتباعًا لكلام حاسد.

ومن التجرد من الهوى الفرح بإصابة الغير للحق والحزن على مجانبتهم له، ولعل هذا الأمر من أصعب الأمور؛ لأنه يمثل قمة العدل والتقوى والورع، ومما يؤسف ويحزن أننا نرى الكثيرين من دعاة المسلمين اليوم . فضلاً عن عامتهم . إذا رأوا غيرهم قد أخطأ فإنهم يفرحون بذلك، حتى يحسبونه غلبة، بل إنك ترى الكثيرين منهم يتتبع الكتابات والمقالات التي قالها غيرهم، وهمهم الوحيد هو تتبع العثرات والفرح باصطيادها، في الوقت الذي لو وجدوا خلاف ذلك- من إصابة غيرهم للحق- فإنهم يحزنون لهذه الإصابة، وهذا هو الحقد والحسد والذي لا يلتقي مع الإخلاص والعدل وحب الخير للناس، ذكر ابن رجب حول هذا الأمر؛ حيث قال: "وقد استحسن الإمام أحمد ما حكي عن حاتم الأصم أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحد إلا قطعته، فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث؛ أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوؤه. . أو معنى هذا . فقال أحمد: ما أعقله من رجل.

٥) ابتسم للناس تمتلك قلوبهم:

إن قسمات الوجه خير معبّر عن مشاعر صاحبه، فالوجه الصبوح ذو الابتسامة الطبيعية الصادقة خير وسيلةٍ لكسب الصداقة والتعاون مع الآخرين، قال . صلى الله عليه وسلم في الحث على البشر والتلاطف:" تبسمك في وجه أخيك لك صدقة".([٣٤])

الابتسامة كالملح في الطعام، وهي أسرع سهم تملك به القلوب وهي مع ذلك عبادة وصدقة، فتبسمك في وجه أخيك صدقة.([٣٥])

وقال عبد الله بن الحارث- رضي الله عنه- : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله . صلى الله عليه وسلم".

وقد كان النبي . صلى الله عليه وسلم ضحوكا مزوحا مع الناس يدخل السرور إلى قلوبهم خفيفا على القلوب لا يمل أحد من مجالسته أقبل إليه رجل يريد دابة ليغزو عليها فقال النبي .

---

[٣٤]) مسلم، رقم(١٤١٨)

[٣٥]) الترمذي وصحيح الترغيب برقم(٢٣٢١)

صلى الله عليه وسلم ممازحا له: إني حاملك على ولد ناقة فعجب الرجل كيف يركب على جمل صغير لا يستطيع حمله فقال: يا رسول الله وما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق.([٣٦])

أي أنى سأعطيك بعيرا كبيرا ولكنه قطعا ولد ناقة.

وقال أيضا لأنس – رضي الله عنه– ممازحا: يا ذا الأذنين.([٣٧])

وقدمت إليه يوما امرأة تشتكى زوجها فقال لها: زوجك الذي في عينيه بياض؟ ففزعت المرأة وظنت أن زوجها عمى. كما قال عن يعقوب عليه السلام: وابيضت عيناه من الحزن. فرجعت فزعه إلى زوجها وجعلت تنظر في عينه وتدقق فسألها عن خبرها؟ فقالت: قد قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: إن في عينيك بياضا.. فقال لها: يا امرأة ما أخبرك أن بياضها أكثر من سوادها أي أن كل أحد في عينيه بياض وسواد.

وكان النبي . صلى الله عليه وسلم يبتسم ويضحك حتى تبدو أحيانا نواجذه ما لقي–صلى الله عليه وسلم– أحدا إلا لقيه هاشا باشا مسرورا حتى يظن المقابل له أن النبي–صلى الله عليه وسلم–كان ينتظره ليحتفي به.

قال السماء كئيبة وتجهما*******قلت ابتسم يكفي التجهم في السما
قال الصبا ولى فقلت له ابتسم****لن يرجع الأسف الصبا المتصرما
قال التي كانت سمائي في الهوى ** صارت لنفسي في الغرام جهنما
خانت عهودي بعدما ملكتها**********قلبي فكيف أطيق أن أتبسما
قلت ابتسم واطرب فلو قارنتها **********قضيت عمرك كله متآلما
قال العدى حولى علت صيحاتهم **أأسر والأعداء حولى في الحمى؟
قلت ابتسم لم يطلبوك بدمهم******** لو لم تكن منهم اجل واعظما
قال البشاشة ليس تسعد كائنا********يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت ابتسم مادام بينك والردى******* شبر فإنك بعد لن تتبسما.([٣٨])

الضحك المعتدل بلسم للهموم ومرهم للأحزان قال أبو الدرداء – رضي الله عنه–:إني لأضحك حتى يكون إجماما لقلبي.

والضحك ذروة الانشراح وقمة الراحة ونهاية الانبساط بشرط أنت يكون ضحك بلا سرف لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: "لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب".

---

[٣٦]) صحيح سنن أبي داود برقم(٤٩٩٨)

[٣٧]) صحيح سنن أبي داود برقم(٥٠٠٢)

[٣٨]) أبيات لإيليا أبو ماضي.

ولكنه التوسط الذي لا يميت قلب صاحبه ولا يلهيه عن أمور دينه، ودنياه، وذلك لأن الإسلام دين وسطيه واعتدال في كل مناحي الحياة عبادة كانت أم سلوك فلا عبوس مخيف ولا قهقه مضيعه.

لقد ذم الله الإنسان العبوس حتى اليوم العبوس وذلك لأنه عنوان على الضيق والضجر.

فلو خير الإنسان بين مال كثير أو منصب خطير وبين نفس راضيه باسمه لاختار العاقل الثانية، فما ينفع المال مع العبوس وماذا يفيد المنصب مع انقباض النفس وماذا تغنى الأموال والأولاد والصيت والجاه والزوجة مهما بلغت من الحسب والنسب والمال والجمال إذا كان هؤلاء جميعا مصدرا للتعاسة والشقاء:"ولو أن تلقى أخاك بوجه طيب". قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ النمل: ١٩، وضحك نبي الله سليمان ليس ضحك استهزاء وسخرية كما كان يفعل المشركون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الزخرف: ٤٧ مَثَلِ

وقد كرم الله أهل الجنة بأن شرح صدورهم بالضحك وجعله نعيما لهم فيها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ المطففين: ٣٤

وكانت العرب تمدح ضحوك السن وتجعله دليلا على سعة النفس وجود الكف، وكرم السجايا.

قال زهير في هرم:

تراه إذا ما جئته متهللا *** كأنك تعطيه الذي أنت سائله

لما علم العالم بأثره أهمية الضحك والابتسامة وما تفعله في المرسل والمستقبل أنشأ الكثير من الدول معاهد وجعلوها علما يدرس بل وجعلوا لها أقساما في بعض الكليات لأنه في غيابها ظهرت المصحات النفسية ولغيابها ظهر الاكتئاب وأمراض الأعصاب إن الضحك المعتدل مع الابتسامة الهادئة تحيل الطوفان إلى ماء يترقق وتحيل الصحراء إلى حديقة غناجه وتحيل الكره إلى حب، بل ربما كانت سببا في فداء نفس من قتل محتم والحقيقة أن البسمة بريد للمودة، والمحبة، وتفعل بالنفس كل خير، وتصرف عن النفس كل مكروه تجعل الإنسان في ود ووئام مع الجميع ترسل سهام الود والحب إلى القلوب الجامدة فتذيبها، وتذهب حرارة غلها، وتملأها ودا واحتراما وإقبالا، وخاصة إذا كانت صادقة نابعة من القلب ليست مفتعله، ولا متصنعة بل تخرج من القلب لتنير الوجه وتصل إلى الشخص المقابل فتعقد معه أواصر المحبة، والصلة.

واعلم أنما السرور باصطناعه، واجتلاب بسمته، واقتناص أسبابه وتكلف بوادره حتى يكون طبعا.

ولنعلم جميعا أن للوجوه لغة وأن لغة الوجه الابتسامة كما قال ديل كارنيجي: إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثرا من صوت اللسان، ويتساءل كارنيجى على لسانك: فإذا لم تستشعر حافزا على الابتسام فماذا تفعل؟

ويجيبك قائلا: أقسر نفسك على الابتسام. وإذا كنت وحدك فاقسر نفسك على الصفير، أو المرح، أو التمتمة بالغناء، (عوض عن الغناء ترديد بعض آيات الذكر الحكيم، أو أحاديث سيد المرسلين، أو أقوال الصحابة الكرام عليهم الرضوان)

اظهر بمظهر الشخص السعيد، فلن تملك بعد قليل إلا أن تستشعر السعادة ألحقه.

فالسعادة لا تعتمد في شيء على العوامل الخارجية، بل جل اعتمادها على داخلية النفس، والسعادة ليست ما تملك، ولا من أنت، ولا أين أنت، ولا ماذا تفعل، وإنما السعادة هي رأيك فيها ونظرتك إليها.

وينصحك المؤلف قائلا: إذا غادرت باب بيتك، فارفع رأسك، وأملأ رئتيك بالهواء، وحيي أصدقائك بابتسامة مشرقة، وبث الروح في كل مصافحة. ثم يقول لك ديل كارنيجى على لسان" وليم ليون فيلبس" أستاذ الأدب السابق بجامعة "ييل" الذي كتب في مقالة عن "الطبيعة الإنسانية" يقول فيها:" عندما كنت في الثامنة من عمري، اعتدت أن أمضي عطلة نهاية الأسبوع في ضيافة عمتي وذات مساء حضر لزيارة عمتي رجل في منتصف العمر، وكنت في ذلك الحين شغوفا بالقوارب، فما أن علم الزائر بذلك حتى صب حديثه معي عن القوارب.وكل ما يتصل بها.

وقد ترك حديثه في نفسي أحسن الأثر وأبقاه، فلما انصرف سألت عمتي من هو، وما سبب اهتمامه بالقوارب؟ فأنبأتني عمتي أنه محام من نيويورك، وأنه لم يهو القوارب في يوم من الأيام! فسألتها لماذا إذن صب حديثه كله عن القوارب؟ فقالت: لأنه رجل لطيف الشمائل، رأى أنك مهتم بالقوارب فتكلم عن الشيء الذي عرف أنه يهمك أكثر من سواه!".([٣٩])

٦) الانطباع الأول:

قديما قيل: الانطباع الأول يبقى ويدوم". إن اللقاء الأول يطبع أكثر من ٧٠%من الصورة عن الإنسان وهو ما يسمى بالصورة الذهنية، واليك هذه القصة التي تثبت صدق ما أقول والتي ذكرها الدكتور محمد ألعريفي في كتابه استمتع بحياتك حيث قال: سافر مجموعه من الضباط إلى أمريكا في دورة تدريبه كانت في التعامل الوظيفي فجأوا في أول يوم حضروا إلى القاعة مبكرين جعلوا يتحدثون، ويتعارفون دخل عليهم المدرس فجأة فسكتوا فوقعت عين المدرس على طالب لا يزال مبتسما. فصرخ به: لماذا تضحك؟ قال: عذرا ما ضحكت ثم جعل يؤنبه: أنت إنسان غير جاد المفروض أن تعود لأهلك على أول رحلة طيران لا أتشرف بتدريس مثلك،

---

[٣٩]) كيف تكسب الأصدقاء ديل كارنيجى.

والطالب قد تلون وجهه، وجعل ينظر إلى مدرسه ويلتفت إلى زملائه، ويحاول حفظ ما تبقى من ماء وجهه، ثم حدق فيه المدرس النظر وأشار إلى الباب وقال: اخرج قام الطالب مضطربا وخرج. نظر المدرس إلى بقية الطلاب، وقال: أنا الدكتور فلان سأدرسكم مادة كذا ولكن قبل أن ابدأ في الشرح أريدكم أن تعبئوا هذه الاستمارة دون كتابة الاسم ثم وزع عليهم استمارة تقييم للمدرس فيها خمسة اسأله كالتالي:

السؤال الأول: ما رأيك بأخلاق مدرسك؟

السؤال الثاني: ما رأيك بطريقة شرحه؟

السؤال الثالث: هل يقبل الرأي الأخر؟

السؤال الرابع: ما مدى رغبتك في الدراسة إليه مرة أخرى؟

السؤال الخامس: هل تفرح بمقابلته خارج المعهد؟

كان أمام كل سؤال منهم اختيارات ممتاز، وجيد، ومقبول، ضعيف عبأ الطلاب الاستمارة، وأعادوها إليه وضعها جانبا، وبدأ يشرح تأثير فن التعامل في الجو الوظيفي ثم قال: أوه لماذا نحرم زميلكم من الاستفادة فخرج إليه، وصافحه، وابتسم له، وادخله القاعة. ثم قال: يبدوا أنني غضبت عليك قبل قليل من غير سبب حقيقي لكنى كنت أعانى من مشكلة خاصة أدت بي إلى أن أصب جام غضبي عليك فأنا أعتذر إليك فأنت طالب حريص يكفي في الدلالة على حرصك تركك لأهلك، وولدك، ومجيئك هنا أشكرك، بل أشكركم جميعا على حرصكم، ومن أعظم الشرف لي أن أدرس لمثلكم ثم تلطف معهم وضحك قليلا ثم أخذ مجموعه جديدة من الاستمارات، وقال: ما دام أن زميلكم فاته تعبئه الاستمارة فما رأيكم أن تعبؤها كلكم من جديد ووزع عليهم الأوراق فعباؤها، وأعادوها إليه فأخرج الاستمارة التي عباؤها في البداية واخرج الأخيرة وجعل يقارن بينهما فإذا الخانة الخاصة بضعيف في التعبئة الأولي كلها مليئة امتياز.أما الثانية فليس فيها ضعيف، أو مقبول أبدا فضحك، وقال لهم: كان ما رأيتم دليلا عمليا على تأثير التعامل السيئ على بيئة العمل بين المدير وموظفيه وما فعلته بزميلكم كان تمثيلا أردت أن أجريه أمامكم لكن المسكين صار ضحية .

قدم وفد عبد ألقيس على رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فلما رآهم، وهم على رحالهم قبل أن ينزلوا بادرهم قائلا: مرحبا بالقوم غير خزايا، ولا ندامى "فاستبشروا وتواثبوا من رحالهم واقبلوا إليه يتسابقون للسلام عليه.

إن المرء ليقابل شخصا لأول مره فتتكون في ذهنه صورة عن هذا الشخص ربما لا تتغير طيلة الحياة وربما يقابله في سفر، أو يركب معه سيارة مرة واحدة في حياته فيرجع ليحدث الناس عن مثالب هذا الشخص أو محاسنه وربما لا تتغير هذه الصورة مهما حدث فيها من تعديل سواء بالسلب، أو بالإيجاب.

٧) حسن السمت:

مما لا شك فيه أن العين تحب المنظر الحسن وتهواه وتميل إليه، وإذا وقعت العين على ما يعجبها مال القلب إليه ولا شك، كما قيل:

ألم تر أن العين للقلب رائد **فما تألف العينان فالقلب آلف

فإذا أضيف إلى حسن المظهر الخارجي حسن المنطق والوقار في الحركة والسكون والدخول والخروج، واشتهر صاحبه بحسن السيرة بين الناس، فلا شك أن الناس سينسبون صاحب هذه الصفات الحميدة لأهل الخير والصلاح والديانة. وهذا هو ما نعنيه بحسن السمت.

وقد حث الشرع المطهر على التحلي بحسن السمت فأباح للعبد أن يعتني بمظهره من غير إسراف ولا مخيلة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١ مَلِكِ

وقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: " إن الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة".

وعن عوف بن مالك – رضي الله عنه– قال: أتيت النبي–صلى الله عليه وسلم– في ثوب دون(أي قديم) فقال: " ألك مال؟" قال: نعم. قال: " من أي المال؟" قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق.(٤٠)

قال–صلى الله عليه وسلم–: " فإذا آتاك الله مالا فليُر أثر نعمة الله عليك وكرامته".(٤١)

ولما رأى–صلى الله عليه وسلم–رجلا شعثا قد تفرق شعره قال: "أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره؟(٤٢)

ورأى–صلى الله عليه وسلم–رجلا آخر وعليه ثياب وسخة فقال: " أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟".(٤٣)،وقال في نفس السياق: " من كان له شعر فليكرمه".(٤٤)

ولما نهى عن الكبر ظن بعض الناس أن العناية بالمظهر والهندام من الكبر فبين لهم–صلى الله عليه وسلم– حقيقة الأمر فقال: " إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس".(٤٥)

---

٤٠) صحيح سنن أبي داود برقم(٤٠٦٣)

٤١) صحيح سنن النسائي برقم(٥٢٢٤)

٤٢)* صحيح سنن النسائي برقم(٥٢٣٦)

٤٣) صحيح سنن أبي داود برقم(٤٠٦٢)

٤٤) صحيح سنن أبي داود برقم(٤١٦٣)

٤٥) صحيح سنن أبي داود برقم(٤٠٩٢)

كما كان هو نفسه–صلى الله عليه وسلم–أحسن الناس هديا، وسمتا، وجمالا، وبهاء، فعن جابر بن سمرة – رضي الله عنه– قال: "رأيت رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في ليلة أضحيان (أي مضيئة) فجعلت أنظر إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وإلى القمر، وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر".([٤٦])

يقول ابن الجوزي: الكمال عزيز، والكامل قليل الوجود. فأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة الباطن، وصورة البدن تسمى خَلقا، وصورة الباطن تسمى خُلُقا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق.

وإذا تزين العبد بحسن السمت في الظاهر والباطن صار قدوة يقتدي بها ، ويستفيد الناس من رؤيته قبل منطقه، يقول ابن الجوزي: كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه، لا لاقتباس علمه؛ وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته.

وقال ابن مفلح رحمه تعالى: كان يحضر مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت. يتشبهون بالنبي–صلى الله عليه وسلم–

ولأن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– كان أحسن الناس سمتا وهديا، فقد كانوا يتشبهون به حتى قال حذيفة بن اليمان– رضي الله عنه–: "إن أشبه الناس دَلا(أي حاله من حيث السكينة والوقار، وحسن السيرة) وسمتا، وهديا برسول الله–صلى الله عليه وسلم–لابن أم عبد(يعني ابن مسعود– رضي الله عنه–) من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه...". وإذا كان الأمر كذلك فإن أولى الناس بحسن السمت لهم أهل العلم، والدين، والصلاح، ولهذا حديث آخر في مقال قادم بإذن الله تعالى.

فالرسول–صلى الله عليه وسلم– يقول:"إن الله جميل يحب الجمال".([٤٧])

وعمر ابن الخطاب– رضي الله عنه– يقول: إنه ليعجبني الشاب الناسك نظيف الثوب طيب الريح.

وقال عبد الله ابن أحمد ابن حنبل:إني ما رأيت أحداً أنظف ثوبا ولا أشد تعهدا لنفسه وشاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا وأشده بياضا من أحمد ابن حنبل.

والمظهر المثالي للثياب أن تكون جذابة مريحة تعطي الثقة بالنفس تعكس القانون الاجتماعي في الثياب تعكس الشخصية إن صفاء النفس بصفاء الثوب.

قال احد الحكماء: من اتسخ ثوبه تكدرت نفسه.

---

[٤٦]) مشكاة المصابيح برقم(٥٧٩٤)

[٤٧]) مسلم.

وإذا تكدرت نفس الإنسان انعكس ذلك على سلوكه مع الآخرين.

وقد قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: جملوا حتى تكونوا كأنكم شامه في عيون الناس".([٤٨])

من خلال بحث قام به البروفيسور البرت مبهدييان بعنوان (حل شفرة التفاعل غير المنسجم) وجد أن الرسائل التي نعبر عنها في حياتنا تمثل بالنسب التالية:٥٥% لغة الجسد: ٣٨% نبرة الصوت:.٧% كلمات.

٨) البدء بالسلام:

سهم يصيب سويداء القلب ليقع فريسة بين يديك لكن أحسن التسديد ببسط الوجه، والبشاشة، وحرارة اللقاء، وشد الكف على الكف، وهو أجر وغنيمة فخيرهم الذي يبدأ بالسلام، قال عمر الندي: خرجت مع ابن عمر فما لقي صغيراً، ولا كبيراً إلا سلم عليه.

وقال الحسن البصري: المصافحة تزيد في المودة.

وفي الموطأ أنه–صلى الله عليه وسلم– قال:"تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء".([٤٩])

قال ابن عبد البر: هذا يتصل من وجوه حسان كلها.

إن السلام هو الأمان، والاطمئنان، وهو أقصى ما يتمناه الإنسان، وغاية ما ترجوه البشرية، وقد جعل السلام اسما من أسمائه الحسنى.

وقد جعله النبي–صلى الله عليه وسلم– بابا من أبواب الدخول إلى القلوب، والى المحبة بين الناس فقال –صلى الله عليه وسلم–:"والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم".([٥٠])

عجباً لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه، ومن انتشر إحسانه كثر أعوانه.

إن إفشاء السلام هو مفتاح القلوب، فإذا أردت أن تُفتح لك قلوب العباد فسلم عليهم إذا لقيتهم وابتسم في وجوههم، وكن سباقًا لهذا الخير يزرع الله محبتك في قلوب الناس وييسر لك طريقًا إلى الجنة، كما قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

وقال عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–: ثلاث يُصفِين لك وُدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

---

[٤٨]) أرواء الغليل.

[٤٩]) إرواء الغليل.

[٥٠]) الدرامي والترمذي.

٩) وقولوا للناس حسنى:

أمر الله تعالى عباده أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها، ومن الكلمات أجملها عند حديث بعضهم لبعض حتى تشيع الألفة والمودة، وتندفع أسباب الهجر والقطيعة والعداوة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء: ٥٣

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في هذه الآية: وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يؤمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.

الكلام مسطور ومحفوظ: إنها حقيقة قررها القرآن الكريم في العديد من المواضع والآيات؛ كي يكون الإنسان حسيبا على نفسه مراقبا للسانه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨ .

عود لسانك الخير: لقد حث الشرع المطهر الناس على انتقاء الألفاظ الطيبة التي تدخل السرور على الناس،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣

قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين،

إحداها: إن لم تنفعه فلا تضره،

والثانية: إن لم تسره فلا تغمه،

والثالثة: إن لم تمدحه فلا تذمه.

وقد كان الصالحون يتعهدون ألسنتهم فيحرصون على اختيار الألفاظ والكلمات التي لا يندمون عليها فرأينا منهم عجبا، هذا الأحنف بن قيس يخاصمه رجل فيقول للأحنف: لئن قلت واحدة لتسمعن عشرا، فقال الأحنف: لكنك والله لو قلت عشرا ما سمعت واحدة.

ورأى عيسى عليه السلام خنزيرا فقال: مر بسلام، فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ قال: أعود لساني الخير.

أما العلامة تقي الدين ألسبكي فسمع ولده العلامة تاج الدين يقول لكلب: يا كلب بن كلب، فنهاه عن ذلك فقل: أليس كلب بن كلب؟ فقال: شرط الجواز عدم التحقير. فقال تاج الدين: هذه فائدة.

١٠) الكرم:

بين الكرم والتضحية ارتباط وثيق وصلة قوية؛ فالمجاهد يجود بنفسه – وهذا غاية الجود – والمتحرر من شهوة المال، الباسط يده في أبواب البر والإحسان، قد يكون أقدر على الجهاد؛ لما يؤصله الكرم في النفس من معاني التضحية والإيثار.

الكرم مرتبط بالإيمان ظاهره كرم اليد ودافعه كرم النفس، وقد وصف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المؤمن بقوله: "المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم". (٥١)

وأعظم صور الكرم ما يكون مع الفقر والحاجة وقلة ذات اليد، وهذه كانت من أخلاق العرب في الجاهلية، فهذا حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم، قالت زوجه: أصابت الناس سنة أذهبت الخف، والظلف، وقد أخذني وإياه الجوع وأسهرنا، فأخذت سفانة– ابنته–، وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث حتى أنام فرفقت به؛ لما به من الجوع، فأمسكت عن كلامه لينام فقال لي: أنمت؟ فلم أجبه، فسكت، ونظر في فناء الخباء، فإذا شيء قد أقبل، فرفع رأسه فإذا هي امرأة فقال: ما هذا؟ فقالت: يا أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب، أو كالذئاب جوعا، فقال لها أحضري صبيانك فو الله لأشبعنهم، فقامت سريعة لأولادها، فرفعت رأسي وقلت: يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فو الله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل؟ فقال:" والله لأشبعنك، وأشبعن صبيانك وصبيانها، فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد إلى فرسه فذبحه ثم أجج نارا، ودفع إليها شفرة وقال: قطعي واشوي، وكلي، وأطعمي صبيانك، فأكلت المرأة وأشبعت صبيانها، فأيقظت أولادي وأكلت وأطعمتهم. فقال: والله إن هذا للؤم؛ تأكلون وأهل الحي حالهم مثل حالكم؟ ثم أتى الحي بيتا بيتا يقول لهم: انهضوا، عليكم بالنار، فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية، فو الله ما أصبحوا وعلى وجه الأرض منها قليل ولا كثير إلا العظم والحافر، ولا والله ما ذاقها حاتم وإنه لأشدهم جوعا.

وما أحوجنا إلى هبة كريمة حتى نقف يدا واحدا جنبا إلى جنب في جميع الميادين الإنسانية

قد تنطلق نفحات الكرم من فاقد الأمل بالدنيا حين يشرف على الموت. ولكن الكرم الحقيقي لصاحب قوة البدن، وطول الأمل، ودواعي الحرص محيطة به من كل جانب.

من الصفات المميزة لمن تأصلت فيه خصلة الكرم أنه لا يرد أحدًا يسأله، وقد كان هذا حال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "ما سئل عن شيء قط فقال لا". (٥٢)

---

٥١) صحيح سنن الترمذي.

٥٢) صحيح البخاري.

إن الإنسان الكريم ليتمثل بصفة هي من صفات الله تعالى لأن الكرم من صفات الرب سبحانه وتعالى، يقول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه؛ فيردهما صفرًا". أو قال: "خائبتين" ([٥٣]).ومن أوجب الكرم معاملة الكرام بما يستحقون كما في الحديث: "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه".([٥٤]).

لقد ربي الإسلام أبناءه على الجود والكرم فرأينا منهم عجبا، فهذا قيس بن سعد بن عبادة لما مرض استبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. فقال: أخزى الله مالا يمنع عني الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديا ينادي: من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل، فكسرت عتبة بابه من كثرة الزوار.

وهذا عبد الله بن جعفر – رضي الله عنه– يخرج هو والحسنان، وأبو دحية الأنصاري رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة، فأصابتهم السماء بمطر، فلجأوا إلى خيمة أعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت الماء، فذبح لهم الأعرابي شاة، فلما ارتحلوا قال عبد الله للأعرابي: إن قدمت المدينة فسل عنا. فاحتاج الأعرابي بعد سنين، فقالت له امرأته: لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان. قال: قد نسيت أسماءهم.

قالت فسل عن ابن الطيار. فأتى المدينة فلقي الحسن – رضي الله عنه– فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها. ثم أتى الحسين فقال: قد كفانا أبو محمد مئونة الإبل، فأمر له بألف شاة، ثم أتى عبد الله بن جعفر فقال: قد كفاني إخواني الإبل، والشياه، فأمر له بمائة ألف درهم، ثم أتى الرجل أبا دحية – رضي الله عنه– فقال: والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن ائتني بإبلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار في عقب الأعرابي منذ ذلك اليوم. فأي كرم هذا؟!!!.

ومما يعين المرء على اكتساب صفة الكرم وتأصيلها في نفسه أن يستحضر صفة ربه عز وجل: "إن الله كريم يحب الكرم".([٥٥])

"كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فلرسول الله–صلى الله عليه وسلم–أجود بالخير من الريح المرسلة".([٥٦])

ومن أوضح صور الكرم إكرام الضيف فهو من جميل الخصال التي تحلى بها الأنبياء، وحث عليها المرسلون، واتصف بها الأجواد كرام النفوس، فمن عرف بالضيافة عرف بشرف المنزلة، وعلو المكانة، وانقاد له قومُه، فما ساد أحد في الجاهلية ولا في الإسلام، إلا كان من

---

[٥٣]) صحيح ابن ماجه.

[٥٤]) صحيح الجامع.

[٥٥]) صحيح الجامع برقم(١٨٠١).

[٥٦]) صحيح البخاري.

كمال سُؤدده إطعام الطعام، وإكرام الضيف، كما قال ابن حبان يرحمه الله: "والعرب لم تكن تعد الجود إلا قرى الضيف، وإطعام الطعام، ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك".

وقد حثنا نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم– على إكرام الضيف لما له من زرع المودة في قلوب الناس؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه".([٥٧]).

١١) بذل المال:

إن لكل قلب مفتاح، والمال مفتاح لكثير من القلوب خاصة في مثل هذا الزمان، والرسول – صلى الله عليه وسلم– يقول:"إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار".([٥٨])

صفوان ابن أمية فر يوم فتح مكة خوفا من المسلمين بعد أن استنفذ كل جهوده في الصد عن الإسلام والكيد والتآمر لقتل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فيعطيه الرسول–صلى الله عليه وسلم–الأمان ويرجع إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–ويطلب منه أن يمهله شهرين للدخول في الإسلام، فقال له رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"بل لك تسير أربعة أشهر، وخرج مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إلى حنين، والطائف كافراً، وبعد حصار الطائف وبينما رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ينظر في الغنائم يرى صفوان يطيل النظر إلى وادٍ قد امتلأ نعماً، وشاء، ورعاء.

فجعل عليه الصلاة والسلام يرمقه ثم قال له: يعجبك هذا يا أبا وهب؟ قال نعم، قال له النبي:" –صلى الله عليه وسلم– هو لك وما فيه.

فقال صفوان عندها: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

لقد استطاع الحبيب–صلى الله عليه وسلم– بهذه اللمسات وبهذا التعامل العجيب أن يصل لهذا القلب بعد أن عرف مفتاحه.

مدح رجل احد بذلة المال لأنه أعطاه عطية مدحا بقى على مر الزمان وقد فنيت العطية وبقى الثناء الجميل فقال:

كأنك في الكتاب وجدت لاء **** محرمة عليك فلا تحل

إذا حضر الشتاء فأنت شمس ** وإن حل المصيف فأنت ظل

وما تدرى إذا انفقت مالا ***أيكثر في عطائك أم يقل

---

[٥٧]) البخاري ومسلم.

[٥٨]) البخاري.

جزيت عن البرية كل خير **فأنت الماجد البطل الأجل
بوجهك نستضئ إذا سرينا ** جبين في الليالي مشعل
وذكرك في المسامع خير هاد** يكرر في الجموع فلا يمل
فدتك نفوسنا عن كل هول**ويفديك الحجيج إذا أهلوا

١٢) المروءة:

المروءة سجية جُبلت عليها النفوس الذكية، وشيمة طبعت عليها الهمم العلية، وضعفت عنها الطباع الدنية، فلم تطق حمل أشراطها السنية. إنها حلية النفوس، وزينة الهمم، فما هي حقيقتها؟

حقيقة المروءة: اتصاف النفس بصفات الكمال الإنساني التي فارق بها الحيوان البهيم، والشيطان الرجيم، إنها غلبة العقل للشهوة، وحد المروءة: استعمال ما يُجمل العبد ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه، سواءٌ تعلق ذلك به وحده، أو تعداه إلى غيره.

قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم.

مروءة كل شيء بحسبه:

إذا علمنا أن المروءة هي استعمال كل خلق حسن، واجتناب كل خلق قبيح؛ فإن لكل عضو من الأعضاء مروءة على ما يليق به: فمروءة اللسان حلاوته، وطيبته، ولينته.

ومروءة الخلق: سعته، وبسطه للحبيب والبغيض.

ومروءة المال: بذله في المواقع المحمودة شرعًا وعقلاً وعرفًا.

ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه.

ومروءة الإحسان: تعجيله وتيسيره، وعدم رؤيته، وترك المنة به.

وهذه هي مروءة البذل والعطاء، أما مروءة الترك فتعني ترك الخصام والمعاتبة، والمماراة، والتغافل عن عثرات الناس.

دواعي المروءة:

إن أعظم دواعي المروءة شيئان: أحدهما: علو الهمة. والثاني: شرف النفس.

أما علو الهمة: فلأنه باعث على التقدم والترقي في المكارم أنفة من خمول الضعة، واستنكارًا لمكانة النقص، ولهذا قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها".([٥٩])

---

[٥٩]) صحيح الجامع برقم(١٧٤٤)

وقال عمر – رضي الله عنه–: "لا تصغرن هممكم؛ فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمة".

وأما شرف النفس: فبه يكون قبول التأديب، واستقرار التقويم؛ فإن النفس إذا شرفت كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة، وعن الدنايا والرذائل نائية.

قالوا عن المروءة:

• قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: "للسفر مروءة، وللحضر مروءة، فأمام مروءة السفر: فبذل الزاد، وقلَّة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله. وأما المروءة في الحضر: فالإدمان إلى المساجد، وتلاوة القرآن، وكثرة الإخوان في الله عز وجل.

• وقيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شيء، فأين المروءة فيه؟ فقال: في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩ مَلِكِ

ففيه المروءة، وحُسن الأدب، ومكارم الأخلاق، فجمع في قوله: □ □ صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله □□ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغضُّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار. ودخل في قوله: □ بر □ □ : الحض على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزُّه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهَلة والأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة.

وقال الشعبي: "تعامل الناس بالدين زمانًا طويلا، حتى ذهب الدين، ثم تعاشروا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعاشروا بالحياء، ثم تعاشروا بالرغبة والرهبة، وأظنه سيأتي بعد ذلك ما هو شرٌّ منه".

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: "كمال المروءة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تدبير المعيشة".

وقال ميمون بن ميمون:" أول المروءة: طلاقة الوجه، والثاني: التودد، والثالث: قضاء الحوائج".

وقال ابن سلام: "حد المروءة: رعي مساعي البر، ودفع دواعي الضر، والطهارة من جميع الأدناس، والتخلص من عوارض الالتباس، حتى لا يتعلق بحاملها لوم، ولا يلحق به ذم، وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا، ويبعث على شرف الممات والمحيا، إلاَّ وهو داخل داخل تحت المروءة.

١٣) كن مصدرا للتفائل والآمل:

إذا زرت مريضا بث فيه الأمل ذكره دائما بالشفاء، والنجاة، وبثواب المرض وانه يكفر الخطايا، وينال به الثواب، وان الشفاء منه بإذن الله أكيد فكم من مريض مرض بهذا المرض،

وبرئ منه دخل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–على أم السائب، أو أم المسيب فوجدها تزفزف فقال: مالك يا أم السائب، أو يا أم المسيب؟ فقالت: إنها الحمى لا بارك الله فيها. فقال: لها لا تسبي الحمى فإنها تنقى المسلم من الذنوب كما ينقى الكير خبث الحديد". بل دعا للمريض، وقال:" لا بأس طهور إن شاء الله". فبث في الرجل الأمل، وأمرنا بالدعاء للمريض لنبث فيه روح الرضا والأمل، وكأنه –صلى الله عليه وسلم–أراد أن يعلمنا الرضا بقضاء الله، وان أكثر من نصف الشفاء على الحالة النفسية، والمزاجية بأبي هو وأمي بل قال: بشروا، ولا تنفروا".وعلى العكس من هذا تجد بعض الناس يدخل على المرضي فييئسهم من الحياة، ومن الشفاء.

زار رجل مريضا فجلس عنده قليلا ثم قال: ما علتك ما الذي تعانيه وما نوع مرضك، فذكر له المريض الذي يعانى منه فقال: الزائر أوهه. وقد بدت على قسمات وجهه علامات الخوف، والهلع، والذعر، ثم قال: لقد أصاب هذا المرض خالي رحمه الله فمات منه، وأصاب زوجت عمى فماتت منه، وأصاب جارا لنا فأصابه بالشلل، وما عرفت أحدا أصيب به ونجا منه. يقول هذا والمريض يكاد يتميز من الغيظ، والحنق ويندب حظه ويضرب كفا بكف، ولسان حاله يقول: يا ليته ما زاراني ولا أتاني لقد زاد على همي ومرضي، جلس الزائر وقتا، ثم أراد الذهاب فقال للمريض: هل تريد شيئا احضره لك أي شيء أنت تؤمر؟ فقال له المريض في حنق وضيق: نعم إذا خرجت من عندي فلا تعد مرة أخرى، وإذا زرت غيري فلا تذكر عنده ما ذكرته عندي الآن يا أخي النبي أمرنا أن نبشر وأنت أتيت تيأس.

واذكر ذات مرة أنني رأيت أحد الأصدقاء، وكان يكبرني بكثير وقد لاحظت أن علامات الشيخوخة قد بدت عليه فقلت له: ما هذا لقد بدت عليك علامات الشيخوخة والكبر فخاف الرجل وتغير وجهه وأدركت أنى وقعت في خطأ عظيم على الرغم من انه رحمه الله كان إنسانا مرحا ولم يتأثر بالكلمة كثيرا إلا أنني أدركت خطأ ما قلت فمن يومها ما زرت مريضا إلا ودعوت له بالشفاء والنجاة وأبرقت له إلى أن الله سبحانه وتعالى يشفي أصعب الأمراض وأحيانا اذكر له قصة المرأة المغربية التي أصيبت بسرطان الجلد، وذهب بها زوجها إلى طبيب فرنسي للعلاج ولكن يبدوا أن المرض قد تمكن منها فقال الطبيب للزوج: ارجع بها وانتظر الموت لها بعد أسبوع على أحسن حال فذهب بها الرجل إلى طبيب بلجيكي فأمره بأن يعود بها لأن أمرها ميؤسا منه ذهب بها إلى بيت الله الحرام، واعتمرت، واغتسلت بماء زمزم، واستمرت على ذلك أيام فشفاها الله هذا إذا كان المريض موسر الحال أما إذا كان المريض فقير فأذكره بأن الله قد يجعل الشفاء في أمر يسير لا نعلمه نحن ولكن ليس لقدرة الله حد فعلينا التوكل على الله والثقة به.

ذكر المعثر بأن الفرج قريب والأمل في الله ليس له حدود، وما ضاقت إلا وحان الانفراج ضيقي ضيقي حتى تنفرجي. ضاقت حلقاتها.

شجع الطلاب على النجاح وان يجدوا في المذاكرة، والتوفيق دائما من الله، ولا يأس مع الحياة كما أنه لا حياة مع اليأس بث الأمل للفقير بأن الأرزاق بيد الخلاق يرزق الديدان تحت التراب، ويرزق الطير في السماء، ويرزق السمك في الماء، ويرزق الضعيف، ويرزق المعاق، ويرزق المؤهل، وغير المؤهل.أي كن دائما مصدرا للتفائل، وبُشرة خير على جميع الناس يأنسوا بك ويلتفوا حولك كما كان رسول الله يفعل.

١٤) التودد إلى الناس والتحبب إليهم:

ما أجمل أن يحيا الإنسان بين قوم يحبهم ويحبونه، ويألفهم ويألفونه، وحين يفقد الإنسان هذا الحب في بيئته ومجتمعه فإنه يعيش في جحيم، وتعاسة وإن ملك الدنيا كلها؛ لذلك لم يكن غريبًا أن يأتي الرجل من أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم– فيقول: "دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس".([٦٠])

صحيح أن رضا الله تعالى هو قصد المسلم وأمنيته، لكن ما التعارض بين السعي في رضا الله تعالى والفوز بمحبة الناس؛ بل إننا على يقين أننا لن نفوز بمحبة الناس حقا إلا إذا أحبنا الله تعالى؛ لأن النبي–صلى الله عليه وسلم–أخبر أن الله تعالى إذا أحب عبدًا وضع له القَبول في الأرض، وإن أبغض عبدًا نفرت منه قلوب الناس.

إذاً لا تعارض أبدًا بين إرضاء الله والأخذ بأسباب التودد والتحبب إلى الناس، وأرجو أن تتأمل معي هذا الموقف العجيب من الصحابي الجليل أبي هريرة – رضي الله عنه– حين يأتي إلى الرسول–صلى الله عليه وسلم–فيسأله الدعاء لكن بماذا؟ أبمال وعيال؟ أبمنصب، أو جاه؟ لا والله إنما قال: ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين".([٦١])

إن حرص المسلم على التودد والتحبب إلى الناس لا ينبغي أن يكون لغرض دنيوي، بل امتثالاً لشريعة الله التي أمرت بالتآخي والمحبة بين المسلمين، ومن جانب آخر بدافع الحرص على فتح القلوب لقبول دعوة الحق، ولعل هذا المعنى العظيم هو ما تجلى في حديث النبي–صلى الله عليه وسلم–الذي يقول فيه: "ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله..".([٦٢])

بل إنه لن يستكمل الإيمان إلا إذا كان حبه وبغضه لله، كما في الحديث: "من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان"([٦٣]).

---

[٦٠]) الترمذي وابن ماجة.

[٦١]) مسلم.

[٦٢]) البخاري.

[٦٣])صحيح الترغيب برقم(٣٠٢٩)

١٥) التواضع:

سر من أسرار الحياة الاجتماعية التي به تدوم المودة والمحبة والألفة، بل هو مغناطيس يجذب الناس إلى الشخص المتواضع جذبا وخاصة إذا كان من أهل السطوة والجاه أي يملك مقومات الكبر، والتعالي ولكنه ترك ذلك كله لله أسوة بجميع الأنبياء كان النبي–صلى الله عليه وسلم–يجالس الفقراء ويواكلهم وينكح منهم وينكح إليهم كان يجالس العبيد، بل ويقضى لهم حوائجهم كانت الأمة تأتيه فينطلق معها ليقضى لها حاجتها كان يهون على من يكلمه، ويهدأ من روعه ويتواضع له قال ابن مسعود: أقبل رجل إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فكلمه في شيء فأخذته الرعدة فقال له النبي–صلى الله عليه وسلم–:" هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد–الطعام المجفف– وكان يقول:"أجلس كما يجلس العبد، وأكل كما يأكل العبد. فمن تواضع لله رفعه وحببه إلى خلقه وزاد قدرة ومكانته بين الناس وزادة الله عزا وشرفا"([٦٤]).

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر**على صفحات الماء وهو رفيع

ولاتك كالدخان يعلو بنفسه**على طبقات الجو وهو وضيع

وقال انس رضي الله عنه: التواضع بغير ذلة مهما بلغت منزلتك.. فهو من أجمل الأخلاق.

يا حبذا التواضع يا حبذا المزيةُ الطيِّبة ! ونِعْمَ الخصيصةُ المحبَّبة في القلوب النبيلة!

تلك القلوب التي فتَّشت عن جميل السَّجايا في ذَواتها، فسقَتها، ونمَّتها حتى تَرَعرَعَت في خميلة نفسِها، ففاحَت عطراً جذبَ إليه الفراشات المزركَشَة التي تعشَق الجمال، واستقطَبَت البلابلَ التي تبحثُ عن الأمان والسَّلام.

إن بَذرةَ التَّواضُع في النفس أشبهُ بالدالية التي تتقدَّم فِناء منزل عَتيق تغطِّي باخضِرارها ونُضارة أوراقها الممتدَّة ملامحَ هذا المنزل ليبدوَ للناظر لوحةً فنيةً ساحرة.

فما بالُكَ إذا تقدَّمت هذه الدَّاليةُ إطلالةَ بيتٍ جميل مَتين البناء، عالي الأسوار؟

فلا جَرمَ أنَّ منظرَهُ سيكون فاتناً، وكذلك فإنَّ جَمال مَظهر الإنسان عندما يَلتقي مع مَخبَره فإنه يَغدو يَنبوعاً متدفِّقاً يُفيض من جَنباته النَّفع والصَّلاح.

لتواضعُ مزية تدلُّ على النبل والكرم ونقاء السَّريرة وصفاء الطويَّة؛ لأنها لمسةٌ من لمسات الخالق أودَعَها في نُفوس عباده فتمثَّلها الأنبياء والرسُل والصالحون، والنبلاء والمفكِّرون من البشر، الذين عَرَفوا قُدرة الخالق، وضَعف المخلوق، ووَعَوا رسالةَ الحياة الغَرورة القصيرة.

المتواضع قمرٌ يَهَبُ النور، وشمسٌ تَمنحُ الدِّفْء، وابتسامةٌ تَتَكَلَّل بالفَرَح، وعَندليبٌ يُطرب الأَيك.

---

[٦٤])صحيح وضعيف الجامع برقم(٧)

والمتواضع رسالةُ سلام تَمشي على الأرض، وقلبٌ مِعطاء يُقدِّم للآخَرين إنسانيته ومعروفَه على طَبَق من ذَهَب، فيَسعدون بلُقياه؛ لأنهم يَجدون فيه جانباً آمناً وطريقاً سهلةً مَحفوفة بالزَّهر خاليةً من الأشواك.

وقديماً قالت العرب:(لا حَسَبَ كالتَّواضُع، ولا شَرَفَ كالعِلم)

قرأتُ التواضعَ قصيدةً مباركة في حياة الأنبياء، ورأيتُه مَنظراً بديعاً في انحِناء السَّنابل، وفِطرةً نقيَّة في سُجود الكائنات لله.

عِشتُه فَرَحاً في أعيُن التلاميذ عندما يُبادرهم معلِّموهم بالسَّلام والابتسامة.

وأجمل ما رأيتُه في نفوس المتخاصِمين عندما يبدأُ خَيرُهم بالسَّلام على أخيه فيَخرُج دخانُ الحِقد، ويَصفو بلَّور النفس، ويحلُّ الوِصالُ بعد الهَجر، والحبُّ بعد الكُره.

١٦) الاحترام:

من أفضل الخلق الذي يذيب الجلد بين الناس ويقرب الأفئدة، وأولى الناس بالاحترام والتوقير من كان حظه من الشرع أوفر، ونصيبه من العمل الصالح أكبر، قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين".([٦٥]) وذلكم هو ميزان التقديم والتكريم.

وصاحب خلق (الاحترام) يجل العلم وأهله، ومن احترامك للعالم أن تستشعر مهابته.

روى البخاري أن حذيفة حدّث حديثا عن الفتن، فأراد التابعون أن يسألوه، قالوا:" فهبنا حذيفة أن نسأله..."وقد كان هذا شأن الصحابة مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–. ففي مرة أرادوا أن يسألوه عمن قضى نحبه، من المقصود به في قوله تعالى:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٣

قالوا لأعرابي: سله عمن قضى نحبه من هو؟ يقول الراوي: وكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه". وفي حديث سجود السهو أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– صلى ركعتين بدل أربع، فظن بعض الصحابة أن الصلاة قصرت، يقول أبو هريرة:" وفي القوم أبو بكر، وعمر، فهاباه أن يكلماه..."

وكان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–استحثهم على السؤال فقال:"سلوني" فهابوه أن يسألوه" فأرسل الله جبريل على صورة آدمي ليسأله، ولكي يتعلموا دينهم.

ومن احترام العلماء عدم الخوض معهم في نوادر المسائل، فقد نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عن الأغلوطات، قال الأوزاعي: " الأغلوطات شداد المسائل وصعابها"، وقد ورد

---

[٦٥]) صحيح الجامع برقم(١٨٩٦)

في الحديث الصحيح:" لا تعلّموا العلم لتُبَاهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترئوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار"([٦٦])، فليحذر الذين يسألون ليجادلوا، أو ليختبروا، لا ليتعلموا. فإن شأن أمة محمد–صلى الله عليه وسلم– التوقير، والإجلال للعلم، وأهله، و" ليس منا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه"([٦٧]).

وكما وجب الاحترام للعالم، فإن للمتعلم حقه من التوقير والإكرام، يروي أحمد في حديث وفد عبد القيس أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أنزلهم ضيوفا على الأنصار: "...فلما أن أصبحوا، قالوا: كيف رأيتم كرمة إخوانكم لكم، وضيافتهم إياكم؟. قالوا: خير إخوان: ألانوا فرشنا، وأطابوا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يعلمّوننا كتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا–صلى الله عليه وسلم– ".

وأوضح من ذلك ما جاء في الحديث الحسن: " سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبا بوصية رسول الله. وأفتوهم" فليستوص العلماء بطلابهم خيرا، فإن ذلك يزيد المتعلمين توقيرا وتقديرا لمربيهم ومعلميهم.

وإن من أحوج ما ينبغي التذكير به احترام ذوي سابقة الخير، فقد كان من وصية عمر – رضي الله عنه– قبل وفاته " أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرا، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم".

فتجاوز عن زلة من سبقوك في ميدان الدعوة والجهاد، وأحفظ لهم قدرهم ولا تنس لهم فضلهم.

يروي أنس أن جريرا بن عبد الله كان يخدمه . مع أنه أكبر منه سناً. لأن جريرا هذا لم ينس إكرام الأنصار لرسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فقال: " لا أجد أحدا من الأنصار إلا أكرمته".

وحين يتربى أبناء الأمة على إكرام ذوي السبق في الخيرات، والأقدمية في خدمة الإسلام، عندئذ يعم الوفاء بين الأجيال.

ومن كرم المؤمن احترامه لمن سبق أن أحسن إليه، فإن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–لم ينس لبعض المشركين ما كان لهم من دور في الذب عنه وعن دعوته. حتى العرب في جاهليتهم كان من الأخلاق المحمودة لديهم: الوفاء والاحترام لمن أحسن إليهم، فقد روي أن رجلا من المشركين مِثْلَ عروة بن مسعود لما أغلظ له أبو بكر القول في مفاوضات صلح الحديبية، لم يجبه بشيء؛ لما لأبي بكر عليه من جميل سابق لم يكافئه عليه بعد، فلذلك قال: " أما والذي

---

[٦٦])صحيح سنن ابن ماجه برقم(٢٤٥)

[٦٧])صحيح وضعيف الجامع برقم(٥٤٤٣)

نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها، لأجبتك" وفي حديث صحيح: " من صنع إليكم معروفا فكافئوه". وأدنى ما تكافئ به المحسن إليك أن توقره وتحترمه.

وكل مؤمن حري بالاحترام فلا يُقام من مجلسه ليجلس غيره. وتجب ضيافته. وتشرع مشاورته. ويُشكر على المعروف، وتُؤَدَّى إليه حقوقه غير متعتع، ونقابله بطلاقة الوجه، وندخل السرور إلى قلبه..

وأحيانا يكون الاحترام الشكلي حتى مع من لا يستحق الاحترام لمصلحة شرعية كما كان من مخاطبة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–لهرقل بـ(عظيم الروم)، يقول ابن حجر: " لم يُخله من إكرام لمصلحة التألف" وكثيرا ما يحتاج المسلمون للتعامل بالاحترام، والتوقير لمصلحة، وحدة الصف، وتوفير الجهود، وتأليف القلوب، وإزالة الدخن، وإغاظة العدو...وبقدر ما يحترم بعضنا بعضا نكون في نظر الناس محترمين.

١٧) تكلَّم عن أخطائك أولاً، وقدِّم اقتراحات مهذبة:

إن افعل هذا، ولا تفعل ذاك لا تعطي نتيجةً طيبةً كقولك: أليس من الأفضل أن تفعل هذا؟، أو أليس من الأفضل أن لا تفعل ذاك؟. ذلك أن الأمر الجازم صعب على النفس أن تتقبله، وحتى لو تقبله الرجل الذي توجه إليه الأمر فإن توجيهك ذلك له يُبقي في نفسه جرحاً غائراً يطول قبل أن يندمل، أما الاقتراح (المهذب) فهو مستساغ لا يشعر المرء تجاهه بغضاضةٍ فينفذه راضياً محتفظاً بعزته، وتقدير نفسه.

قبل بضع سنوات، قرر مجلس إدارة شركة (جنرال إلكتريك) إقالة رئيس قسم الحسابات في الشركة وكان مهندساً كهربائياً عبقرياً طالما انتفعت به الشركة، لكنه لم ينجح في إدارة قسم الحسابات أيَّ نجاح، وكانت الشركة تقدر للرجل فضله لكن تود كفَّ يده عن قسم حيوي فيها، فكيف تبلغه ذلك؟.

لقد اخترعت له منصب (المهندس المستشار للشركة) وجعلته عليه ثم سلمت إدارة القسم لشخصٍ آخر... فحاول دائماً أن تحفظ ماء وجه الآخرين.

١٨) انصح ولكن في السر:

من نصحني على الملأ فقد فضحني.

وذلك لأن النصيحة دائما تكون بسبب نقيصة في المنصوح ولا أحد يحب أن يرى غيره أخطأه أو أن يعلم بها فما بالك بأن يأتي شخص في جمع ويتباهى بأنه ينصحك لوجه الله وأنه لولا أنه يريد لك المصلحة ما فعل هذا وهو في الحقيقة عن عمد، أو عن جهل بفعلته هذه كان سببا في أشياء إما أن يحرجك وينقص من قدرك والله يعلم بالسرائر وإما أن يكون سببا في تنحيك وابتعادك عن الموقف الذي أنتقضك من أجله وربما يكون هو المخطأ وأنت على صواب وإما أن يتسبب لنفسه في إحراج بالغ بأن يجعلك ترد عليه بألفاظ لا يحب هو سماعها وإما أن يكون سببا

في أن يتجرأ عليك غيرك أي أن النتائج التي ترتبت على النصح في الملأ تدل على أن تركها كان أولى من ذكرها ولا يختلف اثنان في أن النصيحة في العلن يكرهها الناس، لأن كل الناس يكرهون أن تبرز عيوبهم أمام غيرهم، كل الناس مسلمهم وكافرهم. ولكن أخذ الفرد ونصحه على انفراد أدعى للقبول وأدعى لفهم المسألة.

قال إمام الجرح والتعديل في عصره:" يحيى بن معين رحمه الله تعالى:" ما رأيتُ على رجلٍ خطأً إلا سترته، وأحببتُ أن أزين أمره ، وما استقبلتُ رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلاَّ تركته "([٦٨]).

قال المزني سمعت الشافعي يقول: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"([٦٩]).

وقيل لمسعر: " أتحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم، وإن قرعني بين الملأ فلا " وهذا حق؛ فإن النصح في السر حب وشفقة، والنصح في العلن انتقاص وفضيحة. وهذا هو قول الشافعي رحمه الله: " من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"([٧٠]).

١٩) الفت النظر إلى الأخطاء تلميحاً وبكُلِّ لباقةٍ:

أنت وأنا والناس جميعا يكرهون أن ينتقدهم غيرهم إلا أننا جميعاً كثيراً ما نفعل أفعالاً تستدعي الانتقاد، فإذا وددت انتقاد الغير وكان هناك موجب حقيقي لذلك، فكيف نفعل؟.

لنا في رسول الله . صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة، حينما قال لعبد الله بن عمر – رضي الله عنه–: "نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل"([٧١]). فنجد أن الرسول . صلى الله عليه وسلم عالج الخطأ بكل لباقةٍ بل وقدم المدح والثناء قبل لفت النظر إلى الخطأ. ركب سيارة صاحبه.. فكانت أول كلمة قالها: يااه !! ما أقدم سيارتك !!

ولما دخل بيته .. رأى الأثاث فقال: أووووه.. ما غيرت أثاثك؟!ولما رأى أولاده .. قال: ما شاء الله.. حلوين .. لكن لماذا ما تلبسهم ملابس أحسن من هذه !!ولما قدّمت له زوجته طعامه.. وقد وقفت المسكينة في المطبخ ساعات.. رأى أنواعه فقال: يااا الله.. لماذا ما طبختي رزّ ؟ أووه .. الملح قليل ! لم أكن أشتهي هذا النوع !! دخل محلاً لبيع الفاكهة.. فإذا المحل مليء بأصناف الفواكه..

---

[٦٨]) سير أعلام النبلاء:(ج:١١/ص:٨٣).

[٦٩]) حلية الأولياء،(ج:٩/ص:١٤٠)

[٧٠] الإحياء،(ج:٢/ص:١٨٢).

[٧١]) متفق عليه.

فقال: عندك مانجو؟ قال صاحب المحل: لا.. هذه في الصيف فقط.. فقال: عندك بطيخ ؟ قال: لا..

فتغير وجهه وقال: ما عندك شيء.. ليه انت فاتح المحل! وخرج.. ونسي أن في المحل أكثر من أربعين نوعاً من الفواكه.. نعم.. بعض الناس يزعجك بكثرة انتقاده.. ولا يكاد أن يعجبه شيء.. فلا يرى في الطعام اللذيذ إلا الشعرة التي سقطت فيه سهواً.. ولا في الثوب النظيف إلا نقطة الحبر التي سالت عليه خطئاً.. ولا في الكتاب المفيد إلا خطئاً مطبعياً وقع سهواً.. فلا يكاد يسلم أحد من انتقاده.. دائم الملاحظات.. يدقق على الكبيرة والصغيرة..

يقول الشيخ العريفي: أعرف أحد الناس.. زاملته طويلاً في أيام الثانوية، والجامعة.. ولا تزال علاقتنا مستمرة.. إلا أني لا أذكر أنه أثنى على شيء.. أسأله عن كتاب ألفته وقد أثنى عليه أناس كثيراً وطبع منه مئات الآلاف فيقول ببرود: والله جيد.. ولكن فيه قصة غير مناسبة.. وحجم الخط ما أعجبني.. ونوعية الطباعة أيضاً سيئة.. و.. وأسأله يوماً عن أداء فلان في خطبته.. فلا يكاد يذكر جانباً مشرقاً.. حتى صار أثقل علي من الجبل.. وصرت لا أسأله أبداً عن رأيه في شيء لأني أعرفه سلفاً.. قل مثل ذلك فيمن يفترض المثالية في جميع الناس.. فيريد من زوجته أن يكون بيتها نظيفاً ٢٤ساعة ١٠٠%.. ويريدها أيضاً أن يبقى أطفالها نظيفين متزينين على مدى اليوم.. وإن زاره ضيوف افترض أن تطبخ أحسن الطعام.. وإن جالسها افترض أن تحدثه بأجمل الأحاديث.. وكذلك هو مع أولاده.. يريدهم ١٠٠% في كل شيء..ومع زملائه.. ومع كل من يخالطه في الشارع والسوق.. و ..وإن قصّر أحد من هؤلاء أكله بلسانه وأكثر عليه الانتقاد وكرر الملاحظات.. حتى يمل الناس منه.. لأنه لا يرى في الصفحة البيضاء إلا الأسودَ..

من كان هذا حاله عذب نفسه في الحقيقة.. وكرهه أقرب الناس إليه واستثقلوا مجالسته..

قالت أمنا عائشة رضي الله عنهما وهي تصف حال تعامله معهم: ما عاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– طعاماً قط.. إن اشتهاه أكله وإلا تركه". .. نعم ما كان يصنع مشكلة من كل شيء.. وقال أنس: والله لقد خدمت رسول الله – -صلى الله عليه وسلم تسع سنين.. ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قط.. ووالله ما قال لي أفَّ قط

هكذا كان.. وهكذا ينبغي أن نكون..

وأنا بذلك لا أدعو إلى ترك النصيحة أو السكوت عن الأخطاء.. ولكن لا تكن مدققاً في كل شيء.. خاصة في الأمور الدنيوية.. تعود أن تمشي الأمور..

لو طرق بابك ضيف فرحبت به وأدخلته غرفة الضيوف فلما أحضرت الشاي تناول الفنجان.. فلما نظر إلى الشاي بداخله قال: لمَ لم تملأ الفنجان؟ فقلت: أزيدك؟ قال : لا .. لا.. يكفي..

فطلب ماء فأحضرت له كأس ماء فشكرك وشربه.. فلما انتهى قال: ماؤكم حار.. ثم التفت إلى المكيف وقال: مكيفكم لا يبرد !! وجعل يشتكى الحر.. ثم..ألا تشعر بثقل هذا الإنسان.. وتتمنى لو يخرج من بيتك ولا يعود..إذن الناس يكرهون الانتقاد.. لكن إن احتجت إليه فغلفه بغلاف جميل ثم قدمه للآخرين..

قدمه في صورة اقتراح.. أو بأسلوب غير مباشر.. أو بألفاظ عامة ..

كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم إذا لاحظ خطئاً على أحد لم يواجهه به وإنما يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.. يعني: إياكِ أعني واسمعي يا جارة..

إن المقصود بالانتقاد والتوجيه هو إصلاح الغير مع ضمان عدم إثارة البغضاء في قلبه، ولهذا كان على المنتقد أن يلجأ إلى التلميح بما يراه ناقصاً، ولكن من طرفٍ خفيٍ.

وما أجمل وما أكثر ما كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يقول قولته الشريفة الكريمة:" ما بال أقوام يفعلون كذا، وكذا". كلما رأى خطأ ما قال ما بال فلان تصريحا باسمه ولكن كان دائما يلمح ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم. ما بال أقوام يؤذونني في أهلي.

٢٠) ليس هناك من يحب أن يتلقي الأوامر:-

حاول أن تعطي الآخرين دائما الفرص ليفعلوا الأشياء بأنفسهم واتركهم ليتعلموا من أخطائهم وطرح الأسئلة بدلا من الأوامر اجعل الآخرين يشاركون في صناعة القرار واجعل هذا المبدأ أمام عينيك (أطرح الأسئلة بدلا من أن تصدر الأوامر المباشرة) كل إنسان منا بداخله عظمه خاصة تأبي عليه أن يتلقى أوامره من غيره، وإن تم ذلك يكن على مضض وإرضاء بالأمر الواقع مهما كان منصب من يصدر الأوامر، ومن يتلقاها.، وقد قيل: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

ولتعلم أنها لو دامت لأحد ما وصلت إليك إن الأوامر تجعل الإنسان يقوم بالعمل لمجرد الانتهاء منه (تسديد أوامر)وهذا لا يمنع من تنفيذ هذه الأوامر لمصلحه الجميع طبعا بشرط أن تكون عملا مباحا شرعا.

٢١) دع الشخص الأخر يحتفظ بماء وجهه:

الإساءة في كرامة الرجل جريمة..

فالمهم ليس رأيك في الرجل ولكن المهم رأيه في نفسه فمن أراد أن يملك قلوب الناس فليتبع هذه الحكمة التي نادى بها ديل كارنيجى الكاتب الأمريكي واليك ما قال: "دع الشخص الأخر يحفظ ماء وجهه". " نحن نعمد دوما إلى إيذاء مشاعر الآخرين، ننتقد الطفل علنا وأمام الأغراب، دون أن نقدر الجرح الغائر الذي نصيب به كبرياءهم، بينما بضع دقائق من التفكير، وكلمة مهذبة، أو اثنتين، وإدراكا تاما لوجهة نظر الشخص الآخر، كفيلة بأن تخفف من وطأة اللطمة، وتكسر حدتها، فدعنا نذكر هذا في المرة التالية التي تواجهنا فيها مهمة إقالة موظف، أو الاستغناء عن خادم، أو نصح طفل. ويتساءل المؤلف مستنكرا: إني لأعجب لماذا لا نستخدم المديح بدلا من

الانتقاد؟ لماذا لا نمتدح أقل الإجادة؟ فهذا يحفز الشخص الآخر حتما على مواصلة الإجادة! اجعل الشخص الآخر يدرك أن لك فيه ثقة، ولك بمقدرته إيمانا وأن له موهبة لم يتعهدها كما ينبغي، تجده يتدرب حتى يبرز، ويتفوق.

يحكي المؤلف: أن هناك سيدة كانت تتبرم بالصبية الذين يلهون أمام بيتها، ويفسدون الزرع النابت في مدخله، وقد جربت معهم اللوم، والتعنيف، ولكن بلا جدوى، وأخيرا حاولت أن تضفي على أسوأ الصبيان في العصبة، وأكثرهم عبثا مركزا، وسلطانا، ونصبته مشرفا على حديقة منزلها، فكان نتيجة ذلك أن أوقد الصبي نارا خلف البيت وحمى فيها قضيبا من الحديد وهدد أن يكوي به كل من يطأ الحديقة بقدمه! هكذا الطبيعة الإنسانية! ومن العجيب أنك تجد أناسا ما يبحثون إلا عن النقائص، والرزايا إذا رأى مريضا به عاهة كبتر ساق، أو شلل في يده تجده يحلق النظر في مكان العاهة، أو الإصابة كأنه يريد أن يذكر صاحب العاهة بعاهته دائما، أو إذا رأيت إنسانا يرتدى ثيابا قديمة، أو باليه فلا تدقق النظر فيها ولا تلفت نظره إلى انك تنظر إليها حتى لا تؤذى مشاعره، وتحسسه بنقص فيه فيكره لقاءك، ويفر من مقابلتك. إذا دخلت بيته ووجدته متواضعا فلا تشعره بذلك حتى لا تؤذى مشاعره.

٢٢) اجعل الخطأ يبدو سهل الإصلاح:

إذا أخبرت طفلك، أو زوجتك، أو عاملا لديك بأنه غبي في شيء، وأنه لا مواهب له فإنك تدمر بذلك كل حافز لدية للتقدم، لكن إذا شجعته، وجعلت الأشياء سهلة أمامه يعرف أنك مؤمن بقدرته علي فعلها وعلي ذلك فإنه سيتدرب حتى يتفوق. في بداية بعثة النبي–صلى الله عليه وسلم– كان الناس بين مقبل، ومدبر، وكان رجلا في المدينة اسمه سويد بن الصامت وكان رجلا شريفا في قومه عاقلا يحفظ كلام الحكماء حتى قيل إنه كان يحفظ كل ما روى عن لقمان الحكيم حتى بلغ من إعجاب الناس به أنهم كانوا يسمونه الكامل لجلده وشعره، وشرفه، ونسبه.

قدم سويد يوما مكة حاجا فتحدث الناس بدخوله مكة واقبلوا لرؤيته فسمع النبي –صلى الله عليه وسلم– به فأقبل عليه فدعاه إلى الله، والى الإسلام، وجعل يحدثه بالتوحيد، والرسالة وانه يوحى إليه القرآن، وهو كلام الله تعالى فيه عبرا وأحكاما فقال سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:" وما الذي معك؟ قال معي مجلة لقمان يعنى حكم لقمان. فتلطف به النبي–صلى الله عليه وسلم– وقال له:" اعرضها على فشرع يقرأ ما يحفظ من كلام لقمان، وحكمه، ورسول الله يستمع إليه بهدوء، وسكينه فلما انتهى سويد قال له رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل منه قرآن أنزله الله على هو هدى، ونور، ثم تلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام، وسويد يستمع منصتا فلما فرغ رسول الله من كلامه قال سويد: وقد ظهر عليه التأثر: إن هذا لقول حسن. ثم انصرف سويد عن النبي–صلى الله عليه وسلم– وهو لايزال متأثرا بما سمع فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن وقع

قتال بين قبيلتي الأوس، والخزرج، وكان من قبيلة الأوس فقتله الخزرج وذلك قبل أن يهاجر النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة ولا يدرى هل أسلم أم لا ؟ وإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قد قتل مسلما. كان الرجل على خطأ وفي قراره نفسه ظن أنه هو على الصواب، والحق فبين له الرسول–صلى الله عليه وسلم– الخطأ برفق حين قال: إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل منه.

كان من حرص الصحابة على الصلاة أنهم كانوا أحيانا يأتوها وهم يهرولون فلما سمع الرسول . صلى الله عليه وسلم جلبتهم أراد أن يصلح الخطأ بعد أن مدح المخطأ، فقال:" إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ولا تأتوها، وأنتم تسعون فما أدركتم فصلوا، وما فآتكم فأتموا".([٧٢])

كان خالد من أشداء الكفار علي المسلمين..لا يكاد يفوت فرصة إلا حارب فيها رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، أو ترصّد له.. فلما أقبل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– مع المسلمين إلى الحديبية.. وأرادوا العمرة.. خرج خالد في خيل من المشركين.. فلقوا النبي–صلى الله عليه وسلم–، وأصحابه بموضع يقال له: عسفان.. فقام خالد قريباً منهم يتحين الفرصة ليصيب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–برمية سهم، أو ضربة سيف.. جعل يترصد، ويترقب.. فصلى النبي–صلى الله عليه وسلم–بأصحابه صلاة الظهر أمامهم.. فهموا أن يهجموا عليهم.. فلم يتيسر لهم.. فكأن النبي–صلى الله عليه وسلم– علم بهم .. فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف.. أي قسم أصحابه إلى فريقين.. فريق يصلي معه وفريق يحرس.. فوقع ذلك من خالد وأصحابه موقعاً.. وقال في نفسه: الرجل ممنوع عنا.. أي هناك من يحميه ويمنع عنه الأذى !!ثم ارتحل–صلى الله عليه وسلم– وأصحابه.. وسلكوا طريقاً ذات اليمين.. لئلا يمروا بخالد وأصحابه.. وصل–صلى الله عليه وسلم– إلى الحديبية.. صالح قريشاً على أن يعتمر في العام القادم.. ورجع إلى المدينة.. رأى خالد أن قريشاً لا يزال شأنها ينخفض في العرب يوماً بعد يوم.. فقال في نفسه: أي شيء بقي؟ أين أذهب؟ إلى النجاشي؟ .. لا.. فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون.. فأخرج إلى هرقل؟.. لا.. أخرج من ديني إلى نصرانية؟.. أو يهودية؟ وأقيم في عجم؟.. فبينما خالد يفكر في شأنه.. ويتردد.. والأيام، والشهور تمضي عليه.. إذ جاء موعد عمرة المسلمين.. فأقبلوا إلى المدينة.. دخل–صلى الله عليه وسلم– مكة معتمراً.. فلم يحتمل خالد رؤية المسلمين محرمين.. فخرج من مكة.. وغاب أياماً أربعة وهي الأيام التي قضاها النبي–صلى الله عليه وسلم– في مكة.. قضى النبي–صلى الله عليه وسلم– عمرته.. وجعل ينظر في طرقات مكة وبيوتها.. ويستعيد الذكريات.. تذكر البطل خالد بن الوليد.. فالتفت إلى الوليد بن الوليد.. وهو أخو خالد.. وكان الوليد مسلماً قد دخل مع النبي–صلى الله عليه

---

[٧٢]) متفق عليه.

وسلم- معتمراً.. وأراد-صلى الله عليه وسلم- أن يبعث إلى خالد رسالة غير مباشرة.. يرغبه فيها بالدخول في الإسلام..

قال-صلى الله عليه وسلم- للوليد: أين خالد؟ فوجئ الوليد بالسؤال.. وقال: يأتي الله به يا رسول الله.. فقال-صلى الله عليه وسلم-: " مثله يجهل الإسلام !! ولو كان جعل نكايته وَحَدَّه مع المسلمين.. كان خيراً له.. ثم قال: ولو جاءنا لأكرمناه.. وقدمناه على غيره.. استبشر الوليد.. وجعل يطلب خالداً، ويبحث عنه في مكة.. فلم يجده..

فلما عزموا على الرجوع للمدينة.. كتب الوليد كتاباً إلى أخيه: بسم الله الرحمن الرحيم.. أما بعد.. فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام.. وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام يجهله أحد؟ وقد سألني رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عنك وقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به.. فقال: " مثله جهل الإسلام !! ولو كان جعل نكايته وَحَدَّه مع المسلمين.. كان خيراً له.. ولو جاءنا لأكرمناه.. وقدمناه على غيره.. فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة.. قال خالد: فلما جاءني كتابه.. نشطت للخروج.. وزاني رغبة في الإسلام.. وسرني سؤال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عني.. وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة.. فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.. فقلت: إن هذه لرؤيا حق.. فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قلت: من أصاحب إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؟!فلقيت صفوان بن أمية.. فقلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضراس يطحن بعضها بعضاً.. وقد ظهر محمد على العرب والعجم.. فلو قدمنا على محمد واتبعناه.. فإن شرف محمد لنا شرف؟ فأبي أشد الإباء.. وقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً. .فافترقنا.. وقلت في نفسي: هذا رجل مصاب.. قتل أخوه وأبوه بمعركة بدر.. فلقيت عكرمة بن أبي جهل.. فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية.. فقال لي مثل ما قال لي صفوان بن أمية.. قلت: فاكتم علي خروجي إلى محمد.. قال: لا أذكره لأحد. فخرجت إلى منزلي.. فأمرت براحلتي فخرجت بها.. إلى أن لقيت عثمان بن طلحة.. فقلت: إن هذا لي صديق.. فلو ذكرت له ما أرجو.. ثم ذكرت من قتل من آبائه في حربنا مع المسلمين.. فكرهت أن أذكِّره.. ثم قلت: وما علي أن أخبره.. وأنا راحل في ساعتي هذه!.. فذكرت له ما صار أمر قريش إليه.. وقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر.. لو صُب عليه ذنوب من ماء لخرج.. وقلت له نحواً مما قلت لصاحبي.. فأسرع الاستجابة وعزم على الخروج معي للمدينة!.. فقلت له: إني خرجت هذا اليوم.. وأنا أريد أن أمضي للمدينة.. وهذه راحلتي مجهزة لي على الطريق.. قال: فتواعدنا أنا وهو في موضع يقال له "يأجج ".. إن سبقني أقام ينتظرني.. وإن سبقته أقمت أنتظره.. فخرجت من بيتي آخر الليل سحراً.. خوفاً من أن تعلم قريش بخروجنا..

فلم يطلع الفجر حتى التقينا في "يأجج".. فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة.. فوجدنا عمرو بن العاص على بعيره.. قال: مرحباً بالقوم.. إلى أين مسيركم؟ فقلنا : وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟

قلنا : الدخول في الإسلام .. وإتباع محمد-صلى الله عليه وسلم-.. قال: وذاك الذي أقدمني. فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة.. فأنخنا بظهر الحرة ركابنا.. فأُخبر بنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فسر بنا.. فلبست من صالح ثيابي.. ثم توجهت إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.. فلقيني أخي فقال: أسرع.. فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.. قد أُخبر بك فسُرَّ بقدومك وهو ينتظركم..

فأسرعنا السير.. فأقبلت إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أمشي.. فلما رآني من بعيد تبسّم.. فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه.. فسلمت عليه بالنبوة.. فرد على السلام بوجه طلْق.. فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله.. وأنك رسول الله.. فقال: "الحمد لله الذي هداك.. قد كنت أرى لك عقلاً.. رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير "..قلت: يا رسول الله.. إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك.. معانداً للحق.. فادع الله أن يغفرها لي.. فقال-صلى الله عليه وسلم-: " الإسلام يجب ما كان قبله "..قلت: يا رسول الله.. على ذلك.. فاستغفر لي.. قال: " اللهم اغفر لخالد بن الوليد.. كل ما أَوضع فيه.. من صد عن سبيل الله "..ومن يعدها كان خالد رأساً من رؤوس هذا الدين.. أما إسلامه فكان برسالة غير مباشرة وصلت إليه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

٢٣) ادفع الناس إلي النجاح:

يقول عالم النفس "جيمس لير": المدح كضوء الشمس الدافئة للروح الإنسانية، ولن تستطيع أن تنمو وتزدهر بدونه".

كن صادقا في تقديرك وكريما في مدحك. كان هناك طفل يعمل كاتبا في أحد المتاجر الصغيرة وكان يضطر للاستيقاظ مبكرا "الخامسة صباحا" ليكنس المحل، وكان يعمل لمدة ١٤ ساعة يوميا مقابل مبلغ زهيد فأرسل له معلمة خطابا يحتوي علي كثير من المدح وعرض عليه أن يعمل كمدرس، وغير هذا المدح مسار حياة هذا الطفل، بل وغير مسار الأدب العالمي كله، حيث أصبح هذا الطفل هو الكاتب الفذ ويلز. إنك تستطيع أن تصنع من أي إنسان فاشل بالكثير من الصبر والمثابرة إنسانا ناجحا بشرط أم تجعله يقتنع برأيك ويتعلق بك، ويحبك فإذا أحبك، واقتنع بكلامك، وتعلق بك فعل كل ما تريده منه، ولا أقصد بذلك أن تجعله شخصا معدوم الشخصية منساقا وراء طلباتك إن بين النجاح، والفشل شعرة بسيطة الكثير من الناس استطاع أن يحافظ عليها.

٢٤) لا تلُم أحداً عساكَ ألا تُلام (لا تُكثر من لوم الناس):

الناس يكرهون من يؤنب ويوبّخ في غير محل التأنيب ومن غير تأنٍ ودون السؤال والاستفسار، بل من الخطأ أن يتمادى الإنسان في التأنيب بعد أن يعتذر صاحبه ومن يتحدث معه فالناس جميعاً ومنهم نحن عاطفيون أولاً، ثم أصحاب منطقٍ وعقولٍ في الدرجة الثانية.

إن لنا نفوساً ذات مشاعر وأهواء، وهي تريد من الآخرين أن يحترموها كما هي.

فلماذا تحاول مناقضة نفوس الآخرين، بينما تعرف أن نفوسنا من نفس النوع؟

إن اللوم والتأنيب مُرُّ المذاق ثقيل على النفس البشرية فحاول تجنبه حتى تكسب حب غيرك.

بعض الناس يظن أن كثرة اللوم للآخرين على الخطأ التي ربما تكون لا ترى ألا بالمجهر الذي يحمله اللائم وحده يظن انه يتقرب منهم أكثر، أو أنه يقوى شخصيته أكثر، والحق أنه ليس من الذكاء، والفطنة أن تستطيع اللوم، وإنما أن تتجنبه قدر المستطاع، وتسعى إلى إصلاح الأشخاص بأساليب لا تجرح ولا تحرج وأحيانا نحتاج في بعض الأمور أن نتعامى.

وذلك في الأمور الدنيوية والحقوق الخاصة.

ليس الغبي بسيد في قومه ** لكن سيد قومه المتغابي

والملوم يعتبر اللوم سهما حادا يتوجه إليه لأنه يشعره بنقصه هذا أولا وذلك لأن كثرة العتاب توغر قلوب الأحباب، ومع هذا إذا وقع منك اللوم لابد وان يكون على انفراد وليس في جمع من الناس لأن هذا لا يعتبر نصحا أو توجيها أو عتابا وإنما يعتبر تشهيرا وتنقيصا.

إن اللوم كالسوط الذي يجلد به اللائم ظهر الملوم، والعجيب أنك تجد الكثير من الناس ينفر الآخرين إما بكثرة لومهم، أو بلومهم على أمور انتهت، ولا يقدم اللوم، أو يؤخر فيها شيئا على كل لائم أن يضع نفسه مكان الملوم المخطئ ويفكر في وجهة نظره فربما لو كنت مكانه لوقعت في خطأ أكبر مما وقع فيه الشخص الملوم يقول عيسى ابن مريم عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام: لا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم بشر فالناس رجلان معاف ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

لما انصرف رسول الله من خيبر أطالوا المسير حتى تعبوا فلما اقبل الليل نزلوا في موضع في الطريق لينام فقال –صلى الله عليه وسلم–: "من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك فاضطجع رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ونزل الناس فناموا وقام بلال يصلى حتى تعب فقعد واستند إلى بعيره متعبا فغلبته عيناه فناموا جميعا، ولم يوقظهم إلا حر الشمس استيقظ رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وهب الناس من نومهم فلما رأوا الشمس كثر لغطهم ونظر الكل إلى بلال التفت النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى بلال وقال ماذا صنعت بنا يا بلال؟ فأجاب بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؟ فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–:"صدقت. وسكت عنه ولم يعنفه ولم يلمه لأنه لا جدوى للوم فلما رأى اضطراب الناس

قال–صلى الله عليه وسلم–: ارتحلوا". فارتحلوا فمشى شيئا يسيرا ثم نزل فتوضأ وتوضئوا ثم صلى بالناس فلما سلم أقبل على الناس فقال–صلى الله عليه وسلم–:إذا نسيتم الصلاة فصلوها متى ذكرتموها".

لما فر خالد بن الوليد – رضي الله عنه– بالجيش يوم مؤته في خطة إنقاذ ما يمكن إنقاذه واستطاع أن ينجوا بالجيش من هزيمة محققه ومن كارثة أكيده وعاد الجيش إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقبيل دخولهم المدينة لقيهم الصبيان وجعلوا يحثون التراب في وجوه الجيش ويقولون:" يا فرار فررتم في سبيل الله. فلما سمع بذلك رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال مدافعا لا لائما: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل.

يذكر الدكتور العريفي في كتابه استمتع بحياتك قصه فيقول: أذكر أن رجلا تغرب عن أهله إلى بلد أخر واشتغل سائق شاحنه كان في احد الأيام متعبا لكنه ركب الشاحنة ومضى بها في طريق طويل بين مدينتين غلبه النوم أثناء الطريق فجعل يسارعه وأسرع قليلا فتجاوز سيارة أمامه دون أن ينتبه إلى الطريق فإذا أمامه سيارة صغيرة فيها ثلاثة أشخاص حاول أن يتفاداها لم يستطع فاصطدم بها وجها لوجه ثار الغبار وجعل المارة يوقفون سيارتهم ليروا الحادث نزل سائق الشاحنة، ونظر إلى السيارة المصدومة، والى من بداخلها فإذا هم موتى أنزلهم الناس، واتصلوا بسيارة الإسعاف جلس سائق الشاحنة ينتظر وصول الإسعاف، ويفكر فيما سيحصل له بعد الحادث من سجن، ودية، ويفكر في أولاده الصغار، وزوجته هموم أنهدت عليه كالجبال جعل الناس يمرون به ويلومونه عجبا أهذا، وقت اللوم ألا يمكن أن يؤجل قال: احدهم لماذا تسرع هذه عواقب السرعة، وقال ثان: أكيد كنت نعسان، ومع هذا استمريت في القيادة لم توقف سيارتك وتنام، وقال آخر: المفروض أن مثلك لا تصرف لهم رخصة قياده، وطبعا كانوا يقولونها في أسلوب حاد، وعنيف، ومنظر القتلى أمامهم يثير في نفس اي إنسان مثل هذه الدوافع كان الرجل واجما جالسا على صخرة ساكتا متكئا برأسه على يديه وفجأة هوى على جنبه، ومات، أو قتلوه بلومهم إياه مع ما به من مصاب.

صحيح أنه مخطئ، ويستحق العقاب الأليم الذي حدده الشرع، ولكن ليس هذا وقته وأوانه. إن اللوم لابد منه، ولكن لابد من الطريقة، والأسلوب، والوقت المناسب، ولكل خطأ لوم معين يستحق وليس كل الناس يستطيع أن يلوم غيره بالطريقة التي تجدي إنك ما تجد أنسانا يقع في خطأ إلا وتجد كل من هب ودب ينبري ويرتدى عبأه المصلح الاجتماعي المعصوم من مثل الخطأ الذي يلوم الناس عليه. وإنني عندما أرى كثرة اللوام، وطريقة لومهم على خطأ لم يتكلموا عنه إلا بعد وقوعه ولو كانوا قبل وقوعه أخذ رأيهم فيه لارتكبوا خطأ أشنع منه فأتعجب، وأذكر الحكمة القائلة: إن أسهل الأشياء أن ينصح الإنسان غيره وأصعب الأشياء أن ينصح الإنسان نفسه.

وهيا بنا نردد قول الشاعر الذي يفهم حقيقة الناس فقال:

لأن كنت محتاجا إلى الحلم إنني **في بعض الأحايين إلى الجهل أحوج

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ** ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمي فإني مقوم *** ومن رام تعويجي فإني معوج

وما كنت أرضي الجهل خدنا ** وصاحبا ولكنني أرضي به حين أحرج

ومن المؤسف أن بعض الناس يقع على السيئة من شخص ما فيقيم الدنيا ويقعدها من أجلها ثم يعمى أو يتعامى عن عما تمتلئ به حياة هذا الشخص من أفعال حسان وشمائل كرام، والنظر الذي يثبت على الصغائر لا يعدوها ولا يعتذر عنها بما يجاورها من خير وكمال هو نظر جائر وقلما يقود صاحبة إلى راحة.

إن الله عز وجل يتجاوز عن التوافه، ويغتفر اللمم لكل مؤمن ينشد الكمال، ويصبغ به عمله على قدر استطاعته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢

 وجميل في أجزية الله للناس أن يترك لهم فلتات الطباع وزلات الأقدام وجميل من الناس أن يعاشر بعضهم بعضا على هذه القاعدة من السماحة.

وهذه القاعدة إذا حسن تطبيقها فيما بين الأصدقاء من أواصر وما يعرض لعلاقتهم من هزات فهي بين الزوجين ألزم وللسيطرة على حياتهم أحب واحكم فإذا ضاق الزوج بغلطة من امرأته تذكر أن لها صوابا وإن حزن لجانب من نفسها نظر الى جانب آخر يسره منها قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر".([٧٣])

على أنه من المؤسف أن كثيرا من التوافه تعصف برشد الألوف المؤلفة من الناس، وتقوض بيوتهم، وتهدم صداقاتهم، وتذرهم في هذه الدنيا حيارى محسورين.

يقول ديل كارنيجي: إن الصغائر في الحياة الزوجية يسعها أن تسلب عقول الأزواج والزوجات وتسبب نصف أوجاع القلب التي يعانيها العالم. أو ذاك على الأقل ما يؤكده الخبراء فقد صرخ القاضي جوزيف سابات من قضاة شيكاغو بعد أن فصل في أكثر من أربعين ألف طلاق بقوله: إنك لتجدن التوافه دائما وراء كل شقاء يصيب الزواج.

وقال فرانك هوجان النائب العالم في نيو نيورك:" إن نصف القضايا التي تعرض على محاكم الجنايات تقوم على أسباب تافهة كجدال ينشأ بين أفراد أسرة أو من إهانة عابرة، أو كلمة جارحة، أو شارة نابية. هذه الصغائر اليسيرة هي التي تؤدى إلى القتل والجريمة.

---

[٧٣]) مسلم.

هذا الكلام الذي يصف علل الجرائم في مدن أمريكا يمكن أن ننقله بنصه في وصف علل الجرائم التي تقع في مدننا وأريافنا. والواقع أن سوء التصور للأمور وشدة الإحساس بالكرامة الخاصة والمبادرة إلى تفسير أي تصرف بأنه احتقار لا يغسله إلا الدم وغير ذلك من التخيلات التي تضخم التوافه هو السبب الأول لما تشهد وتقرأ من أحداث مروعة. والعلاج ثقل مرآه الذهن بحيث تلتقط صورا حقيقة لما تحفل به من الحياة صورا لم تفسدها المبالغة ولم يشوهها الهوى ثم الحكم على هذه الصور في نطاق النظرة الروحية النظرة التي تضع النظائر والنقائص في حوار واحد فلا تنسى الخير إذا هاجها الشر.

٢٥) سلم بخطئك حين تخطيء:

إن الاعتراف بالخطأ يزيل التحامل الذي يمكن أن يتولد في صدر الخصم أولاً، ومن ثم يخفف أثر الخطأ ثانياً...فحين ترى أنك على خطأٍ اعمد إلى التسليم به، وهو كفيلٌ بأن يجعل الخصم يقف منك موقف الرحيم السريع العفو، وعلى العكس من ذلك إذا أصررت على الدفاع عن خطئك.

وقديماً قيل:" المقر بذنبه كمن لا ذنب له".

وقد وقف عمر – رضي الله عنه– ذات يوم خطيبا لما رأى تفشى ارتفاع المهور وأراد أن يقنن هذا الأمر وان يجعل له سقفا حتى ييسر الزواج على غير القادر فقال: ألا لا تَغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مَكْرُمَة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ما أصدق قط امرأة من نسائه، ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقِية. فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا ! أليس الله سبحانه وتعالى يقول: **{وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً}**؟ فقال عمر– رضي الله عنه–: أصابت امرأة، وأخطأ عمر. وفي رواية فأطرق عمر– رضي الله عنه– ثم قال: كل الناس أفقه منك يا عمر !. وفي أخرى: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وترك الإنكار.

٢٦) الاختلاف وراد:

إن من طبيعة البشر الفرح، والحزن، والرضا، والغضب، والاختلاف، والتوافق.

يقول الشافعي: رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب. وقد تناظر الشافعي يوما مع احد العلماء حول مسألة فقهية فاختلفا، وطال الحوار حتى اعتلت أصواتهما ولم يقنع احدهما صاحبه فلما انتهى المجلس وتوجها للخروج التفت الشافعي إلى صاحبه واخذ بيده وقال: لا يصح أن نختلف ونبقى إخوانا.

وجلس بعض علماء الحديث يوما عند الخليفة فتكلم رجل في المجلس بحديث فاستغرب العالم منه وقال: ما هذا الحديث من أين جئت به؟ تكذب على رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ؟

فقال الرجل: بل هذا حديث ثابت. وكان في المجلس وزير عاقل فالتفت إلى العالم، وقال بهدوء:" يا شيخ هل حفظت جميع أحاديث النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: العالم: لا.

قال: فهل حفظت نصفها؟ قال ربما. فقال: فاعتبر هذا الحديث من النصف الذي لم تحفظه.

واختلف الكثير من الصحابة الكرام، وكانوا يخرجوا من الاختلاف بكل حب ومودة اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حيث وقعت بينهما محاوره فانصرف عنه عمر مغضبا فلما رأى أبو بكر ذلك ندم، وأحس بخطاه فانطلق يتبع عمر– رضي الله عنه–ويقول: استغفر لي يا عمر.. وعمر– رضي الله عنه– لا يلتفت إليه وأبو بكر يعتذر ويمشى ورآه حتى وصل عمر– رضي الله عنه–إلى بيته وأغلق بابه في وجهه فمضى أبو بكر إلى رسول الله فلما رآه النبي–صلى الله عليه وسلم–مقبلا من بعيد رآه متغيرا فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–:"أما صاحبكم هذا فقد غامر جلس أبو بكر ساكتا فلم تمض لحظات حتى ندم – رضي الله عنه–، واقبل إلى مجلس رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فسلم وجلس بجانب النبي–صلى الله عليه وسلم– وقص الخبر وحكى للنبي–صلى الله عليه وسلم–كيف اعرض عم أبي بكر ولم يقبل اعتذاره فغضب النبي–صلى الله عليه وسلم– فلما رأى أبو بكر غضبه جعل يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت اظلم أنا كنت أظلم أنا كنت أظلم وجعل يدافع عن عمر– رضي الله عنه–، ويعتذر له. فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟هل انتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت".([٧٤]).

عزل عمر ابن الخطاب– رضي الله عنه– خالد بن الوليد– رضي الله عنه– عن قيادة الجيش وهو في أوج انتصاره لحكمة رآها فما كان من القائد الذي كان تحت إمرة جيوش المسلمين وهو القائد المغوار فاتح البلاد إلا أن يقول سمعا، وطاعة، بل وعند موته رحمه الله أوصى ببعض تركته لأمير المؤمنين.

واختلف الصحابة بعد موت النبي–صلى الله عليه وسلم– في سقيفة بني ساعده وانتهى الخلاف في التو والحال بتعيين أبي بكر خليفة دون أن يترك ذلك في نفوسهم شيء وذلك في سقيفة بني ساعده. وقد عينوا سعد بن عبادة – رضي الله عنه– خليفة، وكاد ينشب خلاف فذهب أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، فقام أبو بكر فخطب في الجمع، وذكر فضل الأنصار، وذكر فضل المهاجرين، ثم قام عمر، واختار أبا بكر للخلافة فأجمع عليه الصحابة وانتهى الأمر بالوفاق، والعناق، والرضا، والمحبة.

وزع عمر بن الخطاب ذات يوم وهو أمير المؤمنين ثيابا على الناس فنال كل واحد منهم قطعة قماش تكفيه إزارا، أو رداء، ثم قام يخطب الناس فقال في أول خطبته: إن الله كتب لي

---

[٧٤]) رواه البخاري.

عليكم السمع، والطاعة فقام رجل وقال: لا سمع لك، ولا طاعة. فقال عمر: لمه؟ قال: لأنك قسمت علينا ثوبا وأنت تلبس ثوبين جديدين فتلفت عمر في المصلين حتى وقعت عينه على ابنه عبد الله فقال: قم يا عبد الله بن عمر فقام. فقال: الست دفعت لي ثوبك لأخطب فيه؟ قال عبد الله نعم. قال الرجل الآن نسمع لك، ونطيع يا عمر وانتهى الأمر كأن شيئا لم يكن.

إن الرجل الفطن اللبيب الحريص على الود، والمحبة، والوفاق مع الناس وعدم التشاجر، والتناحر يستطيع أن يحول الاختلاف إلى ائتلاف يحول الخصومة إلى مصالحة، ومحبة، بل يجعل شعاره الاختلاف في وجهات النظر لا يفسد للود قضية. يا ليتنا نستطيع أن نصل إلى هذه الجملة، ولكننا وللأسف نحاول أن نختلق الخلاف حتى نفترق.

٢٧) احذر من النقد المباشر:

الانتقاد لا يحتاج إلى موهبة خاصة، أو بذل نشاط كبير، ففي وسع أي أحمقٍ أن يُشنِّع على رجل ذي عبقرية وتميز، وأن يتهمه ويسخر منه.

دعنا نحاول أن نفهم الآخرين ونتلمس لهم الأعذار حين تقصيرهم فهذا أمتع من النقد المباشر. فطبيعة البشر تأبي ذلك. نعم، قد ينفذ الشخص المنتقد المطلوب منه ولو كان الأسلوب مباشر وبنقد حاد، ولكن لو كانت الطريقة ألطف كان ذلك أدعى للقبول. ولنا في رسول الله–صلى الله عليه وسلم– أسوة حسنة، ومن ذلك ما ورد في قصة القوم الفقراء والذين جاؤوا وكانوا كلهم من مُضَر، وتأثر الرسول–صلى الله عليه وسلم– لما لهم من الفقر فقام وخطب الناس، ثم قال:" تصدق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع تمره".(٧٥)

ولم يقل تصدقوا ولم يعاتبهم على عدم الصدقة، فانظر النتيجة: جاء رجل من الأنصار بِصُرّة كادت تعجز يده عن حملها، بل عجزت، وقدمها للرسول–صلى الله عليه وسلم–فاستهل، وجهه، وقام الناس، وتصدقوا، فأصبح عنده كومة من الصدقات، وفرح الرسول . صلى الله عليه وسلم فقال:" من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة..." الحديث (٧٦)وهكذا. فاحذر من النقد المباشر الذي لا تكسب منه سوى إيغار الصدور.

إن المدح المؤدب المقتصد يؤثر في النفوس أيما تأثير بل تسعد به النفوس مهما بلغ من ورعها وتقواها وتنسكها إن كلمة المدح تفتح الأسارير إنها تفعل في القلوب فعل السحر إن منهج الحق الموروث عن النبي . صلى الله عليه وسلم إنزال الناس منازلهم من التبجيل، والتكريم إنها موهبة ربانيه تسعد الناس بها وتسعد نفسك بحسن تعاملك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى

---

٧٥) صحيح الجامع برقم(١٣٥٤)

٧٦) مسلم.

ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩إن الإنسان الذي يجيد المدح الصادق الحق ويضع الكلمة في موضعها الحق تهفو دائما إليه القلوب، وترتاح للقائه، وكلامه فهم للناس ككوب الماء البارد في حر الصيف، أو كاليوم الدافئ في برد الشتاء الذي يؤنس النفوس، وترتاح إليه القلوب إن العبد بمقدوره بعد توفيق الله له أن يسعى لمنزلة القبول في الأرض وهو لا يشترى بكنوز قارون ولا بملك سليمان ولا بخلافة هارون الرشيد، ولكنه يكسب بإخلاص النية لله، والصدق معه، ومحبة الخير للناس وحب الله، وحب رسوله، ومقت النفس، وتحقيرها وازدرائها، ولومها إن الصفات الحميدة، والجميلة تتعب لأنها في صعود، والصعود دائما شاق لأنه يكون عكس الجاذبية الأرضية التي تجذب الأشياء إلى الأرض أما مساوئ الأخلاق، وشراسة الطبع فهي سله لمن أرادها لأنها انحدار، والبناء في سنين، والهدم في ساعات، والبناء لا يقوم به إلا المهرة من الناس، وأهل الخبرات ومن لهم تجارب وأعوان أما الهدم فيستطيع أن يقوم به من لاعلم له إلا بمسك معول الهدم. آه من الكلمة المصرية (بَس) وهى كلمة تعقيب بعد أن تريد تحطيم أحد، أو التقليل من نجاحه تبدأ في الثناء عليه، ثم تعقب كلامك بهذه الكلمة فعل كذا وكذا، ثم تسلب منه ما منحته إياه من مدح لتقلب الطاولة على رأسه إنها كلمه كثيرا ما نمت عن قلب غير سوى.

٢٨) الوفاء:

الوفاء من الأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، وهو صفة من صفات النفوس الشريفة، يعظم في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون. وقد قيل: إن الوعد وجه، والإنجاز محاسنه، والوعد سحابة، والإنجاز مطره.

إن رسول الإسلام –صلى الله عليه وسلم– يقول: ".. ولا دين لمن لا عهد له".([٧٧])

نعم لن يترقى المسلم في مراتب الإيمان إلا إذا كان وفيا.

قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ المائدة: ١

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصف: ٢ - ٣

إن الوفاء من أعظم الصفات الإنسانية، فمن فُقِد فيه الوفاء فقد انسلخ من إنسانيته.

والناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش.

---

[٧٧]) صحيح الجامع برقم(٧١٧٩)

وقد عُظم حال السَّمَوْأل فيما التزم به من الوفاء بدروع امرئ ألقيس، مما يدل على أن الوفاء قيمة عظيمة قدَّرها عرب الجاهلية، وقد أقرَّهم الإسلام على ذلك، والعجيب أن ذلك في الناس قليل وبسبب قلته فيهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٢

كما ضُرب به المثل في العزة فقالت العرب: هو أعز من الوفاء.

٢٩) احترم آراء الآخرين، ولا تقُل لأحدٍ: أنت مخطئ:

حين تبدأ كلامك مع رجلٍ بأن تقول له:(أنت مخطئ)، أو(اسمع يا هذا: سأثبت بطلان ما تقول)، أتدري أنك في تلك اللحظة تعني: أنك أيها الرجل تعوزك براعتي وينقصك ذكائي، قف أمامي ذليلاً لكي أدلك على الطريق الذي بلغه ذهني المتوقد وحكمتي الأصيلة؟ هذا هو المعنى بالضبط... فهل تقبل بأن يوجه إليك أحدٌ مثل هذا القول؟ كلا طبعاً. إذن، فلماذا توجهه إلى الآخرين؟.

قال اللورد شستر فيلد في رسالته إلى ولده: يا بني... كن أحكم الناس إذا استطعت، ولكن لا تحاول أن تقول لهم ذلك. فلماذا يسارع الواحد منا بنشر التأكيد والجزم وحتى في أمورٍ غامضةٍ، لمجرد الادعاء بالعلم، أو مناكفة الغير، أفتظن أن قولك: (أنت مخطئ) سيوصلك إلى نتيجةٍ مع من تحدثه بنفس القدر الذي يوصلك إليه قولك: (قد أكون أنا مخطئا)، فلنفتش عن الحقيقة.

إن إقرارك باحتمال أن قولك غير مصيب لا يُضعف موقفك كما قد يُخيلُ إليك، فالسامعون يتأثرون بك وبنزاهتك وحبك للإنصاف، أما من قابلته مباشرة بتخطئته فيصعب عليك إقناعه بالخطأ بعد ذلك، فهذه طبيعة النفس البشرية فهي تتأثر انعكاساً فاصبر على واستمع للرأي الأخر لأنه ربما يكون هو الصواب وأنت المخطئ فتندم بعد ذلك على تسرعك في الكلام وحكمك عليه بالخطأ.

فاحترم آراء الغير مهما كانت وصغرت، يحبك الناس ويتأثرون بشخصك، وأكبر دليل على ذلك صبره–صلى الله عليه وسلم–على جفاء الأعراب حين يخاطبوه، يدخل الرجل منهم مغضباً ويخرج وأسارير الرضا على وجهه(تقدير عواطف الآخرين وعدم جرح مشاعرهم)

روى ابن إسحاق عن ابن عباس: – رضي الله عنه– أن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال لأصحابه:"إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرهاً". فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لأن لقيته لألحمنه أو لألجمنه بالسيف. فبلغت رسول الله–

صلى الله عليه وسلم- فقال لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: يا أبا حفص أيضرب وجه عمِّ رسول الله بالسيف، فقال عمر- رضي الله عنه-: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً. إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً.([٧٨])

٣٠) الناس يحبون من يُصحح أخطائهم دون جرح مشاعرهم:

ويُضرب مثل في ذلك في أحد الكتب: أن شخصاً ألقى خطاباً (محاضرةً) في عدد كبير، ولكنها كانت طويلة وفيها تفصيل، فمل الناس، ولما عاد المحاضر إلى منزله سأل زوجته، فقال: ما رأيك في المحاضرة؟ قالت: هذا الموضوع يصلح مقالةً رصيفةً في مجلة علمية متخصصة. وقد فهم المحاضر من كلام زوجته أن الموضوع لا يصلح للمحاضرة. فإياك وقول: أنت لا تصلح لكذا، أو أنت تصلح لغير ذلك. وهذا حوار دار بين أبي حنيفة - رضي الله عنه- وبين جماعه من الملحدين ورغم ماهم عليه من الضلال إلا أن أبي حنيفة لم يؤذهم بكلمه نابيه وإنما أقنعهم بالحكمة والموعظة الحسنه حتى عادوا إلى رشدهم وها هو الحوار:

قال الملحدون لأبي حنيفة: في أي سنة وجد ربك ؟

قال: الله موجود قبل التاريخ والأزمنة لا أول لوجوده.

قالوا: نريد منك إعطاءنا أمثلة من الواقع.

قال لهم: ماذا قبل الأربعة ؟

قالوا: ثلاثة.

قال لهم: ماذا قبل الثلاثة؟

قالوا: إثنان.

قال لهم: ماذا قبل الاثنين؟

قالوا: واحد.

قال لهم: وما قبل الواحد؟

قالوا: لا شيء قبله.

قال لهم: إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فكيف بالواحد الحقيقي وهو الله! إنه قديم لا أول لوجوده.

قالوا: في أي جهة يتجه ربك؟

قال: لو أحضرتم مصباحا في مكان مظلم إلى أي جهة يتجه النور؟

---

[٧٨]) الرحيق المختوم ص(٢٤٦)

قالوا: في كل مكان.

قال: إذا كان هذا النور الصناعي فكيف بنور السماوات والأرض.

قالوا: عرّفنا شيئا عن ذات ربك؟ أهي صلبة كالحديد أو سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

فقال : هل جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الأخير؟

قالوا: جلسنا.

قال: هل كلمكم بعدما أسكته الموت؟

قالوا: لا.

قال: هل كان قبل الموت يتكلم ويتحرك؟

قالوا: نعم.

قال: ما الذي غيره؟

قالوا: خروج روحه.

قال: أخرجت روحه؟

قالوا: نعم.

قال: صفوا لي هذه الروح، هل هي صلبة كالحديد؟ أم سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

قالوا: لا نعرف شيئا عنها.

قال: إذا كانت الروح المخلوقة لا يمكنكم الوصول إلى كنهها فكيف تريدون مني أن اصف لكم الذات العلية.

٣١) الاعتذار:

الاعتذار أدب اجتماعي في التعامل الإسلامي، ينفي منك شعور الكبرياء، وينفي من قلب أخيك الحقد والبغضاء، ويدفع عنك الاعتراض عليك، أو إساءة الظن بك، حين يصدر منك ما ظاهره الخطأ.

ومع أن الاعتذار بهذا المعنى حسن، فالأحسن منه أن تحذر من الوقوع فيما يجعلك مضطرًا للاعتذار، فقد جاء. فإن زلت قدمك مرة فأعلن أنه: "لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة". كما في الحديث ([٧٩])‏.. وعندئذ فإن من التواضع ألا تكابر في الدفاع عن نفسك، بل إن الاعتراف بالخطأ أطيب للقلب، وأدعى إلى العفو. ومعلوم أن توبة الصحابي الكريم كعب بن مالك إنما أنجاه فيها الصدق، فقد كان يقول: "يا رسول الله! إني لو جلست عند غيرك من أهل

---

[٧٩]) الصحيحة برقم(٤٠١)

الدنيا، لرأيت أني أخرج من سخطته بعذر، والله ما كان لي عذر...".([٨٠]). ولن ينقص من منزلتك أن تعترف بخطئك.

ولا تنتظر من نفسك أن تسيء لتعتذر، بل يمكن أن يكون الاعتذار توضيحًا للموقف، أو بيانًا للقصد. فقد كان الأنصار عند فتح مكة، قد توقعوا ميل النبي . صلى الله عليه وسلم للإقامة مع قومه في مكة بعد الفتح، فقالوا: "أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته". فقال النبي . صلى الله عليه وسلم: ".. كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم". فأقبلوا إليه يبكون، ويعتذرون بأنهم قالوا ما قالوه لحرصهم على إقامته معهم في المدينة، فقالوا: "والله ما قلنا الذي قلنا إلا لضنّ بالله ورسوله"، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم: "فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم".([٨١])

وإن صاحب خلق (الاعتذار) ليستحيي من افتضاح تقصيره حين يظن من نفسه التقصير، فإن ابن عمر يروي أنه كان في سرية فانهزموا، ومن حيائهم رجعوا إلى المدينة خفية في الليل، واختفوا في المدينة، ثم قالوا: "لو خرجنا إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم واعتذرنا إليه". فخرجوا لبيان عذرهم، وقالوا له: "نحن الفرّارون يا رسول الله! قال: بل أنتم العكَّارون، وأنا فئتكم". ([٨٢])فهوَّن عليهم ووصفهم بالعكارين، الذين يغزون كرة بعد كرة، ولا يتوقفون عن الغزو.

وإذا جاءك من يأمرك بالمعروف، فاقبل منه، ووضح عذرك – إن كان لك عذر – فقد وعظ سالم بن عبد الله شابًا مسترخي الإزار، فقال (ارفع إزارك) فأخذ الشاب يعتذر فقال: إنه استرخى، وإنه من كتّان"([٨٣])وبذلك بين أنه لم يُرخه كبرًا، وإنما استرخى بنفسه؛ بسبب طبيعة قماشه. وهذا شأن المسلم في دفع سوء الظن، وإثبات براءته حين يكون بريئًا بحق.

ومما ورد بهذا المعنى: أن أناسًا من الأشعريين طلبوا من أبي موسى الأشعري مرافقتهم إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يعلم ماذا يريدون، وإذا بهم جاؤوا يطلبون التولية على أعمال المسلمين، فظهر أبو موسى وكأنه جاء يشفع لمن طلب الإمارة، فشعر بالحرج الشديد، قال: "فاعتذرت إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، وعذرني". ([٨٤])

وكان هذا الخلق صفة مميزة لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم.

فمن تغلب على نفسه فاعتذر، فتغلب أنت على كبريائك فاعذُر، فقد عدَّ ابن القيم قبول عذر المعتذر من التواضع، ويقول في ذلك: "من أساء إليك ثم جاء يعتذر عن إساءته، فإن

---

[٨٠]) رواه أحمد وأصله في الصحيحين.

[٨١]) مسلم وأحمد.

[٨٢]) مشكاة المصابيح برقم(٣٩٥٨)

[٨٣]) رواه أحمد.

[٨٤]) أحمد والنسائي.

التواضع يوجب عليك قبول معذرته... وعلامة الكرم والتواضع: أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه ولا تحاجّه" ([٨٥])

وتلقي الأعذار بطيب نفس، وبالعفو والصفح، يحض الناس على الاعتذار، وسوء المقابلة للمعتذر وتشديد اللائمة عليه يجعل النفوس تصر على الخطأ، وتأبي الاعتراف بالزلل، وترفض تقديم المعاذير، فإن بادر المسيء بالاعتذار فبادر أنت بقبول العذر والعفو عما مضى لئلا ينقطع المعروف. والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.([٨٦])

٣٢) اكسب الجدال بأن تتجنبه:

جاء في الحديث الصحيح:"أنا زعيم ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك ألمراء ولو كان محقاً".([٨٧])

إن حُب الظهور في معظم الأحيان هو الدافع الأول إلى المجادلة، فأنت تود أن تعرض سعة اطلاعك وحُسن تتقيبك في الموضوع المطروح للجدال، ومثل هذا يُحسِّسُ الرجل الآخر الذي تجادله، فإذا قهرته بمنطقك السليم وفزت عليه، فإنه لن يعتبر ذلك إلا إهانةً منك، وجرحاً لكرامته، وهو قلما يغفر لك ذلك. بهذا تكون قد اشتريت خصومته دون نفعٍ يصيبك من الشراء. .إن الدخول في الحوار، أو الجدال أمر غير مرغوب فيه ما لم يكن يحل حلالا أو يحرم حراما وكما هو مسلم به أن خير الكلام ما قل ودل والبلاغة في الإيجاز والاختصار المقل خير من التطويل الممل. فليحاول كل منا أن يتجنب الجدال قدر المستطاع، ولا يغضب إذا اعترض عليه أحد، أو خالفه أحد، أو جادله أحد وليأخذ الأمر ببساطة بقدر المستطاع ولا يجهد نفسه في تفسير نية المعترض عليه ماذا يقصد ماذا يريد إنه يحقد علية إنه ما أراد إلا إحراجي تعامل مع الموقف بهدوء ولتعلم أن الرياح لا تهز الصخرة العاتية ولا تحرك الجبال لما قدم رسول الله لفتح مكة خرج في تلك الليلة أبو سفيان في نفر معه يتحسسون الإنباء وينظرون هلا يجدون خبرا، والنبي يترقب الصبح للإغارة فلما رأى العباس عم رسول الله . صلى الله عليه وسلم قال وأصبح قريش والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر فقام فاستأذن النبي فأذن له فركب على بغلة رسول الله ومضى يمشى بها وأبو سفيان في أصحابه يقترب من معسكر النبي وهو لا يعلم أنه هو وينظر إلى نيران المسلمين ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا معسكرا ما أعظم هذا من ترى من هؤلاء؟ فقال صاحبه: هذه والله نيران قبيلة خزاعة حشمتها الحرب. قال: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها جعل أبو سفيان يقترب أكثر وأكثر حتى وقع في قبضة جمع من حرس المسلمين فاقتادوه إلى جهة رسول الله فبينما

---

[٨٥]) تهذيب مدارج السالكين.

[٨٦]) كتاب هذه أخلاقنا.

[٨٧]) السلسلة الصحيحة.

العباس يسير على بغلة رسول الله . صلى الله عليه وسلم وإذ بأبي سفيان قد قبض عليه فأقبل أبو سفيان فزعا، وهو ومن معه والمؤمنون خلفه فجعل العباس يسره بأبي سفيان إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم وكلما مروا بنيران من نيران المسلمين قالوا: من هذا فإذا رأوا بغلة رسول الله . صلى الله عليه وسلم وعليها العباس قالوا: عم رسول الله . صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله، والعباس يسرع بها مخافة أن يفطنوا لأبي سفيان حتى مر بنار عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– فقال : من هذا؟ وقام إليهم فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة صاح بالناس وقال: أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد فمنعه العباس ثم ذهب عمر يشتد نحو رسول الله . صلى الله عليه وسلم والعباس يسرع حتى سبقه العباس فلما وصل إلى موضع النبي . صلى الله عليه وسلم اقتحم العباس عن البغلة سريعا فدخل على رسول الله . صلى الله عليه وسلم. ودخل عمر وجعل يقول . صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد، ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه؟ ولا يخفي على احد ما فعله أبو سفيان بالمسلمين وخاصة يوم أحد فقال العباس يا رسول الله لقد أجرته ثم جلس العباس إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم فأخذ برأسه وجعل يناجيه في أذنه، وعمر يردد يا رسول الله: اضرب عنقه فلما أكثر عمر في شأنه التفت إليه العباس وقال: مهلا يا عمر فو الله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا فشعر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– انه سيدخل في جدال يوغر الصدور، ويحدث الفرقة، ولا طائل منه فقال عمر العبقري بكل هدوء: مهلا يا عباس مهلا فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم لأني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب فلما سمع العباس – رضي الله عنه– هذه الكلمات لاذ بالصمت وانتهى الجدال بسلام.

آفة عظيمة وداء عضال تمكن من كثير من الناس، فتراهم في مجالسهم ومنتدياتهم وأحاديثهم يتجادلون ويتناقشون ويماري بعضهم بعضا، ولربما ثارت بينهم الخصومات والعداوات بسبب هذا الجدل والمراء.

قال نبي الله سليمان عليه السلام لابنه: "دع المراء فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان".

٣٣) اجعل الناس سعداء بفعل ما تريد منهم:

هل يبدو الأمر صبيانيا، ربما ولكن هذا هو ما قيل لنابليون عندما ابتدع وسام جوته الشرف وقام بتوزيع ١٥٠ ألف وسام علي جنده، ومنح ١٥ جنرال لقب " مارشال فرنسا" فقيل عنه يعطي كعب لمحاربين تمرسوا علي الحرب ولكن نظرية نابليون تفوقت وأصبحت الأوسمة من أهم عوامل التشجيع.

وليكن شعارك لنفسك "اجعل الشخص الأخر سعيدا بفعل الشيء الذي تقترح عليه فعله.

هذا كله ملخص لكتاب "كيف تؤثر علي الآخرين وتكتسب الأصدقاء" لمؤلفة ديل كارينجي وأعلموا أن مبادئ هذا الكتاب لن تنطبق علي الناس كلهم، وأنت أيضا لن تستطيع حب الناس كلهم وذلك لأن الذي خلق الناس – الله عز وجل– لم يجمع عليه كل من خلقهم مع أنه هو الذي يرزقهم، يشفيهم، يتفضل عليهم بنعمة ظاهرة، وباطنة.....

إن مما يدفع الناس ويخرج مواهبهم وطاقتهم المكنونة في نفوسهم هو التشجيع البناء الذكي المخلص الصادق الحق الذي يكون في موضعه.

فالحذر كل الحذر أن تلغى مكانة احد مهما كانت، أو تزدرى الآخرين، وتقلل من قدرهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١

أعلم خطيبا على ما أظن من اجتماع الناس عليه أنه خطيب مفوه كان يستطيع بإخلاصه ولباقته أن يفتح القلوب المغلقة مع أنه لم يكن من الالتزام على ما يرجو مما هم في مكانته كان إذا أراد أن يجمع تبرعات من المصلين لأمر من الأمور كانت يمتدح في المصلين الجود والكرم ولا يلومهم على البخل والشح بل كان يقول لهم: إنه أسعد الناس أن رزقه الله بأمثال هؤلاء المصلين وكان دائما يزدرى نفسه ولا يدعى بأفضليته على المصلين كما يفعل معظم الخطباء، ويقول: ربما أكون أسواء من بالمسجد ولا يدعى لنفسه عليهم فضل فامتلك قلوبهم فكان إذا أحضرا أحدا غيره لأداء الخطبة لسبب من الأسباب لاموه على ذلك مهما كان من يأتي به من المكانة والعلم ولكنه استطاع أن يخرج منهم ما يريد وهم راضون والأمر محبب إليهم.

أما رسول الله . صلى الله عليه وسلم فقد كان يأسر قلوب الناس بروعة أخلاقه.. وقدرته على إظهار محبته الصادقة لهم..

كان أبو بكر وعمر.. أجلّ الصحابة.. وكانا يتنافسان في الخير دوماً.. وكان أبو بكر يسبق غالباً.. فإن بكر عمر للصلاة وجد أبا بكر سبقه.. وإن أطعم مسكيناً وجد أبا بكر سبقه.. وإن صلى ليلة.. وجد أبا بكر قبله.. وفي يوم أمر النبي . صلى الله عليه وسلم الناس بالصدقة لسد حاجة نازلة نزلت بالمسلمين.. وافق ذلك الوقت أن عمر عنده سعة من المال.. فقال: اليوم أسبق أبا بكر.. إن سبقته يوماً.. ذهب عمر فجاء بنصف ماله.. فدفعه إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم فما أول كلمة قالها . صلى الله عليه وسلم لعمر لما رأى المال؟ هل سأله عن مقدار المال؟ أم سأله عن نوعه ذهب أم فضة؟ لا.. بل لما رأى . صلى الله عليه وسلم كثرة المال.. تكلم بكلمات يستنتج منها عمر أنه محبوب عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم..قال لعمر: ما أبقيت لأهلك يا عمر؟ ..قال عمر: يا رسول الله.. أبقيت لهم مثله "..ويجلس عمر عند

رسول الله . صلى الله عليه وسلم منتشياً.. ينتظر أبا بكر.. فيأتي أبو بكر بمالٍ كثير فيدفعه إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم وعمر واقف مكانه.. يرى العطاء ويسمع الحوار.. فإذا بالنبي . صلى الله عليه وسلم قبل أن يلتفت إلى ما يحتاجه من مال .. يسأل أبا بكر: يا أبا بكر.. ما أبقيت لأهلك؟.. نعم فهو يحب أبا بكر.. ويحب أهله.. ولا يرضي بالضرر عليه..

قال أبو بكر: يا رسول الله.. أبقيت لهم الله ورسوله.. أما المال فقد أتيت به جميعاً..

لم يأت بنصفه.. ولا بربعه.. وإنما أتى به كله..فما كان من عمر إلا أن قال:" لا جرَم.. لا سابقت أبا بكر أبداً "..

٣٤) حسن الطلب:

لقد أمر الله أصحاب أصحاب رسول الله . . أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقات إذا أرادوا أن يخاطبوا رسول الله . صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليهم فنسخت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ المجادلة: ١٢

الشاهد أن الأسلوب الحسن والطريقة اللائقة تلين القلوب.

لقد رضع النبي . صلى الله عليه وسلم في بني سعد قريبا من هوازن فبلغه أن هوازن جمعت جموعها وتهيأت لقتاله فخرج إليهم الرسول وقاتلهم فنصره الله عليهم فساق الغنائم فأقبل بعضهم إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم والرسول نازل بالجعرانة، وقد قتل من قتل من رجالهم وقتل من المسلمين ما قتل وجعل رسول الله النساء والأطفال في مكان فأراد عقلاء من قبيلة هوازن أن يكلموا رسول الله . صلى الله عليه وسلم ليفك اسر نسائهم وصبيانهم فاختاروا رجلا مفوها له أسلوب رائع في الحديث وحسن الطلب فاختاروا خطيبهم زهير بن صرد وقام بين يدي رسول الله فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا لابن شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهم الذي أصابنا منك رجونا عائدتهم وعطفهم وأنت رسول الله خير المكفولين ثم أنشأ يقول:

أمنن علينا رسول الله ******** فإنك المرء نرجوه وننظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها***إذ فوك تملؤه من فوك الدرر
لا تجعلها كمن شالت نعامته ***** واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر آلاء وان كفرت ****** وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فأطلق له النبي . صلى الله عليه وسلم السبايا من الأطفال، والصبيان لقد استنهض حسن الطلب الرسول . صلى الله عليه وسلم على أن يفعل له ما يريد طالما أن ذلك لا يتعارض من الشرع الحنيف، والكل يعلم مدى ما عند رسول الله من الرأفة والرحمة، والمحبة، والمودة.

لقد اعتاد العرب أن تستفتح طلباتها دائما بالشعر، أو بالقول الحسن الذي يلين القلوب ويستعطفها.

إن من البيان لسحراً.. إن من البيان لسحراً ". ..فكن مبدعاً في مهارات لسانك.. فلو قال لك: ناولني القلم.. قل: من عيوني.. تفضل.. ولو قال.. لكن يا فلان عندي طلب: اطلب عيوني.. سَمْ.. أريد منك خدمة: تفضل.. خدمنا أناساً ما يساوون أثر رجليك.. مارس هذا الأسلوب الذي يدغدغ المشاعر.. مع أمك.. نعم أسمعها كلمات رقيقة لينة.. مع أبيك.. زوجتك.. أولادك.. زملائك..

فهذا الأسلوب لا يخسرك شيئاً.. وتسحر به الآخرين.. وتزيل ما في نفوسهم..

بل إنك بالعبارات الجميلة تستطيع أن تخدر الناس أحياناً.

٣٥) أكظم الغيظ:

من الملاحظ في المعاملات الاجتماعية بين الناس أن بعضهم قد يسيئون إلى إخوانهم إساءات مختلفة، في ألسنتهم، في أيديهم، في غير ذلك من جوارحهم، في تصرفاتهم المالية أو غير المالية، وقد تمس الإساءة النفس، أو تمس العرض والشرف، أو تمس المال والمتاع، أو تمس الأهل والعشيرة...إلخ.

ولما كان الأمر بهذه الصورة فإن هذه الإساءة لو تعامل معها المرء للوهلة الأولى مستجيبًا لحظ نفسه وهواه لترتب على ذلك شر عظيم وفساد ذات البين، وانتشار العدوات بين أبناء المجتمع.

وقد وجه الله تعالى عباده المؤمنين لضرورة التحلي بالصبر وكظم الغيظ، بل والدفع بالتي هي أحسن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٥

فما أحوجنا إلى هذا الخلق العظيم لتقوى الروابط وتتآلف القلوب، ويُبنى ما تهدم من الروابط الاجتماعية، ولننال رضي الله وجنته: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤ مَلِك

إن الشرع المطهر قد أجاز لنا أن نعاقب بمثل ما عوقبنا به، لكنه مع ذلك بيَّن أن العفو وكظم الغيظ أفضل وأحسن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل: ١٢٦

عن أنس – رضي الله عنه– أنه قال: إن النبي– صلى الله عليه وسلم– مر بقوم يصطرعون؛ فقال: "ما هذا؟" قالوا: فلانٌ ما يُصارع أحدًا إلا صرعه، قال: "أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه".([٨٨])

٥– عن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال: "من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور ما شاء".([٨٩])

قال الغزالي رحمه الله: إن كظم الغيظ يحتاج إليه الإنسان إذا هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادًا فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ، وحينئذ يوصف بالحلم.

ذكر ابن كثير في سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أن رجلاً كلمه يومًا حتى أغضبه، فهم به عمر، ثم أمسك نفسه، ثم قال للرجل: أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا؟ قم عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك.

فهيا أحبابنا نعود أنفسنا كظم الغيظ والتحلي بالحلم عسى أن يملأ الله قلوبنا إيمانًا وحكمة، ويزيدنا يوم القيامة رفعة.

٣٦) حب الخير للآخرين:

لقد ربي الإسلام أبناءه على استشعار أنهم كيان واحد، أمة واحدة، جسد واحد: اَهْدِنَاالصِّرَطَ □ خم □ □ □ الحجرات: ١٠

أما الرسول– صلى الله عليه وسلم– فقد أكد هذا المعنى وشدد عليه حين قال: "المسلم أخو المسلم"، "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"، "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

لقد ربى الإسلام أتباعه على محبة الخير لإخوانهم المسلمين كما يحبونه لأنفسهم، وجعل ذلك من علامات كمال الإيمان، فمن لم يكن كذلك فقد نقص إيمانه، ويؤكد هذا المعنى أن محبة الخير للآخرين من علامات الإيمان– ما رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن النبي . صلى الله عليه وسلم قال له: "أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا".

هذه الصفة سبب لكل خير.. وهي من أعظم أسباب سلامة الصدر، وهي سبب دخول الجنة، بل من أعظم أسباب دخول الجنة، روى الإمام أحمد عن يزيد القشيري أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم قال: "أتحب الجنة؟ قال: نعم. قال: فأحب لأخيك ما تحب لنفسك".

---

[٨٨]) السلسلة الصحيحة برقم(٣٢٩٥)

[٨٩]) صحيح سن أبي داود برقم(٤٧٧٧)

وقد مدح الله أنصار نبيه–صلى الله عليه وسلم– ، ورضي الله عنهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩

ومن هذا الباب وجدنا أسلافنا يحبون الخير للمسلمين وإن نأت ديارهم وتباعدت أوطانهم، يقول عبد الله بن عباس: إني لأسمع بالغيث أصاب بلدا من بلدان المسلمين فأفرح وما لي بها سائمة.

فحري بنا أن نوطن أنفسنا على محبة الخير للآخرين، وأن نحرص على إيصال النفع لهم.

٣٧) إعلان المحبة والمودة للآخرين:

فإذا أحببت أحداً، أو كانت له منزلة خاصة في نفسك فأخبره بذلك فإنه سهم يصيب القلب ويأسر النفس ولذلك قال–صلى الله عليه وسلم–: إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه.. كما في صحيح الجامع، وزاد في رواية مرسلة: فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة، لكن بشرط أن تكون المحبة لله، وليس لغرض من أغراض الدنيا كالمنصب والمال، والشهرة والوسامة والجمال، فكل أخوة لغير الله هباء، وهي يوم القيامة عداء.. الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين والمرء مع من أحب كما قال–صلى الله عليه وسلم–.. يعني يوم القيامة.

إذا فإعلان المحبة والمودة من أعظم الطرقِ للتأثير على القلوب.. فإما مجتمع مليء بالحب والإخاء والائتلاف، أو مجتمع مليء بالفرقة والتناحر والاختلاف، لذلك حرص . صلى الله عليه وسلم على تكوين مجتمع متحاب فآخى بين المهاجرين والأنصار، حتى عرف أن فلانا صاحب فلان، وبلغ ذلك الحب أن يوضع المتآخيين في قبر واحد بعد استشهادهما في إحدى الغزوات، بل أكد . صلى الله عليه وسلم على وسائل نشر هذه المحبة ومن ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.

وللأسف، فالمشاعر والعواطف والأحاسيس الناس منها على طرفي نقيض، فهناك من يتعامل مع إخوانه بأسلوب جامد جاف مجرد من المشاعر والعواطف، وهناك من يتعامل معهم بأسلوب عاطفي حساس رقيق ربما وصل لدرجة العشق والإعجاب والتعلق بالأشخاص. والموازنة بين العقل والعاطفة يختلف بحسب الأحوال والأشخاص، وهو مطلب لا يستطيعه كل أحد لكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

٣٨) الرفق ولين الجانب:

لا يكن الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.

إن فن التعامل مع الناس واكتسابهم فن مدروس يجيده النبلاء الأبرار فهم محفوفون دائما وأبدا بهالة من الناس إن حضروا فالبشر، والأنس، والثناء وإن غابوا فالسؤال والدعاء.

إن البسمة التي تعلوا الوجوه مع الكلمة الطيبة عند اللقاء فالمسلم دائما كالنحلة التي تأكل الطيب، وتخرج الطيب، ولا تؤذى عدوا، ولا حبيب، بل الكل يرتشف من مما تخرج فيكن بإذن الله الشفاء، والغذاء، والدواء. إن من الناس من تشرئب لقدومهم الأعناق، وتشخص لطلعتهم الأبصار، وتحييهم الأفئدة، وتشيعهم الأرواح لأنهم محبوبون في كلامهم في بيعهم في شرائهم رحماء رفقاء متعاونون على البر والتقوى رحماء إذا باعوا رحماء إذا اشتروا رحماء إذا اقتدوا اقتدوا بقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤

فهم يمتصون الأحقاد بعواطفهم الدافئة الجياشة، وحلمهم على القريب والبعيد وأهل السوء يتناسون الإساءة، ويحفظون الإحسان تمر بهم الإساءة فلا يعيروا لها بالا، وتمر بهم الحسنه فيعيروا لها ألف باب والناس معهم في امن والمسلمون معهم في سلام كلامهم دواء لقائهم سعادة، وشفاء بالرفق يقابلون العدو عفوا ليس لهم أعداء زانهم الحلم ورفعهم العلم.تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم يبدو إلى هذه التلاع وإنه أراد البداوة مرة فأرسل إلي ناقة محرمة من إبل الصدقة فقال لي: يا عائشة أرفقي فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه". قال بن الصباح: في حديثه محرمة يعني لم تركب.

إن الناس تميل دائما أبدا أن تتعامل من الإنسان الفريق الذي يألف ويألف ويبتعد عن الحمق والغضب وارتفاع الصوت حتى الحيوانات تقترب من الإنسان الذي يرفق بهم فكيف بالناس؟ آه على من رزقه الله الرفق هنيئا له مريئا له إن عاش أحبه الناس والتفوا حوله وتسابقوا في مرضاته وإن غاب افتقدوه وإن مات ترحموا عليه وفي موقف غاية في المراعاة واللطف يتعامل–صلى الله عليه وسلم– مع والد أبي بكر فإنه–صلى الله عليه وسلم– لما أقبل بجيوش المسلمين إلى مكة لفتحها..

قال أبو قحافة والد أبي بكر.. وكان شيخاً كبيراً.. أعمى.. قال لابنة له من أصغر ولده:

أي بنية.. اظهري بي على جبل أبي قبيس لأنظر صدق ما يقولون.. هل جاء محمد؟..

فأشرفت به ابنته فوق الجبل.. فقال: أي بنية ماذا ترين؟

قالت: أرى سواداً مجتمعاً مقبلاً..

قال: تلك الخيل..

قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً..

قال: أي بنية ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها..

ثم قالت: قد والله يا أبتِ انتشر السواد..

فقال: قد والله إذاً دفعت الخيل ووصلت مكة.. فأسرعي بي إلى بيتي.. فإنهم يقولون من دخل داره فهو آمن.. فانحطت الفتاة به مسرعة من الجبل.. فتلقته خيل المسلمين.. قبل أن يصل إلى بيته.. فأقبل أبو بكر إليه.. فاحتفي به مرحباً.. ثم أخذ بيده يقوده.. حتى أتى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في المسجد.. فلما رآه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–.. فإذا شيخ كبير.. قد ضعف جسمه.. ورق عظمه.. واقتربت منيته.. وإذا أبو بكر.. ينظر إلى أبيه.. وقد فارقه منذ سنين.. وانشغل عنه بخدمة هذا الدين.. التفت إلى أبي بكر فقال مطيباً لنفسه.. ومبيناً قدره الرفيع عنده: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟!

كان أبو بكر يعلم أنهم في حرب.. قائدهم رسول الله–صلى الله عليه وسلم–.. وأن وقته أضيق.. وأشغاله أكثر من أن يتفرغ للذهاب لبيت شيخ يدعوه للإسلام.. فقال أبو بكر شاكراً: يا رسول الله.. هو أحق أن يمشي إليك.. من أن تمشي أنت إليه.. فأجلس النبي عليه–صلى الله عليه وسلم–الصلاة والسلام.. أبا قحافة بين يديه.. بكل لطف وحنان..

ثم مسح على صدره.. ثم قال : أسلم .. فأشرق وجه أبي قحافة.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. انتفض أبو بكر منتشياً مسروراً.. لم تسعه الدنيا فرحاً..

تأمل النبي–صلى الله عليه وسلم–في وجه الشيخ.. فإذا الشيب يكسوه بياضاً.. فقال–صلى الله عليه وسلم–: غيروا هذا من شعره.. ولا تقربوه سواداً"..نعم كان يراعي النفسيات في تعامله.

فقد كان إذا لقيه أحد أصحابه فقام معه لم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها، فلم ينزع يده من يد الرجل حتى يكون الآخر هو الذي ينزع يده، وإذا لقي أحدًا فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها حتى يكون الرجل هو الذي يفرغ من كلامه وينتهي.

وكان النبي–صلى الله عليه وسلم– يظهر حسن الظن لأصحابه بأصحابه ويرفض أن يخبره أحد عن أحد بشيء يكرهه فقال:"لا تبلغوني عن أصحابي سوءا فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر".([٩٠])

٣٩) ضبط العواطف:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣

الإنسان منا ما هو إلا مجموعه من المشاعر، والمشاعر تختلف، وتتفاوت من إنسان لأخر، وتتجلى المشاعر بوضوح عند الفرح الشديد أو المصيبة العاصفة فمن استطاع أن يكبح جماح نفسه في الحالتين عند الفرحة العارمة، وعند المصيبة الجللة فقد نال واستحق عن جدارة،

---

[٩٠]) مشكاة المصابيح برقم(٤٨٥٢)

واستحقاق مرتبة الثبات والرسوخ، وانتصر على نفسه التي هي آلَد أعدائه وقد رأى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–امرأة عند قبر تكاد تقتل نفسها فقال لها معزيا، ومصبرا: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى".

وقد وصف الله تعالى الإنسان في الحالتين الفرح الشديد بأنه فرح فخور وفي حالة الضرر والشر الذي يلحق به بأنه إذا مسه الشر جذوعا وإذا مسه الخير منوعا فهم على وسطية في الفرح يشكرون في الرخاء وعند المصيبة يصبرون على البلاء.

إن الأطباء ينهون مرضي القلب عن التعرض الزائد للفرح الشديد لأن ذلك ربما يودى بحياة المريض كذلك عدم التعرض للصدمات المحزنة لأن ذلك أيضا ربما يودى بحياة الإنسان إن العواطف الهائجة تتعب صاحبها وتؤذيه وتضنيه وتؤلمه إذا غضب هاج وماج وأرغى وأزبد وثارت مكامن نفسه فيتجاوز العدل حتى ربما لا يعرف أرضا من سماء ولا حقا من باطل لذلك نهى الرسول القاضي أن يحكم بين الناس وهو غضبان وإذا فرح طرب وطاش وربما يصدر عنه أشياء إذا تذكرها فيما بعد يتعجب من فعلها لذلك جاء في الأثر :أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما" وكان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يتخوف من المبالغة في شدة الفرح، أو شدة الحزن والكآبة فكان يدعو ويقول:" وأسألك العدل في الرضا والغضب".

فمن ملك نفسه، وحكم عقله، ووزن الأشياء، وجعل لكل شيء قدر. وزن الأمور بميزان العقل والشرع أبصر الحق وعرف الرشدقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ ﴾ الحديد: ٢٥

كم خسر الإنسان في لحظه غضب عارمة لم يسيطر فيها على أعصابه اعز الناس إليه صديقا مخلصا، أو أخا شقيقا، أو زوجه وفيه بسبب عدم تحكمه في أعصابه، واندفاعه الذي لم يجنى منه إلا الخزي، والعار، والدمار وكم خدع إنسان، وسلب ماله وربما القي به في غياهب السجون بسبب إفراطه في الحب وكم ضاع له من حقوق بسبب هذا الإفراط، وكم خدع وسلب منه اعز ما يملك بسبب الحب الذي يعمى، ويصم.

٤٠) الصبر الصبر:

إذا رضي الله على عبد رزقه الصبر حتى يرضي بقضاء الله وقدره، ويتحمل الشدائد، والصعاب، والمصائب، والأهوال الصبر مفتاح الفرج وباب الولوج إلى حضرة علام الغيوب الصبر شعار الأنبياء، وديدن الأولياء، وغطاء العراة، وشبع الجوعى ورواء الظمأ، ونور العميان، وهداية الحيارى وضياء القلوب ونور البصر، والبصيرة، ودواء الأبدان، وعافيتها وهو الصفة

الأولى للأنبياء، والشعار الأول للأتقياء وما ذا يفعل الإنسان إذا لم يصبر ويرضي ويتقبل ويتحمل وما من عظيم إلا وكان سر عظمته الصبر في العمل وتحمل الصعاب، والمكارة، والمكائد من الغير حتى تحول أعداء الأمس أصدقاء اليوم الصبر على الفشل حتى يحيله إلى نجاح الصبر على المطالعة والاطلاع حتى يحيل الجهل إلى علم ينير له ولغير الطريق.

كان توماس أديسون الذي يكنى بأبي المخترعين يمكث في معمله في اليوم ست عشرة ساعة حتى أخرج لنا المصباح الذي يبدد الظلام.

الصبر على الطاعة حتى يدرك الإنسان منزله القبول عند ارحم الراحمين الصبر على ترك الطعام، والشراب في رمضان الساعات الطوال وخاصة في لهيب الصيف.

الصبر على إسباغ الوضوء على المكارة في الشتاء الصبر على قيام الليل الصبر على المرض، والصبر على فقد حبيب الصبر على أذى الغير الرجال يصبرون بل ويصارعون النكبات اصبر وما صبرك إلا بالله وسيجعل الله لك من كل ضيق مخرجا إذا رآك الناس كالجبل الصامد كالبحر الشامخ، كالأسد الهصور، كالصخرة الصماء ترميك المصائب بنبالها فلا تزيدك إلا صمودا وعزة يرميك من لا يقدر على مواجهتك بكل ما يستطيع وما يملك من أذى فلا يزيدك هذا إلا صبرا عليه وحلما، ورفقا به فييأس من أن يثيرك فلا يملك إلا أن يطيعك وأعلم أن مع العسر اليسر وكلما ضاقت حانت لحظه الانفراج، والله لو صبر الناس على إيذاء بعضهم البعض وتحمل الناس بعضهم البعض لسعد الجميع ولعاش الجميع في سعادة ووئام ونالوا القربي من الله وأعانهم الله على من أذاهم. عن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم، ويجهلون علي. فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك. ([٩١])

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–: بالصبر أدركنا حسن العيش.

وفي الحديث:"لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يزعمون أن له ولدا وصاحبة وإنه يعافيهم ويرزقهم.

ولنعلم جميعا أن المعالي لا تنال بالأحلام، ولا بالرؤيا في المنام، وإنما بالعزم والاجتهاد.

كتب مصطفي أمين: اصبر خمس دقائق فحسب على كيد الكائدين وظلم الظالمين وسطوة الجبارة فإن السوط سوف يسقط والقيد سوف ينكسر والمحبوس سوف يخرج والظلام سوف ينقشع لكن عليك أن تصبر، وتنتظر.

سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل أن يكف ألسنة الناس عنه فقال الله عز وجل: يا موسى ما اتخذت ذلك لنفسي إني أخلقهم، وارزقهم، وإنهم يسبونني، ويشتمونني".

---

[٩١]) مسلم.

إن الإنسان مهما بلغ من السطوة والجاه فإنه لن يستطع أن يمسك ألسنة الناس ولن يوقفها عن فرى عرضه، واكل لحمه، ولكن إذا أدرك الإنسان الأمور على حقيقتها على أنه الفائز لأنهم يهدون إليه من حسناتهم يقول احد الأدباء: افعل ما هو صحيح ثم ادر ظهرك لكل نقد سخيف.

والشافعي رحمه الله يقول:

اصبر على حسد الحسود** فإن صبرك قاتله

النار تأكل بعضها ** إن لم تجد ما تأكله

داوى سيدنا عيسى ثلاثين مريضا وأبرأ عميان كثيرين ثم انقلبوا ضده أعداء.

قال ماركوس أوليوس وهو من أكثر الرجال حكمة ممن حكموا الإمبراطورية الرومانية ذات يوم:" سأقابل اليوم أشخاصا يتكلمون كثيرا أشخاصا أنانيين جاحدين يحبون أنفسهم لكن لن أكون مندهشا، أو منزعجا من ذلك لأنني لا أتخيل العالم من دون أمثالهم".

٤١) ابدِ للناس اهتمامك بهم أكثر من اهتمامك بنفسك وذاك بحسن استماعك لهم:

على قدر اهتمامك بالناس على قدر ما يهتم بك الناس، فالناس تبحث عمن يهتم بهم ويتفقد أحوالهم ويسأل عليهم لاسيما في هذا الزمان الذي انشغل فيه كل امرئ نفسه.

وقد رأيت في حاجة الناس وتعطشهم إلى من يهتم بهم العجب العجاب فبمجرد أن ترفع سماعة الهاتف لتسأل على شخص أو ترسل إليه رسالة على الجوال حتى تجد هذا الشخص يمتن لك هذا الصنيع العظيم امتنانًا عظيمًا، ويطلب منك أن تزيد من هذا العمل بقدر استطاعتك، بل أحيانًا تواجهني مواقف محرجة من بعض الإخوة (وهم إخوة أكفاء كرام متعلمون ومثقفون) حينما يسألونني أو يطلبون مني أن أهتم بهم أو أن أسأل عليهم حينها أشعر بتقصيري تجاههم وأطلب منهم العفو والصفح.

لقد كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يهتم بأصحابه ويتفقد أحوالهم ويسأل عن غائبهم، ويزور مريضهم، وكان أبو بكر – رضي الله عنه– وهو خليفة المسلمين يذهب إلى بيت امرأة عجوز ليتفقد أحوالها وينظف لها بيتها ويحلب شاتها ثم ينصرف، وهكذا كان عمر يفعل– رضي الله عنه–.

فلماذا لا نهتم نحن بأحوال الناس ولا نسأل عليهم ولا نظهر اهتمامًا بهم؟

الناس يحبون ذلك الإنسان الذي يهتم بهم، وبما يفكرون، وما الذي يشغل بالهم وحينما يتحدثون ينصت إلى حديثهم وينظر إليهم ويلخص ما يقولون ويناقشهم فيه. ولا يقاطعهم أثناء حديثهم فقد كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– لا يقطع الحديث حتى يكون المتكلم هو الذي يقطعه، ومن جاهد نفسه على هذا أحبه الناس وأعجبوا به بعكس الآخر كثير الثرثرة والمقاطعة،

واسمع لهذا الخلق العجيب عن عطاء قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد".

إن الناس تستغرق ٤٠% من وقتها في الإنصات وكثيرون لا يجيدونه لم أجد أسهل مجهوداً ولا أفعل تأثيراً في تملك قلوب الناس من الإنصات إليهم.

فعندما تشعر بالضيق من أمر ما أو تكاد تطير فرحاً إلى من تتجه؟ بالتأكيد إلى من يحسن الإنصات إليك، حتى وإن اختلف الفارق السني، أو الفكري، أو ألعمري مع من يحسن الإنصات فإنك ستفضله على غيره. تذكر أي تجربة أليمة، أو سعيدة جداً.. هل تذكر أنك استغرق وقتاً طويلا لمعرفة من تقولها له. بالتأكيد لا فاسمه يأتيك ببرهة. بنظرة فاحصة على أصدقائنا الذين " نحبهم" نجد أنهم يشتركون في صفة الإنصات إلينا ولذلك نحبهم.

دراسة علمية أظهرت دراسة علمية على مهارات الاتصال بين الناس أن الناس يستغرقون ما نسبته ٧٥% من يومهم في الإنصات والتحدث فقط، ٤٠% للإنصات و٣٥% للتحدث، بينما يقضي ١٦% من أوقتهم في القراءة و ٩% في الكتابة. وهو ما يؤكد أن الإنصات يحتل النصيب الأسد من أنشطتنا اليومية.

وقد ذكرت الدراسة في كتاب مادلين بورلي آلن في كتابها الاستماع صفحة ٢.: وبالرغم من أنه ليس هناك اعتبار يذكر لتدريس مادة الإنصات في دول عديدة كمادة أساسية للتعلم مقارنة بالقراءة والكتابة والتحدث إلا أننا نحظى بعدد لا بأس به من المنصتين في هذه الكرة الأرضية الجميلة ويشترك هؤلاء بمحبتنا لهم لعوامل عديدة. لماذا يُحَب المنصت؟ يحب الناس المنصت لأنه المغناطيس الذي يلجأ إليه الناس لتفريغ همومهم وأحزانهم وحتى أفراحهم. فهو الذي يشعرهم في كنفه بالاحتضان والتقدير. فما أجمل أن ترى أذناً صاغية بهدوء ووقار لشخص يكاد يضيع بالغضب أو الحزن ذرعاً. إنها خدمة جليلة يقدمها إلينا من دون مقابل مادي.

ويحب المنصت لقلة أخطاء لسانه. فمقارنة بعشاق التحدث فإنه أقل عرضة لزلة اللسان و أقل تصادماً معهم سواء في النقاشات، أو المشادات الكلامية، وغيرها. المنصت يفضل حبس لسان ويرسل أذنيه إلى عالم المتحدثين الصاخب. المنصت لا يعرف من بين الحضور إلا عندما تكتشفه أعين المتحدثين وهو منزوي في هدوء وترقب فتتابعه بحرص، علماً بأنه لم ينطق ببنت شفة. وذلك دليل على أن المنصت شخصية لا تقل أهمية في المجالس عن كثيرين الأسئلة والمتحدثين، فإنصاته يشعرهم بالقبول والمتابعة. كيف ترى مجلساً تتحدث فيه ولا أحد ينصت إليك! ويزود الإنصات المنصت بمعلومات كثيرة، فكلما زاد إنصاته زادت معلوماته وبالتالي حاجة الناس إليه والأنس بوجوده. كما يندر أن يجابه دخول المنصت إلى مجلس ما بالاشمئزاز أو التأفف فهو يحمل رصيداً يكاد يكون خالياً من الصدامات أو الأحقاد في المجالس التي يذهب إليها، لقلة حديثة.

والمنصت ليس كما يتصوره البعض قليل الأصحاب، فهو معروف بإنصاته لكل ما تأتي به ألسنت جلسائه، ويكفيه ذلك فخراً.

الغزالي والإنصات يقول أبو حامد الغزالي في صفات المنصتين الجيدين " أن يكون مصغياً إلى ما يقوله القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه، ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظاً عن حركة تشوش على أصحابه... " ويضف في كتابه الرائع إحياء علوم الدين المجلد الثاني ص ٤١٦:"بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف، متحفظاً عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقاً رأسه كجلوسه في فكر..." ويدعو إلى الحذر من " التصنع والتكلف والمراءاة" أثناء الإنصات و أن يكون" ساكتاً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير مذموم" داعياً إياه إلى الرجوع إلى "هدوئه وسكونه" وهو ينصت. كادر (١) كادر (٢) حكمة قال بعض الحكماء: إذا جالست الجهال فأنصت لهم. وإذا جالست العلماء فأنصت لهم. فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وإن في انصاتك للعلماء زيادة في العلم.

إنصات النبي –**صلى الله عليه وسلم**–روى الطبراني بإسناد صحيح عن عمر بن العاص – رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –**صلى الله عليه وسلم**–يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم، يتألفه بذلك، وكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أني خير القوم.

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن * * * عجلاً بنطقك قبل ما تتفهم

لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً * * * إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

قرأت هذين البيتين لصفي الدين الحليّ مرات عدة حتى لكأنني أقرؤهما للمرة الأولى في كل مرة حيث يحويان آداباً وفنوناً قلماً ننتبه إليها أو نلقي لها بالاً.. كيف تكون متحدثاً لبقاً؟ ومستمعاً مثالياً؟ نعم فنحن نفتقد لمثل هذه المهارات السلوكية التي تجعلنا أناساً نرقى بأنفسنا عن سفاسف الأمور.. فمهارة الاستماع إحدى أهم الوسائل التي تعيننا على تفهم الأمور ووضوحها وقليل من الناس من تراهم يفسحون المجال لمحدثهم حتى يوضح وجهة نظره كاملة.

يقول كارينجي: حتى أشد الناس جفافا في الطبع، وغلظة في القول لا يملك إلا أن يلين إزاء مستمع صبور عطوف...مستمع يلوذ بالصمت إذا أخذ محدثه الغاضب يصول ويجول كالحية الرقطاء وهو ينفث سمه هنا وهناك! ولكي تصبح محدثا بارعا كن أولا مستمعا طيبا، وفي ذلك نذكر المثل القائل: "لكي تكون هاما كن مهتما".

تحدث بما يسعد محدثك! كانت إحدى الطبيبات تمتلئ عيادتها الخاصة دائما بالمراجعات وكانت المريضات يرغبن في المجئ إليها دائما وكل واحة تشعر أنها صديق خاصة بهذه الطبيبة كانت هذه الطبيبة تمارس مهارات متعددة تسحر بها قلوب الآخرين من ذلك أنها اتفقت مع

السكرتيرة أنها إذا اتصلت احدي المريضات تريد أن تتحدث مع الطبيبة، أو تسألها عن شيء يخص المرض فإن السكرتيرة تسألها عن اسمها وترحب بها ثم تطلب منها التكرم بالاتصال بعد خمس دقائق ثم تأخذ السكرتيرة الملف الخاص بهذه المريضة، وتناوله للطبيبة فتقرأ الطبيبة معلومات المريضة، وتنظر إلى بطاقتها الخاصة ومعلومتاها الكاملة بما فيها، ووظيفتها وأسماء أولادها فإذا اتصلت المريضة رحبت بها الطبيبة، وسألتها عن مرضها وعن فلان ولدها الصغير وأخبار وظيفتها و.. فتشعر المريضة أن هذه الطبيبة تحبها جدا لدرجة أنها تحفظ أسماء أولادها وتتذكر مرضها ولم تنسى مكان عملها فترغب في المجئ إليها دون العلاج.

في بداية الدعوة كانت قريش تكذب الرسول، ويشيعون أنه مجنون، ومره أنه مسحور، ومره إنه ساحر وكان هناك رجل اسمه ضماد له علم بالطب، والعلاج فلما خالط الناس، وسمع سفهاء قريش يقولون عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– جاء المجنون رأينا المجنون ذهب المجنون فقال ضماد: أين هذا الرجل؟ لعل الله أن يشفيه على يدي؟ فدله الناس على الرسول–صلى الله عليه وسلم– فلما لقيه ضماد وتأمل وجه النبي–صلى الله عليه وسلم– وجده وجه مشرق ليس به علة، ولا مرض، ولا سحر، ولا جنون، ثم قال ضماد للرسول . صلى الله عليه وسلم:يا محمد إني أرقى من هذه الرياح وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم أعالجك وجعل يتكلم عن علاجه وقدراته والنبي–صلى الله عليه وسلم– ينصت إليه حتى انتهى ضماد من كلامه قال الرسول–صلى الله عليه وسلم– بكل هدوء:"إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فانتفض ضماد وقال: أعد على كلماتك هذه فأعادها الرسول. فقال ضماد: والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل هذه الكلمات فقد بلغن ناموس البحر فهلم يدك أبايعك على الإسلام فبسط النبي–صلى الله عليه وسلم– يده واخذ ضماد يرد شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله. فعلم النبي أن له عند قومه شرفا فقال له:" وعلى قومك؟ فقال ضماد؟ وعلى قومي. ثم ذهب إلى قومه داعيا والسبب حسن السمع من رسول الله وطريقة الإقناع.

٤٢) كُن في حاجة الناس:

سهم تملك به القلوب وله تأثير عجيب صوره الشاعر بقوله:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

بل تملك به محبة الله عز وجل كما قال–صلى الله عليه وسلم–:"أحبُ الناس إلى الله أنفعهم للناس".

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾
البقرة: ١٩٥

إذا أنت صاحبت الرجال فكن فتى ..... مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا .. على الكبد الحرى لكل صديق

عجباً لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه، ومن انتشر إحسانه كثر إن الناس يُقدِّرون من يسعى في حاجتهم ويشفع لهم، والرسول–صلى الله عليه وسلم– يقول:"أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلمٍ، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولو أن تمشي مع أخيك في حاجته أحب إليَّ من أن أعتكف شهراً".،([٩٢])

ولو أدرك العامل والموظف عظم هذا الحديث لأنهى المعاملات في وقتها.

يقول الله تعالى: عجبا لك يا ابن آدم خلقتك، وتعبد غيري، ورزقتك، وتشكر سواى أتحبب إليك بالنعم، وأنا الغنى عنك، وتتبغض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إلى خيري إليك نازل وشرك إلى صاعد".

يقول أرسطو: إن الرجل المثالي يفرح بالأعمال التي يؤديها للآخرين الأعمال له لأن تقديم العطف هو من التفوق لكن تلقى العطف هو دليل الفشل. ألم يقل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–اليد العليا خير من اليد السفلى".

٤٣) قدِّم خدماتٍ للآخرين قبل أن يأمروك:

إن الناس يشيرون بالبنان لمن يعمل ويخدم ويقدم للآخرين لأنه يأسر قلوبهم بفعله، ويكفينا في ذلك قول النبي–صلى الله عليه وسلم–:"وعليَّ جمع الحطب".

أحسن احد الكرماء إلى شاعر من الشعراء أغاثه بعد نكبة لحقته فقال الشاعر:.

غلام رماه الله بالحسن يافعا ** على وجهه من كل مكرمة سور

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه **تردى رداء واسع الثوب واتزر

كأن الثريا علقت بجبينه ** وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر

٤٤) أفعل الخير ولا تنتظر الشكر من أحد:

قديما قالوا: "اتقى شر من أحسنت إليه.... وفلان يعض اليد التي تمتد له بالمعروف".

فالله سبحانه وتعالى لو قيست الأمور بهذه المقاييس لسحق العالم بأسره، ولكنه وهو الخالق الغنى المنعم يعبد غيره ويشكر سواه فلا يمنع رزقه ولا يحرم من يفعل هذا من نعم الحياة.

فلا تصدم إذا وجدت أهل النكران قد كفروا جميلك وناصبوك العداء واحرقوا إحسانك ونسوا معروفك ورموك بمنجنيق الحقد لا لشيء إلا لأنك أحسنت إليهم

---

[٩٢]) الطبراني في الكبير والصغير ومجمع الزوائد وكشف الخفاء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ التوبة: ٧٤ ومن يطالع السير يعلم الكثير والكثير عن مثل هذه المواقف جاء في قصه الشيخ الشعراوى رحمه الله أنه كان دائم الإحسان إلى زميل له ومع هذا كان زميله لا يجد فرصه إلا وانتقم من الشيخ رحمة الله وكان يحاول بشتى الطرق الإساءة إلى الشيخ والشيخ يحسن إليه وكل يجنى مما يزرع.

وأعرف مدرسا كان يحتضن تلميذا له ويحسن إليه ويعطيه دروسا دون مقابل، ولما شب التلميذ، وتخرج في الجامعة ما كان منه إلا أن قاطع مدرسه بل حاول مع قريب له أن يتسببوا له في ضرر بالغ، وكان هذا التلميذ مريضا وكان المدرس دائم الوقوف بجانبه.

وهذا المدرس أيضا كان يرعى تلميذا آخر رعاية شبه كاملة حتى إن التلميذ كان ينام عنده ويكاد هذا المدرس ينفق عليه وما وجد منه إلا جزاء سنمار.

والأولى من هذا وذاك الآباء الذين يحرقون أنفسهم ليكونا شمعه تضيء لأبنائهم طريق حياتهم وكم حرموا أنفسهم من أشياء هم في أمس الحاجة إليها وكم وفروا ثمن دواء لهم لينفقوا ثمنه على أطفالهم ولما شبوا واستغنوا عن أباهم ما كان منهم إلا أنهم انقضوا على آبائهم كالكلاب الضارية وتمنوا لهم الموت اليوم قبل الغد

فكم علمته نظم القوافي** فلما قال قافية هجاني

سبحان الله اعمل لله وبالله ومن أجل الله تستريح النفس، والبال، والضمير، ولا تندم على فعل الخيرات ولا تنتظر الإحسان من أحد فكم من إنسان تهديه شمعه لتنير له طريقه فيحرق بها وجهك، وكم من إنسان تعطيه سنارة ليصطاد بها طعامه فيصطاد بها طعامك أنت، وكم من إنسان تعطيه عصا يستعين بها على ضعفه فيضربك بها، وكم من يد تمدها للمساعدة فيعدها غيرك على وجهك فإذا طاف بك طائف من هم، أو غم، أو ضيق، أو كرب فأمنح غيرك معروفا إن فعل الخير ينفع حامله، وبائعه ومشتريه وعوائد الخير الروحية، والنفسية بلسم يداوى جراح القلوب المكلومة، والنفوس التعسى كلمه طيبه بسمه رقيقه تقرضه قرض وهو في أمس الحاجة إلى مال تعوده وهو مريض تستر عليه ذلته تسد جوعته تستر عورته ترد عن عرضه تجبر كسره تجنى ثمن ذلك تفريج هم وغم من الله سبحانه أي اجعل تجارتك مع الله عز وجل وإلا ما يساوى كلب بالنسبة لملك الله عز وجل، أو البشر بأسره ما يساوى في ملك الله سبحانه ومع هذا امرأة بغى تسقى كلبا شربة ماء تكون سببا في نجاتها من النار إن الإنسان لتغمره السعادة ويزول همه عندما يطلع على مثل هذه الأشياء، ويرتاح الضمير، وينام قرير العين عندما يعلم أن الل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الكهف: ٣٠ وعليك أن تتناسى المآسي الرسول أهين وضرب وفعلت به الأفاعيل ما لشيء إلا لأن الله أرسله لهداية الناس. في فتح مكة ظن مشركوا مكة أنه–صلى الله عليه وسلم– سيحرق دورهم ويسبي نسائهم ويقتل رجالهم وإذا به يقول لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء الصحابة الكرام منهم من قتل أباه، وأمه ومن قتل أخاه.، ومع هذا ما أساؤوا وما انتقموا من أحد فكان الجزاء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ الليل: ١٩ - ٢١ مَثَلِك

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ هود: ٥١ .أطعم احد الصالحين أعمى فالوذجا فقال أهله: هذا الأعمى لا يدرى ماذا يأكل فقال لكن الله يدرى. لا ترد الإساءة بمثلها إن دفن المعايب والحلم عز والصمت يقهر الأعداء والعفو مثوبة، وشرف ومعظم من سمعوا السب الذي قيل فيك نسوه، ومنهم من علم أنه لحسد الساب عليك.

يقول أحد الحكماء: الناس مشغولون عنى وعنك بنقص خبزهم، وإن ظمأ أحدهم ينسيهم موتى، وموتك . ومن ظن أن الناس تراقبه في كل كبيرة، وصغيره فليعلم أن الغرور، والعجب، والكبر ربما دخلوا إليه حتى ظن بنفسه أنه محط أنظار الناس.

واعلم أن

من راقب الناس مات هما** وفاز باللذة الجسور

ولنثق في الله ونعلم أن الناس لا يملكون لأحد ضرا، ولا نفعا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا، ولا رزقا، ولا فقرا ولا صحة، ولا مرضا، والأشياء كلها بقدر الله فلا داعي أن نسيء إلى احد، وعليك أن تعمل بقول هذا الشاعر:

احرص على جمع الفضائل واجتهد** واهجر ملامة من تشفي أو حسد

واعلم بأن العمر موسم طاعة ** قبلت وبعد الموت ينقطع الحسد

كان الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن محرر العبيد يقول:أنا لا أقرأ رسائل الشتم التي توجه إلىّ ولا أفتح مظروفها فضلا عن الرد عليها لأنني لو شغلت نفسي بها لما قدمت شيئا لشعبي.، وكان قائد البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية رجلا لامعا يحرص على الشهرة فتعامل

مع مرؤوسيه الذين كالوا له الشتائم والسباب والإهانات حتى قال:أصبح اليوم عندي من النقد مناعة لقد عجم عودي وكبرت سني وعلمت أن الكلام لا يهدم مجدا ولا ينسف سورا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنعام: ٦٨

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر: ٨٥

كان أبو بكر – رضي الله عنه– ينفق على قريب له يسمى مسطح بن أثاثه وإذا بمسطح – رضي الله عنه– يخوض في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها مع الخائضين فعزم أبو بكر على أن يقطع عنه النفقة التي يجريها عليه فعاتب الله أبا بكر ونهاه أن يعامل الناس بما عاملوها وأمره أن تكون يده العليا وان يعفوا عن من ظلمه ويعطى من حرمه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ النور: ٢٢

قال الشاعر:

إن الذي بيني وبين بني أبي ** وبين بني عمى لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم ** وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وليسوا إلى نصري سراعا ** وإن هم دعوني إلى نصر أتيتهم شدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ** وليس رئيس القوم من يحمل الحقد

وبعض الناس لا حل له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه.. فتصبر عليه أو تفارقه..

ذُكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار.. وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقي دواب.. حتى تعب وضجر.. وفي طريق رجوعهما.. نزلا للغداء.. فأناخا بعيريهما ونزلا.. فأما أشعب فتمدد على الأرض.. وأما صاحبه فوضع الفرش.. وأنزل المتاع.. ثم التفت إلى أشعب وقال: قم اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم.. فقال أشعب: أنا والله متعب من طول ركوب الدابة.. فقام الرجل وجمع الحطب.. ثم قال: يا أشعب! قم أشعل الحطب.. فقال: يؤذيني الدخان في صدري إن اقتربت منه.. فأشعلها الرجل.. ثم قال: يا أشعب! قم أمسك علي لأقطع اللحم.. فقال: أخشى أن تصيب السكين يدي.. فقطع الرجل اللحم وحده.. ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم في القدر واطبخ الطعام.. فقال: يتعبني كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه.. فتولى الرجل الطبخ، والنفخ.. حتى جهز الطعام وقد تعب.. فاضطجع على الأرض.. وقال: يا أشعب!

قم جهز سفرة الطعام.. وضع الطعام في الصحن.. فقال أشعب: جسمي ثقيل ولا أنشط لذلك.. فقام الرجل وجهز الطعام ووضعه على السفرة.. ثم قال: يا أشعب! قم شاركني في أكل الطعام..

فقال أشعب: قد استحييت والله من كثيرة اعتذاري وها أنا أطيعك الآن.. ثم قام وأكل !!

فقد تلاقي من الناس من هو مثل أشعب.. فلا تحزن.. وكن جبلاً..

٤٥) نادِ الناس بأحب أسمائهم، وتعرَّف على أنسابهم:

كان–صلى الله عليه وسلم– ينادي الناس بأحب أسمائهم، حتى الأطفال الصغار كان يكنيهم أحياناً". يا أبا عمير ما فعل النغير؟ وأبو عمير طفل صغير.

"جيم فارلي" ما إن بلغ الأربعين من عمره حتى منحته أربع جامعاتٍ درجاتها الفخرية، وتم تعينه مدير البريد العام في الولايات المتحدة... فما سر نجاحه ؟؟ كان يتملك مقدرةً فائقةً على تذكُّر أسماء الناس. كان يلقى الرجل فيتعرف على اسمه الكامل، وأسماء أولاده وأهله المقربين، ويستفسر عن عمله، وميوله السياسية، ونزعاته الفكرية، ثم يختزن كل ذلك في ذاكرته حتى إذا التقى به ثانية سار الحديث بينهما وكأنه لم ينقطع عنه. فيسأله "جيم" عن أولاده، وزوجته، وأزهار حديقته، وفي لغة يشعر معها المسئول بقرابته الفعلية من قلب "جيم" وعواطفه.

وهكذا إذا أردت أن يحبك الناس فاذكر أسماءهم لأن اسم الرجل هو من أقرب الطرق لكسبه.

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– ثلاث تزيد محبة الإخوان: أن تبدأه بالسلام، وأن تناديه بأحب الأسماء إليه،وأن توسع له في المجلس".

واليك ما قاله ديل كارنيجى: أن تنادي الناس بأسمائهم الأولى، وهذه هي القاعدة الثالثة لكي تكسب حب الناس فاسم الرجل أجمل وأحب الأسماء إليه، فإذا التقيت بصديق جديد تعرف على اسمه الكامل وأسماء ذويه المقربين، واعرف طبيعة عمله وآرائه العامة واحتفظ بتلك المعلومات في ذهنك كجزء من الصورة التي تختزنها في مخيلتك لهذا الصديق، فمتى التقيت به ثانية وسعك أن تربت على كتفه وتسأله عن أولاده وزوجته، ولا عجب إذن أن يكون لك على مر الأعوام معارف وأصدقاء يفوق عددهم الحصر.

وإذا سألت أكثر الناس، لماذا لا يتذكرون الأسماء لانتحلوا لأنفسهم العذر بكثرة المشاغل!، ولكنهم على الأرجح ليسوا أكثر انشغالا من فرانكلين روزفلت الذي كان يذكر أسماء صغار العمال الذين يلتقي بهم.

إننا نقضي نصف الوقت الذي نتعرف فيه على غريب نتبادل بضع كلمات جوفاء ثم لا نستطيع حتى أن نذكر اسمه عندما يحيينا لينصرف.

٤٦) أخلق في الآخر رغبةً جامحةً في أن يفعل ما تريد منه:

وهي أن تشعر الإنسان بمحبة الأمر حين تعطيه إياه وكان ذلك هو دأب الرسول –صلى الله عليه وسلم–فكان يشوق الناس لما يأمرهم به، فلما أراد أن يسير جيشاً قال:"لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله".([٩٣]) فسار كل فردٍ يتمنى ذلك.

إذا أراد إنسان أن يصرف شخصاً عن طبع سيئ مثلاً فمن الخطأ أن يقف موقف المرشد الناصح في الوعظ، فتِّش عن رغبةٍ يود هذا الشخص بلوغها ثم اربط تلك الغاية بالإقلاع عن هذا الطبع السيئ، وستجده ينصرف عنه فعلاً؛ طمعاً في الوصول إلى الغاية لا تأثراً بصواب رأيك ابتداءاً. (ولا يُفهم من هذا التقليل من شأن الوعظ).

٤٧) البراعة في الحديث:

يعتقد بعض الناس أنه حتى يؤثر على الآخرين ويتصل بهم اتصالاً جيدًا فسيركز على الكلمات المؤثرة ويرتبها بنظام معين على حسب شخصية الآخر، وبذلك قد أتم عملية الاتصال، والواقع أنه بذلك قد حصل ٧% فقط من عملية الاتصال.

فقد أجريت دراسات في بريطانيا في عام ١٩٧٠م حول تأثير الكلام على الآخرين فوجدوا نسبة التأثير في الآخرين أتت على الوجه التالي:

الكلمات والعبارات ٧% من التأثير.

نبرات الصوت ٣٨% من التأثير.

تعبيرات الجسم الأخرى من عيون ووجه وأيدي وجسم ٥٥% من التأثير وعلى الرغم من هذه النسبة الضئيلة للكلمات والعبارات إلا أنها قد تبلغ ١٠٠% عند الشخص الآخر لذلك اختر كلماتك بعناية.

.ولتعلم أن الحديث مع الشاب يختلف عن الحديث مع الشيخ يختلف عن الحديث مع الأخت وعن الحديث مع الأخ ومع الجدة ومع الجد ومع الأم ومع الأب، ومع العالم عن الجاهل، ومع الطالب، ومع عامة الناس وإن كان الموضوع واحد ولكن لابد أن يثاق إلى كل من زاوية خاصة تناسب حاله خرج جابر بن عبد الله مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في غزوة ذات الرقاع وكان جابر يركب جملا كليلا فسبقه الناس وصار هو في آخر القافلة وكان النبي–صلى الله عليه وسلم– يسير في آخر الجيش فأدرك جابر وجمله يدب به دبيبا، والناس قد سبقوه فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: مالك يا جابر ؟ قال: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا . فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–:"أنخه فأناخه جابر وأناخ النبي–صلى الله عليه وسلم–ناقته ثم قال صلى الله عليه وسلم:أعطني العصا من يدك، أو اقطع لي عصا من شجرة فناوله جابر . العصا برك الجمل على الأرض كليلا ضعيفا فأقبل النبي–صلى الله عليه وسلم–إلى الجمل،

---

[٩٣]) متفق عليه.

وضربه بالعصا شيئا هينا فنهض الجمل يجرى قد امتلأ نشاطا فتعلق به جابر وركب على ظهره مشى جابر بجانب النبي–صلى الله عليه وسلم–فرحا مستبشرا، وقد صار جمله نشيطا سابقا التفت النبي–صلى الله عليه وسلم–إلى جابر وأراد أن يتحدث مع جابر لعله يزيل ما رآه به من هم ففي أي شيء يكون الحديث؟ وجابر شاب في سن الزواج وهو الآمر الذي يهم معظم الشباب فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم– يا جابر هل تزوجت ؟ قال جابر نعم .قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: بكرا أم ثيبا؟ قال بل ثيبا. فعجب النبي–صلى الله عليه وسلم–من شاب يتزوج من ثيب فقال مداعبا لجابر: هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك. فقال جابر: يا رسول الله إن أبي قتل في احد، وترك تسع أخوات ليس لهن راع غيري فكرهت أن أتزوج فتاه مثلهن فتكثر بينهن الخلافات فتزوجت امرأة اكبر ليكون فرق السن بينهن مانع لكثير من الخلاف بينهن، وجالب للاحترام. فأراد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يسرى عنه فقال له: لعلنا إذا أقبلنا إلى المدينة أن ننزل في صرار–موضع بالقرب من المدينة– فتسمع بنا زوجتك فتفرش لنا النمارق.

فتذكر جابر فقره، وفقر أخواته فقال: نمارق والله يا رسول الله ما عندنا نمارك. فقال له النبي–صلى الله عليه وسلم–:إنه ستكون لك نمارق إن شاء الله. ثم مشيا فأرد أن يهب لجابر مالا فالتفت إليه، وقال: يا جابر. قال: لبيك يا رسول الله فقال–صلى الله عليه وسلم–: اتبيعني جملك ؟ قال جابر: سمه من السوم–تقدير ثمن للسلعة– يا رسول الله. فقال النبي–صلى الله عليه وسلم– بدرهم.

قال جابر: درهم تغبني يا رسول الله. فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–:" بدرهمين.

قال: لا تغبني يا رسول الله. فما زالا يتزايدان حتى بلغا به أربعين درهما أوقية من الذهب فقال جابر: نعم ولكن اشترط عليك أن أبقى عليه إلى المدينة.

قال: نعم.

فلما وصلا المدينة مضى جابر إلى منزله، وانزل متاعه من على الجمل، ومضى لي مع النبي–صلى الله عليه وسلم–وربط الجمل عند المسجد فلما خرج النبي–صلى الله عليه وسلم– قال جابر: يا رسول الله هذا جملك فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–:"يا بلال أعط جابر أربعين درهما وزده. فناول جابر أربعين درهما، وزاده فحمل جابر الدراهم، ومشى يتفكر فيما يفعل بالمال هل يشترى منه جملا أم ماذا يفعل به مدين ومحتاج إلى جمل وفجأة التفت رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إلى بلال وقال: يا بلال خذ الجمل وأعطه جابرا جذب بلال الجمل ومضى به إلى جابر فلما وصل به إليه تعجب جابر. ثم قال له بلال خذ الجمل يا جابر. قال جابر ما الخبر ؟ قال بلال– رضي الله عنه–: قد امرني رسول الله–صلى الله عليه وسلم– أن أعطيك الجمل، والمال فرجع جابر إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وسأله ما الخبر أما تريد الجمل ؟ فقال

النبي–صلى الله عليه وسلم–: أتراني ماكستك لأخذ جملك؟ يعن يا جابر هل تر أنى كنت أساومك في ثمن الجمل لأخذه منك وإنما لأقدر قدر القيمة التي تحتاجها من المال.

إن لكل مقام مقال إن مما يجذب الناس إليك أن تحدثهم بما يناسب هوايتهم وسنهم فلا تحدث فلاح عن البرصة وعن تعويم العملة وعن العلاقات السياسية كما لا يصلح أن تحدث سياسي في أمور الزراعة ولا مهندس في أمور الطب لأن ذلك يؤدى إلى ألنفره وعدم الألفة: حدثوا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله، ورسوله .والشخص نفسه يختلف الحديث معه حسب حالته النفسية والظروف التي يمر بها.

قال النبي–صلى الله عليه وسلم– يوما للسيدة عائشة رضي الله عنهما: إني لأعرف إن كانت راضيه عنى وإذا كنت غضبي؟ قالت: كيف ؟قال :إذا كنت راضية قلت: لا ورب محمد وإذا كانت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم فقالت: نعم والله يا رسول الله لا اهجر إلا اسمك. اشترى رجل دابة من دميرة فوجد بها عيوبا كثيرة فحضر إلى القاضي يشكو البائع فقال: أيها القاضي إني بحكمك راض اشتريت من هذا الغريم دابة ادعى فيها السلامة فوجدت بها عيوبا أعقبتني ندامة فقال القاضي: ما عيوبها؟ قال: كلها عيوب وذنوب، وهى أنحس مركوب إن ركبتها رفست وإن سقتها رقدت، وإن نزلت عنها شردت حدباء جرباء لا تقوم حتى تحمل على الخشب ولا تنام حتى تكبل بالسلب إن قربت من الجرار كسرتها وإن دنت من الصغار رفستهم وإن دار حولها أهل الدار كدمتهم تمشى في سنة أقل من يوم الويل لراكبها إن وثب عليه القوم تقرض حبلها وتجفل من ظلها ولا تعرف منزل أهلها حرونة مجنونة تقلع الوتد وتمرض الجسد واقعة الصدر محلولة الظهر عمشاء العينين قصيرة الرجلين مقلعة الأضراس كثيرة النعاس مشيها قليل وجسمها نحيل وراكبها بين الأعزاء ذليل فضحك القاضي وحكم بردها.

٤٨) قدّر غيرك تفز بتقديره لك:

إن التقدير من الغير غذاءٌ للنفس كما هو الطعام للجسد، بل إن النفس أرهف حساسيةً وأحلُّ شأناً؛ قد يصوم المرء وينقطع عن الطعام والشراب، أما عن حاجته إلى تقدير الغير له فلن يستطيع. إذاً... لماذا لا ندع الآخرين يختزنون في ذاكرتهم أنغاماً حلوةً وكلماتٍ محببةٍ عن تقديرنا لهم وشعورنا بأهميتهم ؟ .إن الكلمة اللينة تفعلها في القلوب وإن منج الحق الموروث من نبي الحق . صلى الله عليه وسلم هو إنزال الناس منازلهم من التبجيل والتكريم وإنها موهبة ربانية أن تسعد الناس وأن تسعد الناس بحسن تعاملكقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩ (أن تظهر اهتمامك بالناس).. كتب "الفرد أدلر" عالم النفس النمساوي الشهير كتابا أسماه "ما ينبغي أن تعنيه لك الحياة" يقول فيه: "إن الشخص الذي

لا يهتم بالآخرين هو أحق الناس بمعاناة شدائد الحياة، وفي مثل هذا الشخص تتجلى الخيبة الإنسانية في مختلف صورها".

فإذا نحن أردنا اكتساب الأصدقاء، فلنضع أنفسنا في خدمة غيرنا من الناس، ولنمد لهم يدا مخلصة نافعة مجردة من الأنانية والمصلحة الذاتية، ومن ثم ينصحك المؤلف بأنك إذا أردت أن تحب الناس وأن تظهر اهتماما بهم واليك ما قله ديل كارنيجى في هذه النقطة: أن تسبغ التقدير المخلص على الشخص الآخر، عبارات كهذه "آسف لإزعاجك" أو "هل أطمع في.." و"هل تتفضل"، و "هل تسمح.."، و"إني أشكر لك.." تفعل فعل السحر في نفوس الناس، وتقطر الزيت في عجلة الحياة اليومية التي تدور متشابهة في سأم وملل! ويقول المؤلف: هل تعتبر نفسك أرقى من الهندوكي؟! هذا ظنك أنت! أما الهندوكي فيشعر بسموه عليك، حتى إنه لا يمس طعاما وقع عليه ظلك.

عليك أن تذكر قول: "كل شخص ألقاه، يفوقني في ناحية واحدة على الأقل، وفي هذه الناحية يمكن أن آخذ عنه وأتعلم منه". التقدير حاجة فطرية يبحث عنها البشر، كل البشر يرغبون في أن يكونوا شيئًا مذكورًا فالإنسان بداية يبحث عن الطعام والشراب فإذا تمكن من ذلك بحث عن الأمن، فإذا تمكن من ذلك بحث عن التقدير فإذا تمكن من ذلك بحث عن الإنجاز.

يقول الأستاذ جون ديوي 'أعمق واقع للإنسان إلى العمل هو الرغبة في أن يكون شيئًا مذكورًا'.

وها هو أحد المديرين الناجحين يسمى تشارلي شواب يسأل عن سر نجاحه في التعامل مع الناس فيقول: 'إنني أعتبر مقدرتي على بث الحماسة في نفوس الناس هي أعظم ما أمتلك وسبيلي إلى ذلك هين وميسور فإني أجزل لهم المديح والثناء وأسرف في التقدير والتشجيع'.

إن الناس يبحثون عمن يقدرهم في هذه الحياة وإذا وجدوه تمسكوا به وأحبوه حبًا شديدًا، وإليك هذه القصة العجيبة لتدرك مدى حاجة الناس إلى التقدير: يقول الكاتب الشهير ديل كارنيجي: 'ارتحل مستر 'سي' عقب انضمامه إلى معهدي بمدة وجيزة إلى لونج ايلاند في صحبة زوجته ليزوروا بعض أقاربها الآخرين، ولما كان يتحتم على مستر 'سي' أن يخبر طلبة فصله بنتيجة تطبيقه لمبدأ 'إظهار التقدير للناس' فقد فكر في أن يبدأ بالعمة العجوز.

وألقى مستر 'سي' نظرة في أرجاء البيت ليرى أي الأشياء فيه يسعه أن يبدي تقديره له وما لبث أن سأل العمة العجوز: ألم يشيد هذا البيت في نحو عام ١٨٩٠؟ فأجابته: بلى هذا على وجه التحديد هو العام الذي بني فيه. فقال: إنه يذكرني بالبيت الذي ولدت فيه، إنه جميل، قوي البناء، فسيح الأرجاء، متعدد الغرف، وإنه لمن سوء الحظ أن مثل هذه البيوت لم تعد تشيد في هذه الأيام.

فوافقته العمة العجوز على ذلك، وأخذت تحكي له ذكريات الماضي يوم كانت مع زوجها المتوفى ثم أخذت تطوف به في البيت فأبدى مستر 'سي' تقديره المخلص للتذكارات الجميلة التي جمعتها خلال رحلاتها مع زوجها بقول مستر 'سي' فلما فرغنا من جولتنا بأنحاء المنزل اقتادتني العمة إلى الحديثة حيث الجراج، وهناك وجدت سيارة باكار فخمة تكاد تكون جديدة لم تمس وقالت لي العمة في لهجة رقيقة:

لقد اشترى زوجي هذه السيارة قبل أن يموت بمدة قصيرة ولم أركبها قط منذ وفاته، إنك يا مستر 'سي' تقدر الأشياء الجميلة ذات الذكرى العزيزة فخذ هذه السيارة إنها لك مع أخلص تحياتي'.

ففوجئ مستر 'سي' بهذه المفاجأة قال: كيف يا عمتي؟ إنني أقدر كرمك طبعًا ولكني لا أستطيع أن أقبل عطيتك، إنني لست قريبًا لك ولديك أقارب كثيرون يودون أن تكون لهم هذه الباكار. فقالت في ازدراء: أقارب؟ نعم لدي أقارب ليس لهم سوى انتظار موتي كي يظفروا بهذه السيارة ولكن بعدًا لهم.

فعدت أقول لها: حسنًا إذا كنت لا تريدين أن تعطينها لأحد منهم فلماذا لا تبيعينها ؟ فهتفت مرة أخرى أبيعها؟ أتحبني أبيع هذه السيارة؟ أو تظن أنني أطيق أن أرى الغرباء يروحون أمامي ويغدون بهذه السيارة؟ هذه السيارة التي اشتراها زوجي لي أنا ؟ إنني سأهديها لك يا مستر 'سي' فأنت تقدر التذكارات حق قدرها'.

هذه العجوز كانت تتلهف إلى شيء من التقدير والاعتراف بأهميتها فلما وجدت من يغدق عليها هذا التقدير لم تجد أقل من سيارة باكار تهديها له لتعبر عن امتنانها وشكرها'.

وإلى جانب ذلك فإن التقدير يعطي الشخص دفعة إيجابية قوية جدًا إلى الأمام ، ويبني في الشخص الثقة بالنفس والشعور بالنجاح ويثبت الإنسان في مواقف الشدائد والمحن، كما فعلت خديجة رضي الله عنها حينما رجع إليها رسول الله . صلى الله عليه وسلم بعدما نزل عليه جبريل أول مرة فقال لها: لقد خشيت على نفسي. فقالت له: 'كلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

مرت بي بعض الأيام كنت مصابًا ببعض الإحباط فقررت أن أصنع ملفًا داخل ذهني يجمع كل كلمات التقدير الحقيقية التي مرت بي في حياتي؟ فبدأت أتذكر وكلما ذكرت موقفًا سجلته في ذهني، تذكرت مواقف من والدي ومن بعض المعلمين ومن شيوخي، فإذا بي أشعر بأمل كبير وتزداد ثقتي بنفسي وبالفعل تغيرت بعد صنع هذا الملف كثيراً، ومررتُ بعد صنعه بفترة إنجاز كبيرة بحمد الله.

ولكن نذكرك وننبهك بأن يكون تقديرك مخلصا وصادقا وحقيقيا، ابتعد عن التزلق الزائف، وأخرج الكلام من قلبك واصدق الله فيه، استخدم كلمات ساحرة مثل أن تقول للشخص: أنت رائع،

يعجبني فيك القوة والإصرار، لقد تغيرت بالفعل إلى الأحسن، إننا نقطع شوطًا كبيرًا في إنجاز ما نريد، أنت على ما يرام.

ولقد استخدم رسول الله . صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في تربية أصحابه أيما استخدام، والمطالع لسيرة رسول الله . صلى الله عليه وسلم يجدها مفعمة بالتقدير المخلص، فهذا أبو بكر يسميه بالصديق، وهذا عمر يسميه بالفاروق، وهذا خالد يسميه سيف الله المسلول، وهذا حمزة يسميه أسد الله، وهذا علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، يخبر عنه أنه من الرسول . صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى، وهذا عثمان بن عفان يقول عنه:"إنه تستحي منه الملائكة، وهذا أبو عبيدة يسميه أمين الأمة، وهذا معاذ بن جبل يسميه أعلم الأمة بالحرام والحلال." قام–صلى الله عليه وسلم–على منبره يوماً يخطب الناس.. فدخل رجل من باب المسجد.. ونظر إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا رسول الله.. رجل يسأل عن دينه.. ما يدري ما دينه ؟!فالتفت . صلى الله عليه وسلم إليه.. فإذا رجل أعرابي.. قد لا يكون مستعداً أن ينتظر حتى تنتهي الخطبة.. ويتفرغ له النبي–صلى الله عليه وسلم–ليحدثه عن دينه.. وقد يخرج الرجل من المسجد ولا يعود إليه.. وقد بلغ الأمر عند الرجل أهمية عالية.. لدرجة أنه يقطع الخطبة ليسأل عن أحكام الدين !!كان . صلى الله عليه وسلم يفكر من وجهة نظر الآخر لا من وجهة نظره هو فقط.. نزل من على منبره الشريف.. ودعا بكرسي فجلس أمام الرجل.. وجعل يلقنه ويفهمه أحكام الدين.. حتى فهم.. ثم قام من عنده.. ورجع إلى منبره وأكمل خطبته.. تربي أصحابة في مدرسته.. فكانوا يظهرون الاهتمام بالآخرين.. والاحتفاء بهم.. ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم.. ومن ذلك ما فعله طلحة مع كعب . صلى الله عليه وسلم..

كعب بن مالك شيخ كبير.. نجلس إليه.. بعدما كبر سنه.. ورق عظمه.. وكف بصره.. وهو يحكي ذكريات شبابه.. في تخلفه عن غزوة تبوك.. وكانت آخر غزوة غزاها النبي . صلى الله عليه وسلم –صلى الله عليه وسلم–..آذن النبي . صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم.. وجمع منهم النفقات لتجهيز الجيش.. حتى بلغ عدد الجيش ثلاثين ألفاً.. وذلك حين طابت الظلال الثمار.. في حر شديد.. وسفر بعيد.. وعدو قوي عنيد.. كان عدد المسلمين كثيراً.. ولم تكن أسماؤهم مجموعة في كتاب.. قال كعب: وأنا أيسر ما كنت.. قد جمعت راحلتين.. وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد.. وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال.. وطيب الثمار.. فلم أزل كذلك.. حتى قام رسول الله r غادياً بالغداة .. فقلت: أنطلق غدا إلى السوق فأشتري جهازي.. ثم ألحق بهم.. فانطلقت إلى السوق من الغد.. فعسر علي بعض شأني.. فرجعت..

فقلت : أرجع غدا إن شاء الله فألحق بهم .. فعسر عليَّ بعض شأني أيضاً.. فقلت: أرجع غدا إن شاء الله.. فلم أزل كذلك.. حتى مضت الأيام.. وتخلفت عن رسول الله . صلى الله عليه

وسلم.. فجعلت أمشي في الأسواق.. وأطوف بالمدينة.. فلا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق.. أو رجلاً قد عذره الله.. نعم تخلف كعب في المدينة.. أما رسول الله . صلى الله عليه وسلم فقد مضى بأصحابه الثلاثين ألفاً.. حتى إذا وصل تبوك.. نظر في وجوه أصحابه.. فإذا هو يفقد رجلاً صالحاً ممن شهدوا بيعة العقبة.. فيقول . صلى الله عليه وسلم: ما فعل كعب بن مالك ؟!فقال رجل : يا رسول الله .. خلّفه برداه والنظر في عطفيه.. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت.. والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً.. فسكت رسول الله . صلى الله عليه وسلم..

قال كعب :فلما قضى النبي . صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .. وأقبل راجعاً إلى المدينة.. جعلت أتذكر.. بماذا أخرج به من سخطه.. وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.. حتى إذا وصل المدينة.. عرفتُ أني لا أنجو إلا بالصدق..

فدخل النبي . صلى الله عليه وسلم المدينة.. فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.. ثم جلس للناس.. فجاءه المخلفون.. فطفقوا يعتذرون إليه .. ويحلفون له.. وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.. فقبل منهم رسول الله . صلى الله عليه وسلم علانيتهم.. واستغفر لهم.. ووكل سرائرهم إلى الله.. وجاءه كعب بن مالك.. فلما سلم عليه.. نظر إليه النبي . صلى الله عليه وسلم.. ثم تبسم تبسُّم المغضب.. أقبل كعب يمشي إليه . صلى الله عليه وسلم.. فلما جلس بين يديه.. فقال له . صلى الله عليه وسلم: ما خلفك.. ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ يعني اشتريت دابتك..

قال: بلى.. قال: فما خلفك ؟!

فقال كعب: يا رسول الله.. إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر.. ولقد أعطيت جدلاً.. ولكني والله لقد علمت.. أني إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضي به علي.. ليوشكن الله أن يسخطك علي.. ولئن حدثتك حديث صدق.. تجد عليَّ فيه.. إني لأرجو فيه عفوَ الله عني.. يا رسول الله.. والله ما كان لي من عذر .. والله ما كنت قط أقوى.. ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.. ثم سكت كعب.. فالتفت النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى أصحابه.. وقال :أما هذا .. فقد صدقكم الحديث.. فقم .. حتى يقضي الله فيك.. قام كعب يجر خطاه.. وخرج من المسجد.. مهموماً مكروباً.. لا يدري ما يقضي الله فيه.. فلما رأى قومه ذلك.. تبعه رجال منهم .. وأخذوا يلومونه .. ويقولون:

والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا.. إنك رجل شاعر أعجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون!.. هلا اعتذرت بعذر يرضي عنك فيه .. ثم يستغفر لك .. فيغفر الله لك ..

قال كعب: فلم يزالوا يؤنبونني.. حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي.. فقلت: هل لقي هذا معي أحد ؟

قالوا: نعم .. رجلان قالا مثل ما قلت.. فقيل لهما مثل ما قيل لك.. قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع.. وهلال بن أمية.. فإذا هما رجلان صالحان قد شهدا بدراً.. لي فيهما أسوة ..فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبداً.. ولا أكذب نفسي ..ثم مضى كعب.. يسير حزيناً.. كسير النفس .. وقعد في بيته .. فلم يمضِ وقت.. حتى نهى النبي الناس عن كلام كعب وصاحبيه..

قال كعب: فاجتنبنا الناس.. وتغيروا لنا .. فجعلت أخرج إلى السوق .. فلا يكلمني أحد.. وتنكر لنا الناس .. حتى ما هم بالذين نعرف.. وتنكرت لنا الحيطان .. حتى ما هي بالحيطان التي نعرف .. وتنكرت لنا الأرض .. حتى ما هي بالأرض التي نعرف..

فأما صاحباي فجلسا في بيوتهما يبكيان.. جعلا يبكيان الليل والنهار.. ولا يطلعان رؤوسهما.. ويتعبدان كأنهما الرهبان.. وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجلدَهم.. فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين.. وأطوف في الأسواق.. ولا يكلمني أحد.. وآتي المسجد فأدخل.. وآتي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فأسلم عليه .. فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه .. فأسارقه النظر.. فإذا أقبلت على صلاتي.. أقبل إلي .. وإذا التفت نحوه.. أعرض عني .. ومضت على كعب الأيام.. والآلام تلد الآلام.. وهو الرجل الشريف في قومه.. بل هو من أبلغ الشعراء.. عرفه الملوك والأمراء.. وسارت أشعاره عند العظماء.. حتى تمنوا لقياه ..ثم هو اليوم .. في المدينة.. بين قومه.. لا أحد يكلمه .. ولا ينظر إليه.. حتى.. إذا اشتدت عليه الغربة.. وضاقت عليه الكربة.. نزل به امتحان آخر: فبينما هو يطوف في السوق يوماً.. إذا رجل نصراني جاء من الشام.. إذا هو يقول: من يدلني على كعب بن مالك.. ؟فطفق الناس يشيرون له إلى كعب.. فأتاه.. فناوله صحيفة من ملك غسان.. عجباً !! من ملك غسان ..!!إذن قد وصل خبره إلى بلاد الشام.. واهتم به ملك الغساسنة.. عجباً !! فماذا يريد الملك ؟!!

فتح كعب الرسالة فإذا فيها:" أما بعد.. يا كعب بن مالك.. إنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك.. ولست بدار مضيعة ولا هوان.. فالحق بنا نواسك ".فلما أتم قراءة الرسالة.. قال: إنا لله .. قد طمع فيَّ أهل الكفر..!! هذا أيضاً من البلاء، والشر.. ثم مضى بالرسالة فوراً إلى التنور.. فأشعله ثم أحرقها فيه ..ولم يلتفت كعب إلى إغراء الملك.. نعم فُتح له باب إلى بلاط الملوك.. وقصور العظماء.. يدعونه إلى الكرامة والصحبة.. والمدينة من حوله تتجهمه .. والوجوه تعبس في وجهه.. يسلم فلا يرد–صلى الله عليه وسلم–..ويسأل فلا يسمع الجواب.. ومع ذلك لم يلتفت إلى الكفار.. ولم يفلح الشيطان في زعزعته.. أو تعبيده لشهوته.. ألقى الرسالة في النار.. وأحرقها.. ومضت الأيام تتلوها الأيام.. وانقضى شهر كامل.. وكعب على هذا الحال.. والحصار يشتد خناقه.. والضيق يزداد ثقله.. فلا الرسول–صلى الله عليه وسلم– يُمضي .. ولا

الوحي بالحكم يقضي.. فلما اكتملت أربعون يوماً.. فإذا رسول من النبي–صلى الله عليه وسلم– يأتي إلى كعب.. فيطرق عليه الباب ..فيخرج كعب إليه.. لعله جاء بالفرج.. فإذا الرسول يقول له: إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك.. قال: أُطَلِّقها.. أم ماذا؟ قال: لا.. ولكن اعتزلها ولا تقربها .. فدخل كعب على امرأته وقال: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.. وأرسل النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى صاحبي كعب بمثل ذلك.. فجاءت امرأة هلال بن أمية.. فقالت: يا رسول الله.. إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف.. فهل تأذن لي أن أخدمه..؟

قال: نعم.. ولكن لا يقربنك.. فقالت المرأة: يا نبي الله.. والله ما به من حركة لشيء.. ما زال مكتئباً.. يبكي الليل والنهار.. منذ كان من أمره ما كان.. ومرت الأيام ثقيلة على كعب.. واشتدت الجفوة عليه.. حتى صار يراجع إيمانه..

يكلم المسلمين ولا يكلمونه.. ويسلم على رسول الله . صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه .فإلى أين يذهب..!! ومن يستشير !؟قال كعب: فلما طال عليَّ البلاء.. ذهبت إلى أبي قتادة .. وهو ابن عمي.. وأحب الناس إليَّ .. فإذا هو في حائط بستانه.. فتسورت الجدار عليه.. ودخلت.. فسلمت عليه.. فو الله ما رد علي السلام.. فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟فسكت .. فقلت: يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟فسكت ..فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة .. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فقال: الله ورسوله أعلم ..سمع كعب هذا الجواب.. من ابن عمه وأحب الناس إليه.. لا يدري أهو مؤمن أم لا؟ فلم يستطع أن يتجلد لما سمعه.. وفاضت عيناه بالدموع.. ثم اقتحم الحائط خارجاً.. وذهب إلى منزله.. وجلس فيه.. يقلب طرفه بين جدرانه.. لا زوجة تجالسه.. ولا قريب يؤانسه.. وقد مضت عليهم خمسون ليلة.. من حين نهى النبي–صلى الله عليه وسلم– الناس عن كلامهم.. وفي الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبي r في ثلث الليل.. وكان–صلى الله عليه وسلم–في بيت أم سلمة .. فتلا الآيات..

فقالت أم سلمة: يا نبي الله.. ألا نبشر كعب بن مالك..

قال : إذاً يحطمكم الناس .. ويمنعونكم النوم سائر الليلة.. فلما صلى النبي –صلى الله عليه وسلم–الفجر.. آذن الناس بتوبة الله عليهم.. فانطلق الناس يبشرونهم.. قال كعب: وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا..

فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى.. قد ضاقت علي نفسي.. وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت.. وما من شيء أهم إليّ .. من أن أموت.. فلا يصلي عليَّ رسول الله . صلى الله عليه وسلم.. أو يموت.. فأكون من الناس بتلك المنزلة.. فلا يكلمني أحد منهم.. ولا يصلي عليَّ.. فبينما أنا على ذلك.. إذ سمعت صوت صارخ .. على جبل سلع بأعلى صوته

يقول: يااااا كعب بن مالك ! .. أبشر.. فخررت ساجداً .. وعرفت أن قد جاء فرج من الله.. وأقبل إليَّ رجل على فرس .. والآخر صاح من فوق جبل.. وكان الصوت أسرع من الفرس.. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني.. نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه.. والله ما أملك غيرهما.. واستعرت ثوبين.. فلبستهما.. وانطلقت إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.. فتلقاني الناس فوجاً .. فوجاً .. يهنئوني بالتوبة.. يقولون: ليهنك توبة الله عليك.. حتى دخلت المسجد.. فإذا رسول الله e جالس بين أصحابه.. فلما رأوني والله ما قام منهم إليَّ إلا طلحة بن عبيد الله.. قام فاعتنقي وهنأني.. ثم رجع إلى مجلسه.. فو الله ما أنساها لطلحة.. فمشيت حتى وقف على رسول اللهـ صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه.. وهو يبرق وجهه من السرور.. وكان إذا سُرَّ استنار وجهه.. حتى كأنه قطعة قمر.. فلما رآني قال: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .. قلت: أمن عندك يا رسول الله.. أم من عند الله؟ قال: لا .. بل من عند الله.. ثم تلا الآيات..

فجلست بين يديه.. فقلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله.. وإلى رسوله..

فقال : أمسك عليك بعض مالك .. فهو خير لك.. فقلت: يا رسول الله! إن الله إنما نجاني بالصدق.. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت.. نعم.. تاب الله على كعب وصاحبيه.. وأنزل في ذلك قرءاناً يتلى.. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ التوبة: ١١٧ - ١١٨ مَالِك

والشاهد من هذه القصة.. أن طلحة لما رأى كعباً قام إليه واعتنقه وهنأه.. فزادت محبة كعب له.. حتى كان يقول بعد موت طلحة.. وهو يحكي القصة بعدها بسنين: فو الله لا أنساها لطلحة..

وماذا فعل طلحة حتى يأسر قلب كعب؟ فعل مهارة رائدة.. اهتم به. شاركه فرحته. فصار له عنده حظوة..

الاهتمام بالناس ومشاركتهم في مشاعرهم يأسر قلوبهم..

٤٩) تكلم فيما تظن أنه يسر محدثك:

إذا أردت إدخال السرور إلى قلوب الناس حدِّثهم فيما تظنهم يودون الاستماع إليه أولاً، وبذلك تستدرجهم إلى التحدث، والحديث الشيِّق اللذيذ فتصغي إليهم بشغف، ويعتبرونك محدثاً بارعاً تستطيع جلب مسرتهم.

هذه خطة يوصى بها العقل والدين معا قال الشاعر زهير بن ثابت:

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ** أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ** به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

فذاك قريع الدهر ما عاش حُولِ **إذا سد منه منخر جاز منخر

وإياك وارتفاع الصوت وكثرة الكلام في المجالس، وإياك وتسيد المجالس وعليك بطيب الكلام ورقة العبارة (فالكلمة الطيبة صدقة) كما في الصحيحين، ولها تأثير عجيب في كسب القلوب والتأثير عليها حتى مع الأعداء فضلاً عن إخوانك وبني دينك، فهذه عائشة رضي الله عنها قالت لليهود:"وعليكم السام واللعنة. فقال لها رسول الله . صلى الله عليه وسلم:"مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله".([٩٤])

وعن أنس – رضي الله عنه– قال، قال . صلى الله عليه وسلم:"عليك بحسن الخلق وطول الصمت فو الذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما".([٩٥])

قد يخزنُ الورعُ التقي لسانه ..... حذر الكلام وإنه لمفوه

٥٠) ترفع عن الصغائر:

المسلم كالجبل الشامخ لا تحركه التوافه ولا تزعزعه الحادثات بل هو كالطود الشامخ وكلما كان إحساس المرء بعظمة نفسه ورسوخ قدمه وحصانة عرضه ضد المفتريات وإحساسه بتفاهة خصومه، أو عجزهم عن النيل منه أو قدرته على البطش بهم فإذا أيقن الإنسان أن عدوه يحاول المستحيل باستفزازه وأنه مهما بذل فلن يحرجه فإن هذه الطمأنينة تجعله يتلقى الضربات بهدوء أو بابتسام أو بسخرية.

قال ديل كارنيجى: نصبنا مخيما ذات ليله تجاه حرش متكاثف الأشجار وفجأة برز لنا وحش الغاب المخيف –الدب الأسود– وتسلل الدب إلى ظلال الضوء المنبعث من معسكرنا، وراح يلتهم بقايا طعام يبدو أن خدم أحد الفنادق المقامة في أطراف الغابة ألقاها هناك وفي ذلك الوقت كان–المايجور مانتريل– أحد رواد الغابات المغامرين يمتطى صهوة جواده ويقص علينا أعجب قصص الدببه فكان مما قاله: إن الدب الأسود يستطع أن يقهر أي حيوان آخر يعيش في العالم الغربي باستثناء الثور على وجه الاحتمال غير أنى لاحظت في تلك الليلة أن حيوانا

---

[٩٤]) متفق عليه.

[٩٥]) أخرجه أبو يعلى، والبزار وغيرهما.

ضئيلا ضعيفا استطاع أن يخرج من مكمنه في الغابة وأن يواجه الدب غير هياب، ولا وجل بل شاركه الطعام أيضا ذلك هو النمس ولا ريب أن الدب يعلم أن ضربه واحد من مخلبه القوى تمحو النمس من الوجود فلماذا لم يفعل هذا لآنه تعلم بالتجربة أن مغاضبة مثل هذا الحيوان الضئيل عداوة لن تعود بالضرر إلا عليه هو فأليق له وأكرم بكبريائه أن يغض الطرف عنه ولقد تعلمت هذا أنا أيضا فلطالما ضيقت الخناق على آدميين من نوع هذا النمس فعلمتني التجربة المرة أن اجتلاب عداوة هؤلاء لا تجدي فتيلا.

وقد كتب الشيخ الغزالي رحمه الله عن مثل هذه الحالة فقال: ومع أن للطباع الأصيلة في النفس دخلا كبيرا في أنصبة الناس من الحدة، والهدوء، والعجلة، وألاناه، والكدر، والنقاء إلا أن هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين وتجاوزه عن خطئهم.

٥١) امتدح الناس فيما يجيدونه:

اختر شيئاً جميلاً فيهم وحدثهم عنه ولن تعدم ذلك الشيء الجميل. فالناس يختلفون ويتفاوتون، ولكنه لا يمكن إلا أن تجد شيئاً جميلاً في كل فردٍ منهم، فالناس يحبون أن تمدح الناحية الجميلة فيهم.

فإذا أحببت أحداً أو كانت له منزلة خاصة في نفسك فأخبره بذلك فإنه سهم يصيب القلب ويأسر النفس ولذلك قال . صلى الله عليه وسلم:"إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه".([٩٦])

وزاد في رواية مرسلة:"فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة".، لكن بشرط أن تكون المحبة لله، وليس لغرض من أغراض الدنيا كالمنصب والمال، والشهرة والوسامة والجمال، فكل أخوة لغير الله هباء، وهي يوم القيامة عداء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزخرف: ٦٧

والمرء مع من أحب كما قال . صلى الله عليه وسلم – يعني يوم القيامة –، إذا فإعلان المحبة والمودة من أعظم الطرقِ للتأثير على القلوب. فإما مجتمع مليء بالحب والإخاء والائتلاف، أو مجتمع مليء بالفرقة والتناحر والاختلاف، لذلك حرص . صلى الله عليه وسلم على تكوين مجتمع متحاب فآخى بين المهاجرين والأنصار، حتى عرف أن فلانا صاحب فلان، وبلغ ذلك الحب أن يوضع المتآخيين في قبر واحد بعد استشهادهما في إحدى الغزوات.، بل أكد . صلى الله عليه وسلم على وسائل نشر هذه المحبة ومن ذلك قوله . صلى الله عليه وسلم:"لا

---

[٩٦]) صحيح الجامع.

تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".([٩٧])

وللأسف، فالمشاعر، والعواطف، والأحاسيس الناس منها على طرفي نقيض، فهناك من يتعامل مع إخوانه بأسلوب جامد جاف مجرد من المشاعر والعواطف، وهناك من يتعامل معهم بأسلوب عاطفي حساس رقيق ربما وصل لدرجة العشق والإعجاب والتعلق بالأشخاص. والموازنة بين العقل والعاطفة يختلف بحسب الأحوال والأشخاص، وهو مطلب لا يستطيعه كل أحد لكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

٥٢) الناس يحبون الشكر والتشجيع:

وإن كان الأصل في المسلم أنه يعمل العمل ابتغاء رضا الله ولا ينتظر شكر الناس، ولكن ذلك طبع في البشر وذلك لا بأس منه شرعاً.

عنه أبي هريرة- رضي الله عنه-أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لا يشكر الله".([٩٨]) وكذلك قوله . صلى الله عليه وسلم:"اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة".([٩٩])

وكذلك حديث:"من صنع إليكم معروفاً فكافئوه..". -التشجيع يسر الآخرين-

قال سعد بن معاذ- رضي الله عنه- لرسول الله . صلى الله عليه وسلم:"لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم، فأضعن حيث شئت، وصِل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحبَّ إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمرٍ فأمرنا تبع لأمرك، فو الله لئن سرت حتى تبلغ البَرك من غمدان لنسيرَّن معك، و والله لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك". فسر رسول الله . صلى الله عليه وسلم بقول سعدٍ ونشطه ذلك، ثم قال:"سيروا، وابشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين".([١٠٠])

٥٣) تهادوا تحابوا:

لها تأثير عجيب فهي تذهب بالسمع والبصر والقلب، وما يفعله الناس من تبادل الهدايا في المناسبات وغيرها أمر محمود بل ومندوب إليه على أن لا يكلف نفسه إلا وسعها، قال إبراهيم الزهري: خرجت لأبي جائزته فأمرني أن أكتب خاصته وأهل بيته ففعلت، فقال لي تذكّر

---

[٩٧]) مسلم.

[٩٨]) صحيح الجامع برقم(٤٥٦١)

[٩٩]) متفق عليه.

[١٠٠]) الرحيق المختوم ص(٢٣٢).

هل بقي أحد أغفلناه؟ قلت لا قال بلى رجل لقيني فسلم علي سلاماً جميلاً صفته كذا وكذا، اكتب له عشرة دنانير"أ.هـ.

هدايا الناس بعضهم لبعض**تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا**وتكسوك المهابة والجلالا
مصايد للقلوب بغير لغب**وتمنحك المحبة والجمالا

وقد أباح الإسلام قبول هدية غير المسلم ففي صحيح مسلم أن أكيدر صاحب دومة الجندل أهدى إلى النبي ثوبا حريرا فأعطاها عليا وأهدى المقوقس إلى النبي . صلى الله عليه وسلم جرة من عسل فقسمها بين أصحابه.

الهدية قد تكون بسيطةً جداً في قيمتها ولكنها تُدخل سروراً وتُظهر مدى الاهتمامِ بالمهدي إليه، ففي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– عن المصطفي . صلى الله عليه وسلم:"تهادوا تحابوا".([١٠١])

وعن عائشة أن النبي . صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها ونهى عليه الصلاة والسلام عن رد الهدية حتى لا توغر الصدور فقال . صلى الله عليه وسلم:"أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين".([١٠٢])

وروى البخاري في كتاب الأطعمة أن النبي دخل يوما بيت عائشة رضي الله عنها وكان على النار برمة تفور فدعي بالغداء فأتى بخبز وأدم لكنه من أدم البيت فقال:"ألم أرى لحما؟ قالوا :بلى يا رسول الله ولكنه تصدق به على بريرة وكانت مولاة لعائشة فأهدته لنا فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم: هو صدقة عليها وهدية لنا .وذلك لأن رسول الله كان يقبل الهدية ويرد الصدقة وكان انس بن مالك – رضي الله عنه– يقول لابنه: يا بني تبادلوا فيما بينكم فإنه أود لما بينكم.

إن الهدية حلوة **كالسحر يجتذب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى**حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العدا**وة بعد بغضته حبيبا
تنفي السخيمة من ذوى**الشحنا وتمتحق الذنوبا([١٠٣])

---

[١٠١]) حسنه الألباني إرواء الغليل وهو في الموطأ.

[١٠٢]) صحيح الجامع برقم(١٥٨)

[١٠٣]) روضة العقلاء ابن حبان

وهذه قصة على فرض صحتها تكون من القصص المؤثرة جدا حيث تمثل شاعر أن نمله أعطت سيدنا سليمان عليه السلام هديه يوم العرض وصاغ هذا الشاعر هذه المناسبة في أبيات قليلة ولكنها غاية في الروعة والجمال حيث قال:

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة...وأهدت له من جراب كان في فيها

وأنشدت بلسان الحال قائلة .....إن الهدية على قدر مهديها

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته.....لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

إن الهدية سبب عظيم للتآلف بين القلوب وشيوع المودة بينهم وقد جاء في القرآن ذكر الهدية قال تعالى على لسان بلقيس:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ النمل: ٣٥

٥٤) دع الغير يظنُ أن الفكرة هي فكرته:

إذا أردت أن تكسب روح التعاون عند الآخرين فاجعل الشخص الآخر يحس أن الفكرة هي فكرته؛ فالرجل العاقل إذا أراد أن يتصدر الناس جعل نفسه خلفهم.

في الحقيقة هذه النقطة على بساطتها في منتهى التأثير أن تذكر أن فلانا هو الذي قال وهو الذي يقترح وأنه هو مفتاح الخير مغلاق الشر،

كم لهذا الكلام من تأثير عميق في النفوس لأنه يشعر الأخر أنك تهتم به تنصفه لا تبخسه حقه وأنك إنسان مين وما إلى ذلك نهايك عن اعتزازه عندما تذكره بالفضل على مجمع من الناس.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه:" لقد قمنا بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–مقاما كدنا نهلك فيه لولا إن اللَّه من علينا بأبي بكر.

٥٥) تفهَّم عواطف الآخرين، واستثر عواطفهم النبيلة:

كما أن لك عاطفة تسوقك في كثيرٍ من الأحيان إلى اتخاذ موقفٍ معينٍ، أو تبني رأيٍ خاصٍ، فإن للآخرين عواطف أيضاً، وكما يسرك بأن يراعي الآخرين عاطفتك، فإنهم يسرهم أن تراعي عواطفهم بنفس المقدار.

مهما بدا الناس عتاةً قساة القلوب، أو لا منطقيين، فإن طبيعتهم الإنسانية هي التي تسود آخر الأمر، إنهم ضعفاء، إنهم يطلبون التعاطف معهم بل والعطف عليهم فإذا قلت لمحدثك: إني لا أوجه إليك اللوم، إذ إنني سأفعل مثل ما فعلت، لو كنت مكانك. فإن هذا كفيل بضمان انجذابه إلى جانبك، واستلال كل حقدٍ أو تصورٍ كان من الممكن أن ينشأ بينكما، إذا كنتما مختلفين على أمرٍ من الأمور.

إن استثارة العواطف النبيلة في قلوب الآخرين طريقة ناجحة تماماً في كسب الناس إلى وجهة نظرك، كما أنها لن تؤدي إلى مضرة لو قُدِّر لها الفشل.

سجنت فرنسا قبل ثورتها شاعرين مجيدين أحدهما متفائل والآخر متشائم فأخرجا رأسيهما من نافذة السجن فأما المتفائل فنظر نظرة في النجوم فضحك وأما المتشائم فنظر إلى الطين في الشارع المجاور فبكى.

٥٦) المداراة:

فهل تحسن فن المداراة؟ وهل تعرف الفرق بين المداراة والمداهنة؟

روى البخاري في صحيحة من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رجلا استأذن على النبي–صلى الله عليه وسلم–، فلما راءه قال:" بئس أخو العشيرة، فلما جلس تطلق النبي–صلى الله عليه وسلم– في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تلطفت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يا عائشة متى هدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس لقاء فحشه".

قال ابن حجر في الفتح: وهذا الحديث أصل في المداراة.

ونقل قول القرطبي:والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا، أو الدين، أو هما معا، وهي مباحة وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا.

إذا فالمداراة لين الكلام والبشاشة للفساق وأهل الفحش والبذاءة، أولاً اتقاء لفحشهم، وثانيا لعل في مداراتهم كسباً لهدايتهم بشرط عدم المجاملة في الدين، وإنما في أمور الدنيا فقط، وإلا انتقلت من المداراة إلى المداهنة فهل تحسن فن المداراة بعد ذلك؟ كالتلطف والاعتذار، والبشاشة، والثناء على الرجل بما هو فيه لمصلحة شرعية، وقد روي عن النبي–صلى الله عليه وسلم– أنه قال:مداراة الناس صدقة".([١٠٤])

وقال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة.

٥٧) اعتزل الفتن:

قال احمد ابن خليل الحنبلي:.

من أراد العز والرا **** حة من هم طويل
ليكن فردا من النا **** س ويرضي بالقليل
كيف يصفو لامرئ**ما عاش من عيش وبيل
بين غمز من ختول*******ومداجاة ثقيل
ومدارة حسود**********ومعاناة بخيل
آه من معرفة النا******* س على كل سبيل

---

[١٠٤]) صحيح الجامع برقم(١٣٦٢)

العزلة المحمودة المقبولة المشروعة هي التي يبتعد فيها الإنسان عن الشر وعن أهل الشر، وأهل البدع، والأهواء، والإغواء، وأهل اللهو، والضلال، والفوضى فيجتمع على الإنسان شلمه، ويهدأ بالله ويرتاح خاطره. إن العزلة عن كل ما يشغل عن الطاعة دواء ناجع جربه أطباء القلوب فكان فيه النجاة بأمر الله ففي العزلة تلقيح للفكر واجتناب للشر وإقامة للخشية وفيها الاحتفال بمولد الإبداع والتذكر ما أبدع المبدعون وما ابتكر المبتكرون وما خرجت إلى النور الاختراعات إلى من أصحاب العزلة كل اللامعين وأصحاب الفكر، والعباقرة، والجهابذة، ورواد الفكر، وأساطين العلم، وعيون الدهر، وكواكب المحافل كلهم سقوا غرس نبلهم من ماء العزلة حتى استوي على سوقه فنبتت شجرة عظمتهم فآتت أكلها كل وقت وحين بإذن ارحم الراحمين. في الاختلاط الهمجي حرب شعواء على النفس وتهديد خطير لدنيا الأمن والاستقرار في نفس كل إنسان إن العزلة تحمى الإنسان من سماع ما يؤذيه تحميه من الغيبة من النميمة والفتن والضغينة في العزلة عن أهل الضلال يحمى الإنسان نفسه من وقلبه، وعمره عن الإهدار فيما لا طائل منه وأذنك من الخنا والنفس من سوء قال الحميدي:.

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الإكثار من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لكسب العلم أو إصلاح حال

وقد عالج رسول الله–صلى الله عليه وسلم– داء الاختلاط وما يجلب على صاحبه من أهوال وأضرار فقال–صلى الله عليه وسلم–:" أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك".([١٠٥])

في العزلة ستر للعورات عورات اللسان وعثرات الحركات وفلتات الذهن ورعونة النفس يقول ابن تيميه: لابد للعبد من عزلة لعبادته وذكره وتلاوته ومحاسبته لنفسه ودعائه واستغفاره وبعده عن الشر ونحو ذلك.([١٠٦])

٥٨) شعرة معاوية:

لا يختلف اثنان من أهل السير والتاريخ على عبقرية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأنه كان سياسي فذ وصحابي جليل وإن كان موضوع اختلافه مع على بن أبي طالب – رضي الله عنه– قد يغضب الكثير منه وهم الذين لا يدققون في تحرى التاريخ الصحيح ويعلمون أن لله سننا وأقدار وأن الله سبحانه لابد وأن يجرى سننه وأقداره مع الأخذ في الاعتبار أن كلا من سيدنا على وسيدنا معاوية كان متؤلا أي له عذره ومع هذا فليس هذا موضوعنا ولا مقام الحديث عنه.

---

[١٠٥]) صحيح الجامع برقم(١٣٦٢)

[١٠٦]) لا تحزن عائض القرني ص(١٣٩)

وقد صاحب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–والرسول مات وهو عنهما راض أي عن علىً ومعاوية فعليهما رضوان الله.

تسلم سيدنا معاوية الخلافة في عام الجماعة الأول سنه ٤١هـ وورث تركة مليئة بالصعاب، والمشاق ومع هذا استطاع – رضي الله عنه– أن ينجو بالسفينة إلى بر الآمان بل وفتح كثير من البلدان الغير إسلامية، وتحولت بعد إلى بلاد إسلامية قال – رضي الله عنه– قولته المشهورة التي أصبحت مضرب المثل في حسن التعامل والتصرف وفي سياسة الناس والارتباط بهم وأن يجعلهم يفعلوا ما يريد هو عن رضي، وطيب نفس قال ذات يوم: لعمرو بن العاص، وهو من أدهى دهاة العرب، أو أرطبون العرب كما لقبه بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– ما بلغ بك من الذكاء يا عمرو؟ فقال عمرو بن العاص – رضي الله عنه–: ما وقعت في مشكلة إلا واستطعت أن أجد لنفسي منها مخرجا. فقال سيدنا معاوية: إذا أنا أذكى منك يا عمر لأنني لا أصل بنفسي أن أقع في المشكلة. وهذا كلام في غاية الروعة، والفطنة، والجمال لأن من الناس من يتقه الناس اتقاء فحشه(إن من شر الناس من اتقاه الناس اتقاء فحشه) ومن الناس من يعش ولم يغضب منه أحد ولم يتشاجر مع احد وهذا نادر النادر من الناس من يسارع للوقوع في المشاكل ومن الناس من يتحاشى الوقوع في المشاكل دون أن يخسر شيئا أو يخسر أحدا وهذه شعرة معاوية فقد سئل ذات يوم كيف استطعت أن تحكم الناس عشرين أميرا عشرين سنة ثم تحكمهم خليفة عشرين سنه فقال: جعلت بيني وبينهم شعرة احد طرفيها في يدي والآخر في أيديهم إن شدوها من جهتهم أرخيت من جهتي حتى لا تنقطع وإن أرخوها من جهتهم شددت من جهتي. انظر إلى الحكمة الجليلة إن الشعرة لا تقوى على الشد، والجذب وقد لا يراه الإنسان وهى في يده ومع هذا إن وجدت فلن يقطعها معاوية وهذا يتطلب من الإنسان منتهى الحنكة والدراية بحيث لا يكن صعبا فيكسر ولا يكن لينا فيعصر.

دخل مدرس الفصل فوجد طالبين في حالة شجار عنيف وحالة هياج والكل يكيل للأخر بل انبطح احدهما فوق الآخر، وكاد يفتك به لولا تدخل زملاءه فانهال المدرس على هذا الطالب ضربا وتوبيخا وسبابا فما كان من الطالب إلا انه حاول مع أستاذه أن يسكت عنه الآن وان يفعل الأحرى الذي يراه مناسبا لمثل هذه الحالات ولا يمد يده ولكنه لم يتوقف، بل وزاد في ضربه للطالب فما كان من الطالب الفاقد الأعصاب أصلا إلا أن انهال على المدرس وحدث مالا يحمد عقباه ورفع الأمر إلى إدارة المدرسة، ولكن هذا المدرس لم يستطع العمل في هذه المدرسة مرة أخرى على العكس.

نفس الواقعة حدثت وهي أن مدرسا دخل ووجد نفس المشهد ولكن الأشخاص هي التي اختلفت فما كان منه إلا أن عنفهم بلطف ونهاهم عن أن يؤذى احدهما صاحبه لأنهم إخوة في كل شيء وأن كل منهما لابد وان يكون عونا لأخيه لا عليه ولم يخرج من الفصل حتى أصلح

بينهما ولم يعلم إدارة المدرسة بما حدث فارتفعت أسهمه عند جميع الطلاب وأصبح مأوى لهم يشكون إليه أمور حياتهم المتعثرة.

وليس معنى شعرة معاوية التي اقصدها أن لا يتخذ الإنسان الإجراء الحازم الذي يراه أحيانا مناسبا للقضاء على المشكلة. إن أمور الحياة ترفض الإنسان الجامد بل إن معدة الإنسان لترفض الطعام الواحد مهما كانت قيمته وتعافه ولا يكاد الإنسان يطيق النظر إليه حتى ولو كان في فترة من الفترات حلم حياته أن يأكل هذا الطعام إذا كان هذا بالنسبة للإنسان مع نفسه فمال الحال مع الغير وكل واحد له مشاكله وأمور حياته ونفسيته الخاصة إن الإنسان الذي لا يطور نفسه مع الحياة ولا يستفيد من تجارب الآخرين لا يستحق أن يطلق عليه إنسان.

أذكر أن في قريتنا رجل هذا الرجل سار على وتيرة واحده في كل أمور حياته على أذية كل من يستطع أذيته ولا أبالغ لو قلت حتى أولاده ورتب نفسه على ذلك بل جعل هذه الطريقة هي الطريقة المثلي له في جميع معاملاته وللأسف ما كان يفعل هذا إلا مع ضعاف الناس فاعتزله الناس واعتزل هو الناس وصار إليهم مبغضا ومصدرا لكل ضيق أكاد أجزم أنني ما رأيت في حياتي إنسان يكاد يجمع الكل على بغضه مثل هذا الشخص حتى قال لي رجل من القرية عنه: يا شيخ والله طوب الأرض بيكرهه". على الرغم من أنه من الحريصين على أداء الصلوات في جماعة وفي المسجد وخاصة صلاة الفجر.

كان أصلح الله حالة إذا دخل المسجد لابد من اختراع أي شيء مما يعكر صفو الناس يختار من يقف إلى جواره إذا وقف إلى جواره رجل فقير أو ثيابه متواضعة تركه ولم يقف إلى جواره. وإذا صلى الإمام لابد من أن يبحث له عن سقطة وما أن يخرج أو حتى لا يخرج من باب المسجد إلا ويحدث من يلقاه بها والناس تضطر للاستماع له إما مجاملة أو فرضا لنفسه عليهم.

وكان رجل في محافظة كفر الشيخ ما يجد صبيا في المسجد إلا واضطهده حتى نفر الأطفال من المساجد ولايجد خطيبا في الجمعة إلا ويكاد ينزله من على المنبر أو ينزله بالفعل.

٥٩) الإيثار:

إذا كنت ممن يسهل عليهم العطاء ولا يؤلمهم البذل فأنت سخي، وإن كنت ممن يعطون الأكثر ويُبقون لأنفسهم فأنت جواد.

أما إن كنت ممن يعطون الآخرين مع حاجتك إلى ما أعطيت لكنك قدمت غيرك على نفسك فقد وصلت إلى مرتبة الإيثار.

ورتبة الإيثار من أعلى المراتب، وإنما ينشأ الإيثار عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، مع الرغبة في الأجر والثواب.

لقد رتب ابن القيم رحمه الله تعالى الإيثار في مراتب ودرجات فقال:

الأولى: أن تؤثِر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك دِينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يُفسد عليك وقتًا، يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل: أن تطعِمهم وتجوع، وتكسوهم وتعرى، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلافٍ لا يجوز في الدين، وكل سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثِر به أحدًا، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم.

الثانية: إيثار رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن، وإيثار رضا الله عز وجل على غيره، هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلْق، وهي درجة الأنبياء، وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا–صلى الله عليه وسلم–، وعليهم، فإنه قاوم العالم كله وتجرد للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم، بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصورًا على إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه؛ حتى ظهر دين الله على كل دين، وقامت حجته على العالمين، وتمت نعمته على المؤمنين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاد، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، فلم ينل أحدٌ من درجةِ هذا الإيثار ما نالَ، صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وقد جرت سنة الله التي لا تبديل لها أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته: أن يُسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته، ويجعل محنته على يديه، فيعود حامده ذاما، ومن آثر مرضاته ساخطًا، فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل، وهذا أعجز الخلقِ وأحمقهم.

قال الشافعي رحمه الله: " رضا الناس غاية لا تدرك فعليك بما فيه صلاح نفسك فألزمه"، ومعلوم أن لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره، ولقد أحسن من قال:

فليتك تحلُو والحياةُ مريرَةٌ.. .. .. وليتك ترضي والأنامُ غِضَابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ.. .. .. وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صحَّ منك الودُّ فالكّلُّ هينٌ.. .. .. وكل الذي فوق التراب تراب

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلمت الإيثار إليه، فإذا آثرت غيرك بشيء؛ فإن الذي آثره هو الحق لا أنت فهو المؤثر على الحقيقة، إذ هو المُعطي حقيقةً.

ولقد سجل التاريخ بأحرف من نور مواقف خالدة للمسلمين بلغوا فيها المرتبة العالية والغاية القصوى من الإيثار، فهذا سيد الخلق وخاتم النبيين وإمام المرسلين محمد–صلى الله عليه وسلم– تأتيه امرأة بُبردة فتقول: " يا رسول الله أكسوك هذه؟ " فأخذها النبي–صلى الله عليه وسلم–

محتاجًا إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: " يا رسول الله ما أحسن هذه ؟ فاكسنيها " فقال: "نعم"، فلما قام النبي–صلى الله عليه وسلم–لامه أصحابه فقالوا: " ما أحسنت حين رأيت النبي–صلى الله عليه وسلم– محتاجًا إليها، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه، فقال: " رجوت بركتها حين لبسها النبي–صلى الله عليه وسلم– لَعلِّي أُكَفَّن فيها". وقد مرت القصة.

وأما أصحابه رضي الله عنهم والتابعون فحدث ولا حرج، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رجلاً أتى النبي–صلى الله عليه وسلم–، فبعث إلى نسائه فقلن: " ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "من يُضيف هذا؟ " فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله . صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك (أوقديه) ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فقال: "ضحك الله الليلة – أو عجب – من فعالكما، فأنزل الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ الحشر: ٩

وهؤلاء هم الأنصار يعرض أحدهم على أخيه من المهاجرين أن يناصفه أهله وماله فيأبي المهاجر ويقول: " بارك الله لك في أهلك ومالك ".

وهذا أبو طلحة أكثر الأنصار مالاً وأحب ماله إليه حديقة تسمى بيرحاء يسمع قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢ ﴾ آل عمران: ٩٢

فيأتي رسول الله . صلى الله عليه وسلم معلنًا أنه يتصدق بها لوجه الله تعالى.

وذاك قيس بن سعد بن عبادة يمرض ويتأخر إخوانه عن زيارته فيسأل عنهم، فيقال له: "إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين، فيقول: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة ".

ثم أمر مناديًا ينادي: " من كان لقيس عليه مال فهو في حل ".

فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة الزوار.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الثلاثة الذين آثر كل منهم أخاه بالحياة، فقد قال حذيفة ألعدوي: " انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليَّ أن نعم، فسمع به آخر فقال: آهٍ، فأشار هشام: انطلق به إليه فجئته، فإذا هو قد

مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين".

فلو لم يكن من فوائده إلا أنه دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام ورفعة الأخلاق لكفي، فكيف وهو طريق إلى محبة الرب سبحانه، وحصول الألفة بين الناس وطريق لجلب البركة ووقاية من الشح؟

٦٠) حاسب نفسك:

إن محاسبة النفس من أهم الأمور التي تجعل الإنسان يصحح أخطأه أولا بأول يرجع عن الخطأ ويستمر في ألأمور التي تجلب له النجاح والفلاح وتساعده على التأقلم مع الآخر بل وتجعله يزيد من أحبابه ويبتعد عن الأمور التي تجلب له العداء والقطيعة مع الآخر.

وكذلك الأمر بالنسبة للآخرة فلو أننا نتخبط في الدنيا خبط عشواء ونتصرف على ما يحلو لنا دون معقب، أو حسيب لجاز على تفريط وحمق أن نبعثر حياتنا كما يبعثر السفيه ماله، وأن نذهل عن الماضي، وما ضم من تجارب وأن نتقحم المستقبل غير متهيبين أو خطيئة فكيف ولله حفظه يدونون مثقال الذرة ويعدون لنا قوائم بحساب طويل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩

أما يجب أن تستكشف نحن هذا الإحصاء الذي يخصنا أما ينبغي أن نكون على بصيرة بمقدار ما نفعل من خطأ أو صواب ؟والحق الذي لا مراء فيه أن عدم الاكتراث، والاهتمام بالماضي، والمستقبل قد يقود الإنسان إلى التهلكة وقد حظر القرآن من مثل هذه النوعية من البشر التي لا تستفيد من ماضيها ولا تعد العدة بحسابات خاصة ومدروسة لمستقبلها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ التوبة: ١٢٦

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– وأرضاه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.

وقال ابن المقفع: على المرء أن يسجل ما يصدر عنه جاعلا الصفحة اليمنى للحسنات، واليسرى للسيئات.

أما الكاتب الأمريكي ديل كارنيجى يذهب إلى تدوين السيئات فحسب على أساس أن المرء يعينه تلافي أخطائه والنجاة مستقبلا مما وقع فيه آنفا.

قال: في أحد أدراج مكتبي ملف خاص مكتوب عليه حماقات ارتكبتها وأنا أعد هذا الملف سجلا وافيا للأخطاء أمليته والبعض الأخر خجلت من إملائه فكتبته بنفسي ولو أنني كنت أمينا

مع نفسي لكان الأرجح أن يمتلئ مكتبي بأمثال هذه الملفات المليئة بالأخطاء والحماقات وعندما استخرج سجل أخطائي وأعيد قراءه الانتقادات التي وجهتها لنفسي أحس أنني قادر على مواجهة أقسى وأعصى المشكلات مستعينا بعبر الماضي الذي دونته. لقد اعتدت أن ألقى على الناس تبعة ما أوجه من مشكلات لكن بعد أن تقدمت بي السن وازدادت حكمتي فيما أخال أدركت أنني وحدي المسئول عما أصابني من سوء وفي ظني أن كثيرا من الناس يصلون إلى هذه النتيجة نفسها عندما يدرسون أنسهم ولقد قال نابليون في منفاه بجزيرة القديسة هيلانه: لا أحد سواي مسئول عن هزيمتي لقد كنت أعظم عدو لنفسي".

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه جدد حياتك: في صدر شبابي الأول كنت دقيقا في محاسبة نفسي، وكنت ارسم برامج قصيرة الأجل للتطهر مما أحقره من خلال أعمالي وأذكر أنني استعنت بإحدى المفكرات السنوية لإثبات الأطوار التي انتقل بينها من الناحيتين الذهنية والنفسية، وإن كنت فشلت آخر الأمر في استدامة هذا الأسلوب. يرجع فشلي إلى أنني أطلب النتائج المستحبة بسرعة على حين أكون محاصرا بظروف لا تسمح بذلك أبدا. وقد مزقت هذه المفكرة في ساعة يأس لأني نظرت في صفحاتها وكنت أدون حالتي بأمانه فوجدتها لا تشير إلى أي تقدم كانت أشبه بملف مريض لا تتغير حالته مع عظم العناية، وعناء السهر وأحس الآن أنى أخطأت في الاستجابة لهذا اليأس لأني نظرت للأمر من ناحية ضيقة ناحية الحصول على نتائج معينة في أيام محدودة جاهلا، أو متجاهلا ما يكتنف النفس من وعورة طباعها الرديئة ومن عوائق البيئة التي لا حصر لها. كنت كالسباح الذي يعارك أنواء عاتية حسبه إن وقف في مكانه أنه لم يتأخر وأنه لم يغرق وهذا ضرب من النجاح يتبعه مع الصبر الجميل إحراز النجاح الكامل وقد فاتنى هذا الدرس، وأنا شاب أتطلع إلى الفضيلة، والكمال واتعشق المثل العليا ذلك لأن في بلادنا أزمة طاحنة في المربيين الأخيار وحدث وأنا غلام في مرحلة التعليم الثانوي أن أجتاح قريتنا حديث عن الأشباح التي تظهر بالليل وشعرت بوجل يملكني وأنا استمع إلى أنباء هذه الكائنات الخفية ثم أنكرت من نفسي هذا الفزع الذي لا ينبغي أن يخامر مؤمنا فإن المؤمن يخشى الله وحده وإذن فلأؤدب هذه النفس الهلوع وبم؟ بإكراهها على مواجهة ما تخاف وبعد العشاء اخترقت وحدي أعماء الليل المخيم على البلد والحقول ودلفت إلى المقابر الموحشة الواقعة بعيدا عن العمران وأخذت أنقل خطاي بين دروبها الضيقة وعيناي تستشفان كل شيء حولي وقلبي لا يفتأ يدق وكانت رحله شعرت من أعماق قلبي بكرهي لها ولكن ما منها في نظري بد لقد قررت أن أدخل هذه المقابر من طريق وأخرج من طريق أخر وأن أكرر هذه الجولة في عدة ليالي لأغالب في نفسي هذا الخوف هذا الخوف الذي لا يليق بي، ثم يقول رحمه الله : لقد كنت في ميدان الرياضة النفسية أتعسف الطريق أحيانا كثيرة لقلة المرشدين الذين يرعون الناشئة، وندرة الثقافات التي تأخذ بناصيتهم إلى الصراط المستقيم ومع ما خلفته في أعصابي هذه المحاولات

المضنية فلست آسفا على ما بذلت من جهد أخطأت فيه، أو أصبت فلأن أشتط في حساب نفسي أفضل من أدعها تنطلق من غير.

يقول ديل كارنيجى عن هـ. ب. هاول من رجال المال الأمريكيين فقد كان يخصص مساء السبت من كل أسبوع لمراجعة ما كسب واكتسب والتأمل في كل مقابله تمت وكل مناقشه دارت وكل عمل أنجز ثم يسأل نفسه أى خطأ ارتكبه أي توفيق صادفه ؟ وهكذا.

قال: ولعل "هاول" قد استعار هذه الطريقة في مرجعه النفس من بنيامين فرانكلين إلا أن الفارق الوحيد بينهما أن هذا لم يكن ينتظر حتى تحل نهاية الأسبوع بل كان ينصب لنفسه هذه المحاكمة العسيرة كل مساء وقد اكتشف أن هناك ثلاثة عشر خطأ خطيرا يقترفها على الدوام.

وهذه أهم ثلاثة منها: تضييع الوقت سدى الانشغال بالتوافه والجدال مع النفس على غير طائل ورسخ في ذهن فراكلين أنه ما لم يتخلص من هذه الأخطاء فلن يتقدم في الحياة شيئا يذكر. ومن ثم عمد إلى تخصيص أسبوع لمحاربة كل نقيصة من نقائصه على التوالي وافرد سجلا يدون فيه يوما بيوم أنباء انتصاره على نقائصه أو هزيمته أمامها. وقد لبث الرجل في حرب ضد أخطائه أكثر من عامين فلا عجب أن غدا واحدا من أعظم رجالات أمريكا والأمر السلم به أن ترويض النفس على الكمال وعلى حسن التعامل مع الغير أمر شاق ويحتاج إلى طول مراقبه مع محاسبه جادة خاصة وان طباع الناس تختلف من شخص لأخر وأن الإنسان ربما يلاقى الكثير والكثير من الإساءة من بعض الناس دونما سبب مباشر اللهم بعض الأحقاد، وبعض الغيرة، والحقد الذي يحرق قلوب الكثير والكثير منت ضعاف الإيمان ممن يتألمون من نجاح غيرهم وإذا حدث هذا فإنما على الإنسان أن يفرح به لأنه أصبح محط أنظار الآخرين ومعنى هذا أنه أصبح إنسانا نجحا يعمل له ألف حساب وكل هذا يحتاج منا الكثير والكير حتى نصل إليه ولنا قدوتنا معلم البشرية عليه الصلاة والسلام فما أكثر من رد الإساءة بالإحسان بل كانت حياته كلها ردا بالتي هي أحسن وأوضح مثال على ذلك فتح مكة وما حدث منه لأهل مكة وهم من طردوه وأخرجوه من داره وطلقوا بناته وحاولوا قتله واتهموه بعدة اتهامات الواحد منها كان كفيل بأن يهدم اعتي الرجال ولكنه–صلى الله عليه وسلم– رغم مرارة ما كان يقاسيه كان يتحمل بجلد ويرد الإساءة بالإحسان خرج من مكة وهو يتألم وينظر إليها ويقول:"والله لأنت أحب البلاد إليّ ولول أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت".

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك.([١٠٧])

---

[١٠٧]) صحيح المشكاة برقم(٢٧٢٤)

ورغم هذا استطاع أن يبنى نفوس أمته وعاد هذا البناء على البشرية بأثرها حتى جعل الناس يدخلون في هذا الدين لمجرد المعاملة الحسنه قبل أن يتعرفوا على عظمة هذا الدين صحيح الآمر صعب إذا كانت عمارة بيت جديد على أنقاض بيت قديم لا يتم إلا بخطوات ودراسات وحسابات وميزانيات فكيف يكون الحال في بناء النفوس.

٦١) ومع هذا كن صاحب شخصيه مستقلة:

قد يكره الإنسان من يقلده ويظن أن ذلك نقصا في حقه ويؤدى ذلك إلى النفره والتباعد وليعلم كل واحد منا أنه شخصيه مستقلة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨ ﴾ البقرة: ١٤٨

والعلم الحديث اثبت أنه لا يوجد اثنان من البشر متفقان في كل شيء حتى التوائم المتماثلة وقال احد الحكماء:" أنت في الخليقة شيء آخر لا يشبهك أحد ولا تشبه أحدا لأن الخالق عز وجل ميز بين المخلوقين قال تعالى{إن سعيكم لشتى}فلا تكن إمعة وكن مستقل الشخصية حتى تكتسب احترام الآخر وتقديره لا تتقمص شخصية غيرك ولا تذب في الآخر لأنك شيء آخر لك طعمك الخاص ولونك الخاص إن الأطعمة، والفواكه، والروائح مستقلة اللون، والطعم، والرائحة لا تتحول، ولا تتبدل، ولا تتغير ولم يسمع احد عن تحول فاكه إلى أخرى فلا العنب أصبح خوخا، أو حاول أن يصبح البرتقال تفاحا فلماذا تريد أن تتحول إلى صورة غيرك ولنعلم جميعا أن لكل منا قدراته ومواهبه ولا مانع من تقليد الغير في بعض الصفات الحسنه كحسن الخلق وحسن الهندام وتعلم مكارم الأخلاق إنك ترى إنسانا والناس تلتف حوله فلا مانع من اكتساب الطريقة التي توصلك إلى مثل ما وصل إليه واجعل لك مثل أعلى في حياتك وليكن رسول الله.

وقديما قال الشاعر:

تشبهوا بالرجال إن لم تكونوا مثلهم... إن التشبه بالرجال فلاح

أفعل هذا بشرط أن تكون مستقل الشخصية وليتك تصل إلى أن يقلدك الغير وليس العكس.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٥ ﴾ الأنعام: ١٦٥

إن التقليد الأعمى والانصهار المسرف في شخصيات الآخرين قتل للموهبة وإلغاء للتفرد إن الذوبان في الغير انتحار وضياع وسلب للموهبة فاله سبحانه خلق الناس أشكال وألوان، وقد طبق الرسول وأصحابه هذا التطبيق على أفضل وجه وأكمله فاستنفر من كل واحد موهبته أبو هريرة لحفظ الحديث وأبي للقرآن، وزيد للفرائض، وخالد لقيادة الجيوش، ومعاذ للعلم، وحسان للشعر، وعلى للقضاء، وهكذا يقول عبد الله بن مسعود عن أبي بكر: لقد قمنا مقاما بعد رسول الله . صلى الله عليه وسلم كدنا نهلك فيه لولا أن من الله علينا بأبي بكر.

يقول الدكتور جيمس جوردن: إن مشكلة الرغبة في أن تكون نفسك هي قديمة قدم التاريخ وهى عامه كالحية البشرية كما أن مشكلة عدم الرغبة هي في أن تكون نفسك هي مصدر الكثير من التوتر، والعقد النفسية.

وقال مايكل انجلوا: ليس من أخ تعيس كالذي يصبوا إلى أن يكون غير نفسه وغير جسده وتفكيره.

قال امرسون: سيأتي الوقت الذي يصل فيه علم الإنسان إلى الإيمان بأن الحسد هو الجهل والتقليد هو الانتحار وأن يعتبر نفسه كما هي مهما تكن الظروف لأن ذاك هو نصيبه وأنه رغم امتلأ الكون بالأشياء الصالحة لن يحصل على حبة ذرة إلا بعد زراعة ورعاية الأرض المعطاة له فالقوى الكامنة في داخله هي جديدة في الطبيعة ولا أحد يعرف مدى قدرته حتى هو لا يعرف ذلك حتى يجرب.

إن الإنسان أي إنسان مهما كان تمر به ثلاثة أطوار ك طور التقليد وطور الاختيار وطور الابتكار. فالتقليد: هو المحاكاة للآخرين، وتقمص شخصيتهم وانتحال صفاتهم والذوبان فيهم وسبب هذا التقليد هو الإعجاب، والتعلق، والميل الشديد وهذا التقليد الغالي ليحمل بعضهم على التقليد في الحركات واللحظات ونبرة الصوت والالتفات، ونحو ذلك وهو وأد للشخصية وانتحار معنوي للذات. ويا لمعاناة هؤلاء من أنفسهم وهم يعكسون اتجاههم ويسيرون إلى الخلف فواحد منهم ترك صوته لصوت الآخر، وهجر مشيته لمشية فلان ليت هذا التقليد كان للصفات الممدوحة التي تثرى العمر وتطفي عليه هاله من السمو والرفعة، كالعلم، والكرم، والحلم، ونحوها لكنك تفاجئ أن هؤلاء يقلدون في مخارج الحروف وطريقة الكلام وإشارة اليد أريد التأكيد عليك: إنك خلق أخر وشيء إنه نهجك أنت من خلال صفاتك وقدرتك فإنه منذ خلق الله آدم إلى أن ينهى الله العالم لم يتفق اثنان في الصورة الخارجية للجسم بحيث ينطبق شكل هذا على شكل ذاك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم: ٢٢

فلماذا نحن نريد أن نتفق مع الآخرين في صفاتنا ومواهبنا وقدرتنا؟إن جمال صوتك أن يكون متفردا وأنت حسن إلقائك أن يكون متميزا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ فاطر: ٢٧

***وهذه نقطه لابد منها وهى كيف تكسب زوجتك وكيف تكسبين زوجك:**

كيف تسعد حياتك الزوجية؟

النكد يدمر حياتك الزوجية

في الجزء الأخير من الكتاب–كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فيهم– يرشدك المؤلف كيف تفوز بالسعادة الزوجية وفي البداية ينصحك كارينجي بالبعد عن "أسرع السبل إلى مقبرة السعادة الزوجية" ألا وهو النكد الذي يعد أقسى المبتكرات الجهنمية التي افتنّ في اختراعها أبالسة الجحيم لتحطيم الحب.. وهو أعظمها فتكا. إنه كلدغة الحية الرقطاء، ليس له دواء!".

يقول القاضي "بس هامبورجر" الذي ظل أحد عشر عاما قاضيا لمحكمة "الصلات الشخصية" في نيويورك، ونظر آلافا من حالات الهجر والانفصال بين الأزواج، إن الأسباب الرئيسية التي يهجر الرجال بسببها منازلهم هي أن زوجاتهم يظللن البيت بجو من النكد والتنغيص.

إن الاهتمام باللفتات البسيطة من شانها أن تحقق السعادة الزوجية، يجمع الناس على أن الزهور هي لغة الحب وأنها على صمتها أبلغ من كل بيان وهي مع هذا لا تكلف كثيرا فباعتها في كل ركن من أركان الطريق، وباقاتها لا تكلف أكثر من دراهم معدودات، ولكنك متى عرفت كم يندر أن يحمل الزوج لزوجته باقة منها، لحسبت أنها من أفدح الأشياء ثمنا وأصعبها منالا!

ويقول القاضي جوزيف ساباث الذي فصل في نحو أربعين ألف خلاف بين الأزواج: "إنك لتجد التوافه دائما في قراره كل شقاء زوجي، فإغفال الزوجة مثلا عبارة "مع السلامة" تقولها لزوجها وهي تلوح له بيدها أثناء انصرافه إلى عمله في الصباح شيء تافه ولكنه كثيرا ما أدى إلى الطلاق". لا تهمل أللفتات البسيطة فإن لها في الزواج شأنا كبيرا.

ومن أهم الخطوات التي تساعدك في تحقيق السعادة الزوجية المنشودة يقول المؤلف: "أهم ما يلي العناية باختيار الرفيق المناسب هو التزام حدود اللياقة بعد الزواج. فلو التزمت الزوجات حدود اللياقة مع أزواجهن كما يلتزمنها مع الأغراب، لعض كل زوج لسانه إذا اندفعت إليه قوارص الكلم".

إن اللياقة تستطيع أن تحجب عن الأنظار الباب الشائه الصدى، وتشف عما ورائه من الزهور المتفتحة الجميلة. إن من حسن الطالع وجميل المقابلة تبسم الزوجة لزوجها والزوج لزوجته إن هذه البسمة إعلان مبدئي للوفاق والمصالح وفي البداية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النور: ٦١

ورد التحية بأحسن منها قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ النساء: ٨٦

والدعاء عن دخول المنزل:"اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا".([١٠٨])

ومن أسباب سعادة البيت: لين الخطاب من الطرفين:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء: ٥٣

فمن أراد السعادة الزوجية وكسب ود الآخر فعليه أولا أن يسحب كلام الإساءة وجرح المشاعر والاستفزاز يا ليت أنهما يذكرون الجانب الجميل المشرق في كل منهما ويغض الطرف عن جانب الضعف البشرى في كليهما .إن الرجل إذا عدد محاسن امرأته وتجافي عن النقص سعد ارتاح وفي الحديث:"لا يفرك مؤمن مؤمنا إن أنكر منها خلقا رضي منها أخر". ومعنى لا يفرك لا يبغض ولا يكره.

من ذا الذي ما ساء ** قط ومن له الحسنى فقط

من الذي ما ناب سيف فضله ولا كبا جواد محاسنه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ النور: ٢١

أكثر مشاكل البيوت من معاناة التواقة ومعايشة صغار المسائل وقد عشت عشرات القضايا التي تنتهي بالفراق سبب إيقاد جذوتها أمور هينة سهلة احد الأسباب أن البيت لم يكن مرتبا والطعام لم يقدم في وقته وسببه عند آخرين أن المرأة تريد من زوجها أن لا يكثر من استقبال الضيوف وخذ من هذه القائمة التي تورث اليتم والمآسي في البيوت إن علينا جميعا أن نعترف بواقعنا، وحالنا، وضعفنا، ولا نعيش الخيال، والمثاليات التي لا تحصل إلا لأولى العزم من أفراد العالم نحن بشر نغضب ونحتد ونضعف ونخطئ وما معنا إلا البحث عن الأمر النسبي في الموافقة الزوجية حتى بعد هذه السنوات القصيرة بسلام قال أحمد بن حنبل بعد وفاة زوجته أم عبد الله: لقد صحبتها أربعين سنه ما اختلفت معها في كلمه.

إن على الرجل أن يسكت إذا غضبت زوجته وعليها هي أن تسكت إذا غضب حتى تهدأ الثورة وتبرد المشاعر وتسكن اضطرابات النفس.

قال ابن الجوزى: متى رأيت صاحبك قد غضب واخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي أن تعقب على ما يقوله خنصرا–أي لا تعتد به ولا تلتفت إليه– ولا أن تأخذه به فإن حاله حال السكارى لا يدرى ما يجرى، بل اصبر ولو فتره ولا تعول عليه فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج والعقل قد استتر ومتى أخذت في نفسك عليه أو أجبته بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه

---

[١٠٨]) صحيح الجامع برقم(٨٣٩)

مجنونا أو مفيق عاتب عليه فالذنب لك بل انظر إليه بعين الرحمة وتلمح تصريف القدر وتفرج في لعب الطبع به.([١٠٩])

واعلم إذا انتبه ندم على ما جرى وعرف لك فضل الصبر وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به وهذه الحالة ينبغي أن يتلمحها الولد عند غضب الوالد والزوجة عند غضب الزوج فتتركه يشفي بما يقول ولا تعول على ذلك فسيعود نادما معتذرا ومتى قوبل على حالته ومقالته صارت العدوى متمكنة وجازى في الإفاقة على ما فعل في حقه وقت السكر.

وأكثر الناس على غير هذا الطريق متى رأوا غاضبا قابلوه بما يقول ويعمل وهذا على غير مقتضى الحكمة بل الحكمة ما تتمثل في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣

واذكر هنا قصة لابد منها لعل أن تك فيها عظة وعبرة القصة عن الأديب الروسي تولستوى تقول دائرة المعارف البريطانية عن هذا الأديب: إنه في خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته كان أخلق رجال العالم بالتقدير والاحترام كان المعجبون به يحجون إلى بيته في سيل لا ينتهي ليتملوا بطلعته ويشنفوا آذانهم بصوته بل ليمتعوا أصابعهم بلمس مسوحه كانت كل كلمة تخرج من فيه تدون في صحائف كما لو كانت نبوءة رسول هكذا كانت حياته العامة أما حياته الخاصة فإن تصرفاته وهو شيخ كبير في السبعين كانت أشد حمقا من تصرفات صبي في السابعة. تزوج مكن فتاه أحبها وسعد الزوجان في بداية أمرهما إلا أن الزوجة كانت غيورا بطبعها حتى إنها اعتادت التخفي في زى الفلاحات والتجسس على زوجها وتفاقمت على مر الأيام غيرتها فإذا هي تغار على زوجها من بناتها وأمسكت مر بندقية وأحدثت بها ثقبا في صورة ابنتها بدوافع الغيرة. فما الذي فعل رجلها ردا على هذا ؟ أنشأ يكتب مذكرات يلوم فيها زوجته ويحملاها تبعة الشقاق الذي يغمر بيته إنه أراد أن تنصفه الأجيال القادة وتصب اللوم كله على الزوجة ولذلك عكف على الكتابة ضدها فماذا ترى فعلت زوجته ردا على ذلك؟ مزقت جانبا كبيرا من هذه المذكرات وأحرقته ثم أخذت تكتب مذكرات أخرى ردا على زوجها وتكيل له الصاع صاعين بل إنها كتبت في ذلك قصة بعنوان غلطة من؟

قال الكاتب الأمريكي ديل كارنيجى معلقا: ما دوافع هذا كله؟ ولماذا أحال هذان الزوجان منزلهما إلى ما يشبه مستشفى المجانين؟ إن هناك سببا أصيلا لهذا البلاء هو رغبة الزوجين في التأثير علينا نحن الأجيال التالية.

---

[١٠٩]) صيد الخاطر.

لقد أراد كل منهما أن ننصفه وأن نسخط على صاحبه فهل تظن أن أحدا منها يهتم: أيهما كان المصيب وأيهما كان المخطئ ؟ كلا فأنا وأنت مشغولان بشؤننا الخاصة ولسنا نملك أن نضيع دقيقة واحدة في آل تولستوى الكرام.

فيا له من ثمن فادح دفعه هذان الزوجان لقد قضيا خمسين عاما في جحيم مقيم دون أن يلهم أحدهما قولة: كفي، ودون أن يفطن أحدهما إلى وجوب تقدير الأشياء بقيمتها الحقيقة فيقول لشريكه:

دعنا نضع حدا لهذه الحال في التو واللحظة إننا نسمم حياتنا من أجل توافه لا قيمة لها.

دكتور: هاشم بكري
تليفون/٠١١١٢٨٨٢٩٥٩
Em:elshekh.hashem@gmail.com